النادي الأدبي الثقافي

مجلة فرقد الإبداعية

جماعة فرقد الإبداعية

العدد 119 - الجمعة 1 أغسطس 2025 _الموافق 7 صفر 1447هـ

مواسم السياحة الثقافية
بين التكرار والحصاد



الأديبة عبير علام ..
كلما أحببت لغتك
وهبَتْك الكنوز ومنحتك الدرر

- أدب الرسائل..
معابر إنسانية ومحابر ثقافية

- أدب الطفل
بين فرص التسويق ونبض التشويق

- الفنون التشكيلية
والقضايا المعاصرة.. بين
المشهد وصوت المجتمع

- ابن هانئ الأندلسي..
متنبّي الغرب



المنحوتة للفنان: عصام جميل

مجلة ثقافية إلكترونية (شهرية) تصدرها جماعة فرقد الإبداعية بنادي الطائف الأدبي

مجلة فرقد الإبداعية

محتوى العدد 119

مجلة ثقافية إلكترونية (شهرية) تصدرها جماعة فرقد الإبداعية بنادي الطائف الأدبي

نستقبل مشاركاتكم على إيميل المجلة التالي:
taifarqad@gmail.com

العدد 118



اللوحةللفنان التشكيلي:
د. عبدالعزيز الدقيل



الافتتاحيـــــــــــــة



أ.د. أحمد بن عيسى الهلالي

رئيس التحرير

تزداد سخونة الصيف، لكنها ليست أسخن من الحرب الدائرة في غزة منذ أكتوبر 2023م في ظل صمت العالم، وغياب ضمير القوى العظمى، فالضمير هو المحرك الأساسي للمثل والقيم الإنسانية، الضمير الذي حركته السياسية السعودية عند بعض دول العالم، فأعلنت عزمها على الاعتراف بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية في اجتماع جمعية الأمم المتحدة في سبتمبر المقبل، في إطار حل الدولتين الذي قدمته السعودية فيما عرف بالمبادرة العربية عام 2002م في بيروت من خلال الجامعة العربية، ونبتهل إلى الله أن تنجح المساعي، وأن تتوقف الحرب الآثمة، ويتحقق السلام المنشود في الشرق الأوسط.

يأتي هذا العدد 19 بعد المئة امتدادا لأعداد المجلة المتتابعة، وقد اختارت الأستاذة سلوى الأنصاري أن تكون قصته تحت عنوان (أدب الرَّسائل.. معابر إنسانية ومحابر ثقافية)، فللرسائل شعريتها الخاصة في الذاكرة الثقافية، ولأدبها مكانة مميزة في ذهنية الثقافة العربية.

كما استضاف قسم شخصية العدد الأديبة السورية عبير علام، الشاعرة الحاضرة بتميز في المشهد الثقافي السوري والعربي بعدد من الدواوين الشعرية، وبحراكها الثقافي اللافت، وقد حاورتها الأستاذة هناء الحويصي، واستقصت رؤاها في عدد من القضايا الثقافية، وتجولت معها خلال محطات مختلفة من حياتها، فكان حوارا ثريا، سيجد القراء . بلا شك . في ثناياه الإثراء والإمتاع، حول تجربة الشاعرة ورؤاها.

أما قسم قضية العدد فقد بسطت المحررة أشواق الرقيب محاور قضيته تحت عنوان (السياحة الثقافية.. بين تكرار المواسم وحصادها) فكانت على مائدة الرأي أمام نخبة من المثقفين والأدباء العرب، الذين أثروا الموضوع برؤاهم وتصوراتهم؛ لأن العلاقة بين الثقافة والسياحة علاقة وثقى، فالسياحة جزء من الثقافة، وهي نافذة ثقافية بامتياز، ويسرنا في أسرة التحرير أن نتلقى رؤى قراء المجلة أيضا في حاشية الموضوع عبر النافذة المخصصة للتعليقات.

كما أثار قسم أدب الطفل قضية أخرى، أدارت مائدة حوارها الأستاذة حصة عبدالعزيز تحت عنوان (أدب الطفل.. بين فرض التسويق ونبض التشويق) وبسطت محاورها على نخبة من الكتّاب والناشرين والخبراء التربويين في العالم العربي، فكان إثراؤهم إثراء الخبير العليم، فقد أضاؤوا جوانب الموضوع، بما نرجو أن يضيء للأسر العربية، ويعينها على تربية النشء بعد عون الله تعالى.

هذا العدد يأتي حلقة في سلسلة أعداد المجلة، ويؤكد دأب أسرة التحرير على تميزه وتنوعه وإثرائه ونوعيته، فهو بستان وارف بروائع الأدباء والكتاب والنقاد والمفكرين والفنانين، وروائع الأدب العالمي، وحديقة غنّاء من المنوعات في قسم بتلات، نأمل أن يلبي بكل تفاصيله تطلعات القراء، ويثري ويضيف إلى مقروءاتهم، ويلهم أقلام المبدعين بما يليق بثقافتنا العربية، ومحتواها الرقمي، وسيصدر لاحقا في ملف إلكتروني قابل للحفظ بصيغة pdf والله الموفق.

قضية العدد

السياحة الثقافية.. بين تكرار المواسم وحصادها

إعداد: أشواق الرقيب



ترتبط السياحة بالثقافة عبر تداخلات معقدة ومتعددة الأبعاد، حيث لا تقتصر العلاقة على التنقل من مكان إلى آخر فحسب، بل تشكل حلقة اتصال حيوية تجمع بين الأماكن ذات الطابع الأدبي والتاريخي، والواقع الحي للأزمنة والأمكنة التي تحتضن هذه الثقافات. فالسياحة الثقافية تجمع بين السفر والترحال، والتعرف العميق على ثقافات الشعوب المختلفة، ما يتيح استكشاف التراث المتنوع والمتشابك بين محطات التاريخ والجغرافيا. هذا التراث لا يقتصر على المظاهر الخارجية، إنما يتناول القيم والأفكار والعادات التي تُنسج في نسيج حياة المجتمعات.

في مجلة فرقد سنناقش مفهوم (السياحة الثقافية) وتداعياتها وما يرتبط بها من أمنيات وتطلعات، الشعوب. من خلال طرح المحاور الآتية على نخبة من أصحاب الرؤى في المشهد الثقافي:

- كيف تقيمون انعكاس الزيارات المتبادلة محليًّا وعربيًّا لإثراء المشهد الثقافي، وما النتائج المأمولة في هذا الجانب؟

- هنالك تكرار وروتينية في مواسم السياحة الثقافية.. ما تعليقك على هذا الرأي وكيف يتم تجاوز هذا المشهد السنوي المكرر؟

- ما التطلعات والأمنيات حول مستقبل السياحة الثقافية؟

***صناعة الثقافة أكبر من مجرد ترفيه**



يفتتح حوارنا الناقد والأديب د. حسن النعمي بقوله:

لا أعلم إن كان مصطلح السياحة الثقافية ملائمًا للحالة الثقافية، لكن لا شك أن تبادل الزيارات الثقافية مهم جدًا في تنشيط الحركة الثقافية ومد جسور التواصل، سواء عبر المشاركات الرسمية أو المبادرات الفردية. فكرة السياحة تنم عن فعل ترفيهي أكثر منه صناعة ثقافية. لذا يجب أن نفرق بين أمرين، أولًا صناعة الثقافة، ثانيًا تلقيها، من حيث الصناعة فلا ينطبق عليها ممارسة الترفيه السياحي، أما من حيث التلقي فهذا وارد أن تكون الثقافة مسألة ترفيه ثقافي، خاصة في جانب السينما والمسرح.

من هذا المفهوم أرى أن فعل الثقافة (صناعة الثقافة أكبر من مجرد ترفيه؛ إذ هو بناء معرفة تتحقق بوسائل مختلفة، منها تبادل الزيارات بين الدول، سواء كانت عبر ممارسات فردية أو مؤسسية.

ويمكن أن تكون القراءة وخاصة القراءات في المجال الإبداعي الشعري أو السردي سياحة إبداعية، كونها تندرج تحت مبدأ التلقي، فجانب من جوانب التلقي الذي لا يخلو من سياحية في الإبداع سواء كان محليًا أو عربيًا أو أجنبيًا.

ومن تجاربي الخاصة، عندما قرأت لأول مرة في حياتي رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ، أيامها كنت ما زلت طالبًا في الثانوية، لم أبرح بعد مدينة أبها التي درست فيها التعليم العام قبل الانتقال لمدينة جدة لإكمال دراستي الجامعية.

قرأت رواية زقاق المدق، وأبحرت معها في تصوير المكان، القاهرة كما صورها نجيب محفوظ، بأدق التفاصيل. كنت أقرأ وأتخيل تركيبة التفاصيل. بعدها بسنوات زرت القاهرة وحرصت على زيارة زقاق المدق، فوجدته أقل حيوية مما كان في الرواية. منها تعلمت أن واقع الرواية مختلف عن الواقع المادي، وأن الرواية عالم متخيل موازٍ للواقع، وصلتها بالواقع مجازية ليس إلا. وأختم بقولي: إن مفهوم السياحة تجاري، لا أحسبه ملائمًا للثقافة إلا من باب المجاز الواسع!

***السياحة الثقافية تعزيز للتراث الوطني**

وترى الناقدة الدكتورة سحر المعنا أن التطلعات لمستقبل السياحة الثقافية تتماشى مع رؤية المملكة العربية السعودية 2030. ولخصت أبرز هذه التطلعات عبر نقاط عدة أهمها:

وترى الناقدة الدكتورة سحر المعنا أن التطلعات لمستقبل السياحة الثقافية تتماشى مع رؤية المملكة العربية السعودية 2030. ولخصت أبرز هذه التطلعات عبر نقاط عدة أهمها:

1- أن تصبح المملكة من أهم الدول الجاذبة للسياحة الثقافية في العالم العربي والإسلامي والعالمي، عبر إبراز تراثها الغني وتاريخها العريق.

2- استثمار المواقع التراثية والتاريخية.

3- تطوير المواقع التاريخية والثقافية مثل: العلا، الدرعية، مدائن صالح، وجدة التاريخية لتكون مقاصد سياحية عالمية بمعايير متقدمة.

4- تعزيز الصناعات الثقافية والإبداعية.

أما عن الأمنيات والطموحات الثقافية فترى ضرورة الحفاظ على الهوية الثقافية السعودية، وأن تسهم السياحة في تعزيز الاعتزاز بالتراث الوطني، لا أن تؤدي إلى تغريبه أو تشويهه. كذلك دمج التقنيات الحديثة في عرض التاريخ والثقافة دون المساس بجوهر الأصالة. وأخيرًا التبادل الثقافي البناء.

***التكرار والنمطية يقلل من الفاعلية الثقافية**



وتؤكد المشرفة التربوية والباحثة الاجتماعية بسمة جمال، من القدس، على أهمية تعزيز دور البيت والمدرسة في تطوير لغة الطفل، بقولها:

تُعدّ السياحة الثقافية جسرًا للتقارب بين الشعوب، وأداة لإثراء الهوية الوطنية وتعزيز الحوار الحضاري، وقد شهدت المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة حراكًا ملحوظًا في هذا المجال، عبر مواسم ومهرجانات تستعرض تنوّعها التراثي والفني والفكري. وأسهمت الزيارات المتبادلة محليًا وعربيًا في تنشيط هذا الحراك، بما يعكس صورة السعودية المتجددة والمنفتحة على العالم. إلا أن بعض الفعاليات لا تزال تعاني من التكرار والطرح النمطي، ما يقلل من فاعليتها الثقافية. ولتجاوز ذلك، يُقترح تطوير فعاليات إبداعية تستلهم الموروث بأساليب معاصرة، وتُشرك المجتمعات، وتوظّف تقنيات الواقع المعزز والافتراضي، إلى جانب إطلاق مهرجانات متنقلة ومسابقات لصناعة القصص وتحويلها إلى محتوى بصري، مع دعم الشراكات الثقافية الدولية والمحلية ودمج الفنون الحديثة بالفلكلور. وقد بدأت المملكة بالفعل بتطبيق بعض هذه المقترحات، مثل مبادرة "أدب العلا" وتجارب الواقع التفاعلي في بعض المواقع التاريخية، لكنها لا تزال في طور البناء والتجريب، وتحتاج إلى مزيد من التوسيع والتكامل لتتحول إلى منظومة مستدامة تُعزز الحضور الثقافي السعودي إقليميًا وعالميًا.

*** الزيارات الثقافية استثمار في الإنسان والهوية**



فيما يرى الأستاذ عبد الله الغرابي رئيس نادي الرحالة العرب:

أن الزيارات المتبادلة تسهم في إبراز التنوع الثقافي داخل المملكة، وتعزز من مفهوم الهوية الوطنية الجامعة. أما على الصعيد العربي، فهي تفتح الباب أمام مبادرات مشتركة في مجالات الأدب والفنون والتراث والبحث، ما يعزز من مكانة الثقافة كقوة ناعمة تجمع ولا تفرق. ومن أبرز النتائج المأمولة لهذه الزيارات: إطلاق مشاريع فكرية وفنية مشتركة، وتكوين بيئات ثقافية جامعة، وتمكين الطاقات الشابة، إضافة إلى دعم السياحة الثقافية وتعميق القواسم المشتركة بين المجتمعات العربية. إن الاستثمار في الزيارات الثقافية المتبادلة ليس ترفًا، بل هو استثمار في الإنسان والوعي والهوية. وهي، بلا شك، خطوة استراتيجية نحو مشهد ثقافي أكثر إشراقًا واتساعًا.

أما عن التكرار والروتينية فيرى أن جوهر المواسم الثقافية قائم على التجديد والدهشة، لا على إعادة تدوير ذات الأنشطة والأسماء والأفكار. فالثقافة السياحية بطبيعتها متجددة، ترتبط بالسياق الزمني والمكاني، وتنهل من

قضايا المجتمع وهمومه وتطلعاته. أما أن تظل الفعاليات في نمطية لا تتغير، فهذا ما يفرغها من معناها، ويحوّلها إلى واجب موسمي لا أكثر. وعن التطلعات حول مستقبل السياحة الثقافية يجيب:

- أن تعكس التجربة السياحية الهوية الثقافية الأصيلة للمكان.
- أن تتحول من المشاهدة إلى المشاركة والتفاعل.
- أن تتنوع التجارب بحسب خصوصية كل منطقة دون تكرار.
- أن تُدار الفعاليات برؤية مستدامة تحفظ التراث وتراعي البيئة..
- أن تُدمج الثقافة بالتقنية لتقديم تجربة حديثة وجاذبة.

*التوازن مطلب بين الأصالة والابتكار والمحلي والعالمي

وتشاركنا الرأي وكيلة كلية العلوم والآداب بجامعة نجران، د. وضحى آل ورقش بقولها:

إن الزيارات الثقافية المتبادلة هي رئة المشهد ونافذة التكامل، تُعدُّ رافدًا مهمًّا يُنعش المشهد الثقافي، ويمنحه أبعادًا معرفية وروحية تتجاوز مجرد التنقل الجغرافي.

فالزيارات محليًا تعزز الإحساس بالوحدة الوطنية وسط تنوُّع المناطق، وتُعيد اكتشاف الخصوصيات التراثية التي تثري الوعي الجمعي. أما عربيًا، فتمثِّل السياحة الثقافية جسرًا للتقارب، يعزز من فرص تشكيل تكتل ثقافي يحفظ الهوية ويواجه تحديات العولمة. أما عن التكرار والروتينية في المواسم فترى صواب هذا الرأي إلى حد ما، فتجيب: لقد أصبحت بعض المواسم الثقافية -رغم الجهود المبذولة- أقرب إلى "عُرف سنوي" يكرر نفسه بشعاراته وبرامجه، دون أن يقدم تجديدًا نوعيًا أو خطابًا ثقافيًا متقدِّما، ثم إن المشكلة لا تكمن فقط في تكرار الفعاليات، بل في غياب الرؤية التجديدية والبعد التفاعلي الحقيقي مع الجمهور.

ولتجاوز هذا المشهد، لا بد من التفكير في السياحة الثقافية ليس كحدث موسمي، بل ممارسة مستمرة مرتبطة بالتعليم، والاقتصاد الإبداعي، وريادة الأعمال الثقافية.

أما عن التطلعات حول مستقبل السياحة الثقافية فترجو أن يتحقق نوع من التوازن: بين الأصالة والابتكار، بين المحلي والعالمي، بين الماضي والمستقبل. فالسياحة الثقافية ليست استهلاكا لما مضى، بل إعادة خلقه بلغة الحاضر واحتياجات الغد.

*التنوع الجغرافي من محفزات الإبداع



وتؤكد د. نزهة صافي، من المغرب، رئيسة جمعية نساء رائدات، على أهمية لغتنا العربية كرمز للهوية والحضارة العربية:

تعنى الثقافة السياحية بتجربة الفنانين والمبدعين بالانتقال والعيش في أماكن جديدة وسط المجتمعات المحلية والتعرف على نمط العيش والموروث الثقافي والفنون في تلك المجتمعات. واستلهام التجربة في إبراز كل ذلك في المنجز الإبداعي.. المملكة العربية السعودية بما حباها الله من أنعم عظيمة.. فهي مركز الكون.. قبلة العالم الإسلامي.. منبع الحضارات القديمة . جاءت الرؤيا في ظل قيادة شابة ملهمة تحلم وتحقق ليشهد العالم التطور والتحولات الكبيرة التي طالت صنوف و مناحي الحياة.. الاقتصادية.. الاجتماعية.. الثقافية.. استطاعت أن تقدم وجهًا جديدًا مشرقًا بالنور أبهر العالم.

إن اهتمام القيادة بوزارة الثقافة و السياحة يبرز العناية التي توليها الدولة لإيجاد براز هذا الوجه وتعزيز مكانته بوضع الخطط ورصد التمويل، ثم يأتي دور المبدعين لتنزيل البرامج والخطط على أرض الواقع.

إن دعوة وانتخاب المبدعين و المؤثرين في شتى أجناس

الإبداع من أقطار الأرض. من الشرق الأقصى والغرب والمحيط الإقليمي، وحتى أولئك المبدعين الذين هاجروا إلى المملكة طلبًا للرزق لتجربة السفر السياحي، والتعرف على الحضارة العربية الأصلية ومواقع التراث العالمي والتعرف على الفنون والفلكلور، هو بمثابة الشرارة التي تطلق المخيلة لتلعب دورها في عكس صورة حية للعالم. العالم الذي دعته المملكة بحب وهي تحتضن نهائيات كأس العالم 2034. لا بد أن يستفز المبدع منظر الجبال والشلالات والأطلال والقصور والكهوف والأودية في عسير الجنوب أو أجا وسلمى في الشمال أو سهول تهامة أو أحياء جدة التاريخية والبحر ودرة العروس أو يلفت نظره دقة تصميم زي شعبي، أو حرفية صناعة قوارب الصيد في الشرقية أو رقصة شعبية على نغم حجازي، تلك لقطات تختزنها ذاكرة المبدع وحالما تختمر تخرج في ضربة فرشاة أو رنة وتر موسيقي أو منحوتة فنية أو فيلم أو قصة أو رواية وقصيدة.

*ما بين التكرار والحصاد فرصة قائمة للابتكار

فيما تطمح الأديبة والناقدة ندى الغامدي:

إلى أن تتحول السياحة الثقافية في المملكة إلى مسار اقتصادي ومعرفي مستدام، يُسهم في رفع جودة الحياة، من خلال تعليقها على محاور القضية، حيث أفادت:

تُعد السياحة الثقافية إحدى الركائز الأساسية في بناء جسور التواصل بين الشعوب، ومن أبرز الوسائل التي تستعرض من خلالها الدول تاريخها وهويتها الثقافية، عبر تراثها وموروثها وفنونها الشعبية وعاداتها الاجتماعية. في المملكة العربية السعودية، شهد هذا النوع من السياحة اهتمامًا متزايدًا ضمن مستهدفات رؤية المملكة العربية السعودية 2030، ما جعل من الثقافة والتراث أحد عناصر القوة الناعمة التي تسهم في ترسيخ حضور المملكة العربية السعودية في الخريطة الثقافية السياحية العالمية. ويسهم تبادل الزيارات محليًا وعربيًا في تعزيز الحوار الحضاري، وبناء روابط ثقافية بين مختلف الشعوب. لا تكتفِ الزيارات بترويج التراث والموروث الشعبي، بل تُعد فرصة للتفاعل والتعلّم والاستلهام. من خلال هذه المبادرات، يستطيع الزائر العربي أو المحلي أن يتعرف على تنوع التراث في المملكة، ما يسهم في إثراء المشهد الثقافي ويوفر تجربة غنية تنسجم مع تطلعات الزوار المحليين والدوليين.

ويرى بعض المهتمين أن هناك تكرارًا في الأنشطة والمواسم الثقافية، وأنها تُقدَّم في كثير من الأحيان بنفس القوالب، رغم ما تَحَقق من جهود واضحة في إحياء السياحة الثقافية، وهذا ما يتطلب تطويرًا مستمرًا في آليات التخطيط أولًا ثم التنفيذ، من خلال:

- الاستفادة من تقنيات الواقع الافتراضي والمعزز؛ لخلق تفاعل أكبر مع التراث.
- إشراك الشباب والمجتمعات المحلية في صياغة التجربة الثقافية.
- الربط بين التراث والحداثة بأسلوب عصري يعكس الهوية السعودية بروح

ونطمح إلى أن تتحول السياحة الثقافية في المملكة إلى مسار اقتصادي ومعرفي مستدام، يُسهم في رفع جودة الحياة، وتوليد فرص استثمارية. من أبرز التطلعات: تعزيز حضور التجارب الثقافية الأصيلة بما يتماشى مع الطلب العالي على هذا النمط من السياحة. إضافة إلى تحويل مواقع التراث إلى مساحات تعليمية وتفاعلية تجذب الأطفال والناشئة.

ختامًا، يقاس نجاح السياحة الثقافية بعمق التأثير، وتجدد الرؤية، واستمرارية الأثر.. ما بين التكرار والحصاد، تبقى الفرصة قائمة وحاضرة لتشكيل مشهد ثقافي حي ومتجدد، يعكس ثراء الماضي وطموح المستقبل.

*التلاقح الثقافي يصنع من الجغرافيا خريطة وجدانية



أخيرًا نختتم حديثنا مع رئيس النادي الأدبي بنجران سعيد آل مرضمة الذي يعزز السياحة الثقافية كواحدة من تلك الظواهر التي تُقاوم النسيان، وتُراهن على أن الذاكرة الجماعية ليست مجرّد أرشيف، بل مصدر حياة متجددة. إنها ليست مجرد مواعيد على رزنامة الفعاليات، بل رحلة وعي، ووسيلة للانفتاح على الآخر، عبر بوابة الذات أولًا.

الزيارات الثقافية المتبادلة.. من التلاقي إلى التكامل.

حين يلتقي مثقف من نجران مع باحث من فاس، أو حين تتحاور فنون عسير مع موسيقى تونس، فإننا لا نتبادل فقط فنونًا وعروضًا، بل نُعيد -من حيث لا ندري- صياغة الوعي الجمعي العربي من جديد.

إن الزيارات الثقافية المتبادلة تشكّل العمود الفقري لهذه السياحة، بوصفها ساحة لاكتشاف ما نعرفه وما نجهله. فهي تذيب الفوارق الجغرافية وتفتح آفاق التعاون المعرفي، وتصنع من الجغرافيا خريطة وجدانية تتجاوز خرائط الحدود.

لكن هذا الأثر الإيجابي لا يتحقق إلا إذا كانت هذه الزيارات نابعة من مشروع ثقافي حقيقي، يحظى بالدعم المؤسسي والمجتمعي معًا. لا يكفي أن تُنظم الوفود والبرامج، بل يجب أن تُبنى على رؤية تعرف أن الثقافة ليست ترويجًا لصورة، بل بناء لقيمة.

والتحدي الحقيقي أمام السياحة الثقافية اليوم هو أن تتحول من "مهرجانات" إلى "مشروعات".. أن تكف عن كونها حدثًا موسميًا، وتصبح فعلًا ممتدًا، يُربّى في المدارس، ويُناقش في الندوات، ويُستثمر في الإعلام.

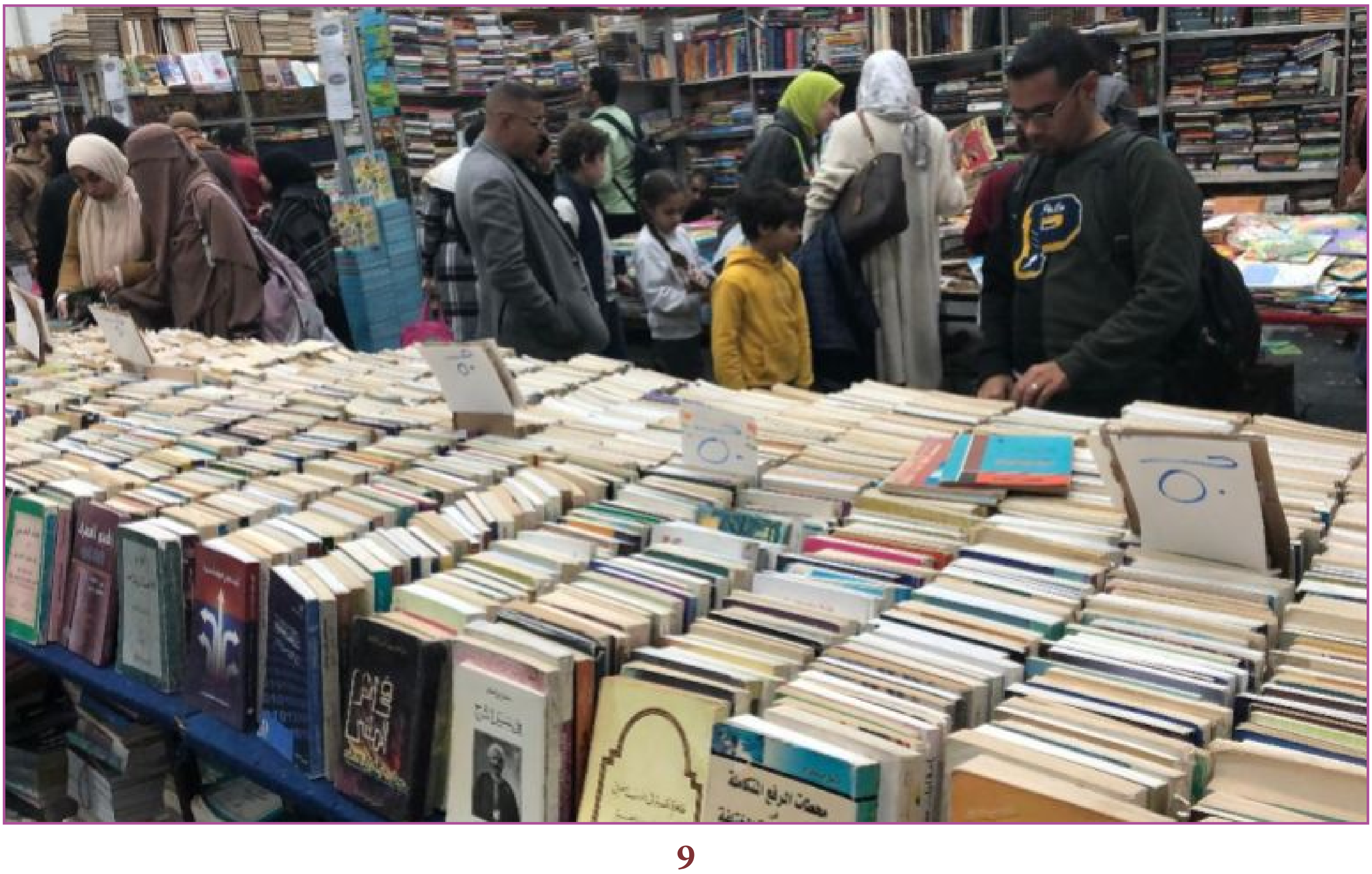
إن التطلع الأكبر هو أن نرى كل مدينة، وكل منطقة، تخلق مشروعها الثقافي الخاص: مشروع لا يكتفي بعرض التراث، بل يُعيد قراءته بلغة العصر، ويشرك فيه أبناءها، لا كمستفيدين فقط، بل كمُنتجين وشركاء.

تمامًا كما فعلت "العلا"، حين مزجت بين أطلال التاريخ وأصوات الفن المعاصر، وخلقت حوارًا بين الزمنين. وكما فعلت فاس في أسواقها العتيقة التي احتضنت معارض الخط والحرف والفكر معًا.

أخيرًا: السياحة الثقافية، إذا أُحسن استثمارها، ليست فقط وسيلة لإحياء الماضي، بل أداة لصناعة المستقبل. إنها مرآة لهويتنا، وحقل نزرع فيه أسئلتنا، ونحصد منه وعينا.

فهي ليست محطة للتسلية، بل دعوة إلى إعادة اكتشاف الإنسان فينا...

الإنسان الذي يحمل الذاكرة في قلبه، ويصنع منها مستقبلًا أكثر وعيًا، وأكثر جدارة بالانتماء... .



الأديبة عبير علام: كلما أحببت لغتك.. وهبَتْك الكنوز ومنحتك الدرر

حوار هناء حسن الحويصي



* الشعر اختطفني من النثر حتى أكاديميًّا.
* عشتُ بين الرواياتِ زمنًا، مطالعةً وبحثًا.
* ليس بين الإنسان ولغته حربٌ وإثباتُ ذات.
* برزت على الساحة الشعرية أصواتُ شاعراتٍ متميّزات لا يُشبهنَ إلّا أنفسهنّ.
* الجهات الرسمية لا تنفق إجمالًا على الثقافة والأدب...
* باتت الأكثرية تركض لاهثةً للوصول إلى الشهرة على حساب الأدب وحُرمة اللغة ومسؤولية الحبر والقلم.
* "نبضُ الأزرق" هو نبضُ البحر فيَّ ونبضُ الحبرِ فيَّ.

بنبضها الأزرق وأحرفها المشبعة بالشعر والدلالة، جاءت من ضفاف الكلم لتملأ فرقد بهجةً وأدبًا. مؤلفة الكتاب النقدي "شعرية السرد وسيميائيته"، وكاتبة دواوين .(العاشرة فجرًا، وسط البلد، دانيال أو صلاة استسقاء الحبيب، دمشقي وأنت، ونبض الأزرق).

نُرحّب في فرقد الثقافة والأدب بالكاتبة والأكاديمية اللبنانية عبير حسن علام، فيا أهلًا ومرحبًا.

1- "المناخ النفسي ضرورة ملحة في حياة الشاعرة والأديبة" ماذا عن المناخ البيئي، حدثينا عن مدينة الهرمل البقاعية؟

إذا شئتِ وصفَ مدينتي شكليًّا وخارجيًّا، فيمكنك اختصار ذلك بعبارة من ثلاث كلمات: "واحةٌ في صحراء". أمَّا حين تدخلينها وتتجوَّلين في حاراتها وتتمشَّين في شوارعها وتتنشَّقين نسيمها، وعندما تنفض قطراتُ مطرِها الغبارَ عن روحك، وبعد أن يجري نهرها بعينَيكِ تحت حفيف الأشجار الوادعة على ضفَّتيه، فلن تغادركِ.. ستحيا فيكِ ما حييتِ. وهذا ما أدركتُه بعدما انتقلتُ منها للعيش في العاصمة. وقد تجذَّرَ فيَّ حبُّها أكثر فأكثر بعد أن اغتربتُ عن لبنان. من آخر ما كتبتُه فيها: "لا مثنَّى في لهجة ضيعتي.. إمَّا أن تتوحَّدَ وتتعدَّدَ في النهر أو تفنى".

الهرمل مدينةٌ تجمعُ بين طابع المدينة وطابع الريف. فيها من كلِّ شيءٍ شذرة ولا تشبه إلا نفسها.

إنَّ احتضانَ الهرمل الوافدَ إليها _بحيث تتَّسع عند مدخلها وكأنَّها تفتح يديها لعناقك_ يجعلها عصيَّةً على النسيان، ويجعلكَ تغصُّ لفراقها وأنت تغادر حتى إذا كنتَ غريبًا عنها. فكيف بمن وُلِدَ وترعرعَ فيها؟! برغم المسافات التي تفصلني عنها، فإنَّ نسيمَها يدغدغ روحي ونهرَها يجري في كياني وحفيفَ الحورِ فوق عاصيها يهمسُ لقلبي سمفونياتٍ عذبةً من شوقٍ ولهفة وحُبٍّ ولوعة فراق. ثمَّ أنها كانت بالطبع موطن الحُبِّ الأوَّل والذكريات التي لا تُنسى، وفيها العائلة وبدايةُ تَشَكُّل العلاقات الاجتماعية والإنسانية والصداقات التي تدوم.

ورغم ذلك، فإنَّني لم أتنبَّه إلى تأثيرها في وجداني وكتابتي إلَّا بعد اغترابي عنها وعن لبنان بشكلٍ عام. يظهر ذلك الأثر بشكلٍ واضح في بعض نصوص كتابي الأخير "نبض الأزرق" حيث كتبتُ: "أخبرني عن بيتي، عن أهلي، عن وطني، عن ولدي، عن تربةٍ في حديقة أبي دفنتُ طيَّها كبدي. عن أمّي، ببالِ فيروزَ هناك، تسابقُ إليها الشمسُ القمر".

و"لم أعرفْ سِواكَ كائنًا نهريًّا شجَريًّا شجَنيًّا كَمثلِ تماوُجِ روح النسائم الألوهية في قريتنا المائية".

2-" مع الشعر وبفضله عثرت على الكثير مما كان خبيئًا عني.. ماذا يقدم الشعر للشاعر؟

يقدِّمُ له حياةً...

عشتُ بين الرواياتِ زمنًا، مطالعةً وبحثًا. قرأتُ منها الكثير وكتبتُ عنها العديد من الأبحاث والقراءات النقدية. استهوتني الروايةُ طويلًا وما زالت تستهويني. كذلك ما زلتُ أُحِبُّ النثر وأعشقُ كتابته وأجدُني فيه.

إلَّا أنني يومَ دخلتُ محراب الشعر اختطفني. يهمُّني هنا التأكيدُ على أنني لستُ شاعرة. أنا ما زلتُ أحاولُ في الشعر وأحبو على أولى درجات سُلَّمِه. فالمشوارُ طويلٌ مُتشعّبٌ كرحلة الداخل في غاباتٍ عُذرية، والاكتشافاتُ الكثيرةُ ما زالت أمامي ولم تبدأ بعد. وأولى بوادرها أنَّ الشعر اختطفني من النثر حتى أكاديميًّا؛ فبعد أن كانت رسالة الماجستير خاصَّتي في الرواية وكان من الطبيعيِّلأطروحة الدكتوراه أن تذهب في الاتّجاه عينه، نحَت بي الدربُ إلى الشعر.

وذلك لتأثُّري بكتابة ثلَّة من الشعراء اللبنانيين الشباب، أذكرُ منهم على سبيل المثال لا الحصر: "حسن المقداد"، و"علي الرفاعي"، و"كميل حمادة".

مع الشعر وفيه اكتشفتُ عوالمَ خبيئةً. وقد أصبحَ من تفاصيل يوميَّاتي، بحيث أقرأ الشعر وأستمع إليه يوميًّا. ويمكنني أن أؤكّدَ لك أنَّ حياةً دون الشعر ليست كالحياة مع الشعر. إنَّه نورٌ خالصٌ يملأ حياتك رؤًى وحكمةً وتجلّيًا. أهداني الشعر العاصفَةَ والسكينة معًا. وقد غيَّرَ حتى من طباعي. صرتُ ألجأُ إليه وأجدُ فيه الملاذ والتشافي والاستغناء والغِنى.

بعبارةٍ واحدة: الشعرُ أنشودة الحياة وأيقونة الوجود.

3- ما أثر الأستاذ سهيل الطشم على فكر وثقافة عبير علام؟

الأستاذ والمُربّي الفاضل سهيل الطشم _رحمه الله_ لم يكُن مُدرِّسًا وحَسْب، ولم يكن قبَسًا من نورٍ فقط. بل كان نورًا وشمس صباحٍ لكلِّ طلَّابه، وأنا واحدةٌ منهم. لم يكن التدريس بالنسبة إليه مهنةً، بل رسالة اجتماعية وفكرية يحملها ويوصلها بشغف العاشق المُريد. فقد كان على صلةٍ وثيقةٍ بطلَّابه وأهاليهم؛ ما جعل عملية دراسة الأدب تمتدُّ إلى خارج المدرسة وتتداخل مع حياة الطالب في المنزل وبين أُسْرته. شملتني هذه القاعدة بفضل الصداقة القائمة بينه وبين أبي. لكن قبل ذلك، وقبل أن يُدرِّسني الأستاذ سهيل مادَّة اللغة العربية في الصفِّ التاسع، كان أستاذي السابق كلَّما تقدَّمتُ إليه بموضوعٍ إنشائيٍّ يقول لي: من كتبَه لك!؟ أمَّا الأستاذ سهيل، فقد انتبه إلى موهبتي في الكتابة ورعاها ونمَّاها. لا

أنسى أنَّه ذات يوم -وكان عيد الأمِّ قد اقترب_ كتبَ لي على ورقة التعبير الكتابيِّ _الذي طلبَ منَّا أن نكتبه_: "هنيئَتْ أمٌّ أنتِ بنتٌ لها". وكان طلَّاب صف البكالوريا _وكان صفَّ شهادة رسمية آنذاك_ يخبرونني أنَّه يقرأ عليهم موضوعات التعبير التي أكتبها ويقول لهم: تعلَّموا كيف تكون الكتابة. أذكرُ أنَّني وقفتُ لـِ (تسميع الدرس) أمامه في بداية ذلك العام الدراسي، حيث تنتقل من دراسة نصوص بسيطة إلى فهم الأدب ودراسته، ولم أكن أقتنع بالحفظ (طبعًا ما زلتُ لا أقتنعُ به وأرفض استخدامه نهجًا مع طلَّابي). خانتني ذاكرتي وأنا واقفةٌ أمامه، فما كان منّي إلَّا أن أعدتُ الدرس كما فهمتُه بالطريقة التي شرحه هو بها، فصفَّق لي وهنَّأني، وأشاد أمام زملائي بقدراتي في الفهم والتحليل...

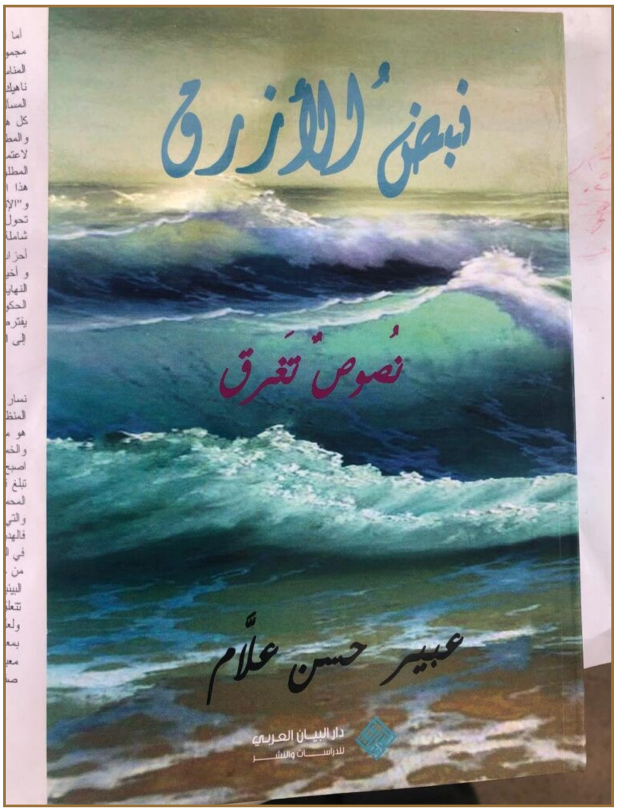
ثمَّ كرَّت الأيام وعلَّمني أساتذةٌ آخرون إلى أن وصلتُ بعد سنتين إلى صف البكالوريا، وكنتُ أتفوَّق على زملائي في مادَّتَي الأدب العربيّ والأدب الفرنسيّ وأسجّل العلامة القصوى. فبلغَني أنَّ الأستاذ الأسبق يقول للأستاذ سهيل: عبير تلميذتي. وسألَني أبي _ وقد كان مشرفًا (ناظرًا) في الثانوية_: من هو أستاذك؟ فأجبته على الفور: الأستاذ سهيل هو أستاذي وهو صاحب الفضل عليَّ.

التحقتُ بالجامعة وبقيَ أستاذي يُتابعني، وكنتُ ألجأ إليه وأسأله. وكان قد قرأ كتاباتي قبل ذلك بسنوات وشجَّعني على الاستمرار في الكتابة. نلتُ شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها والتحقتُ بالدراسات العليا. وكان أن مرضتُ مرضًا شديدًا قبل امتحانات نهاية السنة. أمضيتُ في المشفى وقتًا طويلًا. ولمَّا غادرتُه كان جسمي متورمًا وشعري قد تساقط، ولم أكن أرى بشكلٍ واضح. كان الأستاذ "سهيل" يجلس معي لِساعات ونتناقش في الأبحاث المطلوبة منّي. ثمَّ يغادر، فتجلس معي أختي لأقرأ عليها ما أودُّ كتابته وتقوم هي بكتابة ما تسمعه على الحاسوب. وبعد طباعة البحث كنتُ أعيد عرضَه على أستاذي ليعطيَ الموافقة النهائية. وكان عليَّ أن أتقدَّم بمشروع بحث الماجستير إلى الجامعة فيما الوقت يداهمني وقد خسرتُ معظمه في المشفى. فما كان من أستاذي إلَّا أن اصطحبني مع أبي إلى البروفيسور "علي مهدي زيتون" _وهو علَمٌ وعلَّامةٌ في النقد_ وشرح له وضعي. خرجتُ ذلك اليوم من دارة البروفيسور "علي زيتون" وفي ذهني مخطَّطٌ للبحث ورحتُ أعمل عليه بسرعة بمساعدة أستاذي وإشرافه دائمًا..

لقد أنقذني أستاذي في ذلك اليوم.

خلال رحلة إعداد رسالة الماجستير كنتُ أطلعُه على ما أنجزُ من الرسالة. كان البروفيسور "علي زيتون" يقيمُ خلال تلك السنوات جلسات نقدية دورية حول الروايات التي تصدر حديثًا. كان البروفيسور يخبرني بتاريخ الندوة ويوفّر لي الرواية المرصودة لها، فأقرأها وأعدُّ ورقةً نقديَّةً حولها. وفي كلِّ ندوة كان يرافقني والدي والأستاذ سهيل وأرى هناك _بينما ألقي مضمون ورقتي على الحضور_ التماعَ الفرح والزهو في عيونهما.

لم تنتهِ رحلتي مع الأستاذ سهيل بمناقشة رسالة الماجستير حيث حضر ككل أبٍ فخورٍ بابنته، سعيدٍ بحصاد السنين. بل



بقيَ إلى جانبي، يتابع ما أكتُب وينتظر حصولي على الدكتوراه بحرص أبوَّته ولهفته المعهودة.

إلى ذلك أثَّرَ الأستاذ سهيل في منهج تفكيري ورؤيتي إلى القضايا الأدبية منها والفكرية والاجتماعية. كان يناقشني في كلِّ تساؤلاتي التي كنتُ أطرحها عليه ويبتسمُ قائلًا: يا بنت، أنتِ ماركسية!

لـ "سهيل" من اسمه النصيب الكبير؛ فقد يسَّر لي دروبي وذلَّل العقبات التي واجهتُها دون أن ينسى إعطائي الدرس والعبرة عند كلِّ تجربةٍ أخوضها. كان أبًا روحيًّا لي، وما يزال. كان يرشدني حتى اجتماعيًّا. لا أنسى مثلًا حين قال لي في إحدى

جلساتنا: "يمكن للرجل المتعلّم المثقَّف أن يرتبط بامرأةٍ عادية بل حتى أمّيَّة، أمَّا الأنثى، فلا تستطيع أبدًا الارتباط بمن هو أدنى منها علمًا وفكرًا وثقافةً".

لم يكن "سهيل" يومًا أستاذًا فحَسْب. لم يناديني مرَّةً بغير "يا ابنتي". أستذكره في مواقف كثيرة اليوم وأهدي روحه الخضراء أسمى تحيَّاتي. "سهيل"، لا يمكنني اختصاره بكلمة ولا بكتاب. لعلَّ دموعي تفصحُ عمَّا في وجداني له من دون الناس وتجدد وعدي له بأنَّني لن أنساه مع حييت وبأنَّه يرافقني في كلِّ خطوةٍ إلى الأمام ولكلِّ إنجازٍ أحقّقه.

-4 شاركينا أسماء كتب لا تزال ملامحها مرسومة في باطن طفولتك...

إن كنتُ سأتحدَّث عن الطفولة بمعناها الحرفي، فإنَّ الأمر فيه طرافةٌ؛ لأنَّ العناوين الأولى قد تكون مضحكةً لمن سيطَّلع على هذا الحِوار. لكن بالنسبة لي، هي نوستالجيا رائعة، تجربتي مع الحروف الأولى، حيث كان والدي يُحضرُ إليَّ الكثير من قصص الأطفال. لا أنسى بينها قصَّةً نسيتُ عنوانها حرفيًّا، لكنَّ موضوعها كان يدور حول الساعة والوقت. وأتذكَّر أنني قرأتُ بعدها قصَّةً بِعنوان "بسبوس الأعرج"، وهي تحكي مغامرات قِطٍّ قد جُرِحَت قائمتُه. والقصَّة مكتوبةٌ بطريقةٍ تجعلك تتعاطف مع القطِّ تارَّةً وتغضبُ منه تارَّةً أخرى وتضحك على مقالبه معظم الأحيان. وبعد ذلك قرأتُ قصَّةً تروي يوميات قطعة معدنيَّة بين الحصَّالة والمتجر وأيدي الأطفال وجوارير الدكاكين. كانت قصَّةً مؤثِّرةً جدًّا وأكثر من رائعة. هذه القصص التي رسخت في ذاكرتي من الطفولة المبكرة أكثر من سواها لشدَّة تأثيرها فيَّ.

ثمَّ انتقلتُ إلى قراءة قصص "توفيق يوسف عوَّاد" ورواياته ومؤلَّفات "مارون عبُّود". في تلك الفترة قرأتُ كذلك "جبران خليل جبران" وبعض مؤلَّفات "ميخائيل نعيمة". أنهيتُ تلك المجموعات كلَّها في صيف 1990 وكنتُ حينها في العاشرة من عمري. في ذلك الصيف قرأتُ "كليلة ودمنة" كذلك. كلُّ هذه العناوين أثَّرت في تكوين شخصيَّتي لا سيَّما مؤلَّفات "جبران خليل جبران" و"توفيق يوسف عوَّاد".

واستمرَّت قراءاتي لكلِّ ما يقعُ في يدي من كتُب ومجلَّاتٍ. أذكر من الروايات "قشتمر"، و"مجدولين" وروايات "نجيب محفوظ" و"إحسان عبد القدوس". في تلك المرحلة كانت في مكتبة والدي روايتان ضخمتان، واحدةٌ بعنوان "كيف سقينا الفولاذ" والثانية بعنوان "إبنة النار". وقد أنهيتُ الأولى بعد جُهدٍ ووقتٍ طويل. أمَّا الثانية، فكنتُ أعود إليها مِرارًا لكنَّني لم أنهِ قراءتها حتى الآن!

وعندما انتقلتُ إلى المرحلة الثانوية، لم تسلَم مكتبة المدرسة من غزواتي شبه اليومية. وهكذا قرأتُ خلال ثلاث سنوات معظم الكتب الأدبية التي كانت تكتظُّ بها رفوف المكتبة. حتى أنَّني غيرَ مرَّة انشغلتُ بإنهاء مطالعة كتابٍ بدلًا من التحضير لامتحان اليوم التالي. أذكر على وجه التحديد يوم كان مُقرَّرًا لليوم التالي امتحانٌ في الفلسفة، وكنتُ قد حصلتُ بعد محاولاتٍ مُستميتة على ديوانٍ ضخم جدًّا يتضمَّنُ معظمَ قصائد "نزار قبَّاني". في ذلك اليوم غرقّتُ في صفحات الديوان وتناسيتُ امتحان الفلسفة. في تلك المرحلة كنتُ أستمعُ إلى قصائد الشاعر السوريِّ "عمر الفرَّا". أمَّا خلال مرحلة "الليسانس"، فقد حفرتْ في شخصيَّتي روايات "أحلام مستغانمي" وأغنيات "زياد الرحباني" و"خالد الهبر" و"الشيخ إمام". أمَّا "مرسيل خليفة" الذي كنتُ أستمعُ إليه منذ صِغَري، فلا يزال المؤثّرَ الأوَّل. وفي الشعر كنتُ أقرأ "جوزيف حِرب" في تلك المرحلة.

-5 "الفصاحة ترتبط بالتذكير" هل استطاعت المرأة أن تتحرر من فحولة اللغة؟

ليس بين الإنسان ولغته حربٌ وإثباتُ ذات. بل على العكس تمامًا، كلُّ ما تريده في الحياة تحصلُ عليه بالحُبِّ.. بالضمِّ، لا بالكسر.. واللغة لا تشذُّ عن هذه القاعدة.. ثمَّ إنَّ الجندرة ليست مبحثًا للتداول هنا.. اللغة لأبنائها وليست للأنثى أو للذكر أو للأنثى والذكر.. هي لغة الإنسان.

وبالعودة إلى الفصاحة أعيدُ وأقول: اللغةُ تُسلِمُ قيادها بالحبِّ.. كلَّما أعطيتَها قدَّمت لك، وكلَّما أحببتها وهبَتْكَ كنوزًا لا حصرَ لها، وكلَّما وفيتَ لها بادلتكَ بفتحِ أبواب أسرارها على مصراعَيها. لا يتعلَّق الأمر بمن تكون أو بماذا تكون أو بهويَّتك الجنسية. أطلعُك الآن مثلًا على سرٍّ؟ كنتُ أدرسُ الأدب الفرنسيَّ في الجامعة لأنَّني أحبُّ هذه اللغة حُبًّا جمًّا ولأنَّني ضليعةٌ فيها. لكن خلال دراستي في السنة المنهجية الأولى كنتُ أزور

أصدقائي في محاضرات الأدب العربيّ. وكان أن وقعتُ في حبِّ اللغة العربية وأدبها من حيث لا أدري. بل لقد عشقتُها إلى درجةٍ جعلتني أغيّرُ مسار دراستي وأتحوَّلُ إلى دراسة الأدب العربيِّ.. وأجِدُ في ذلك ردًّا على من يستسهلون الكلام على صعوبة اللغة العربية. لا أقول إنَّها لغةٌ سهلة، لكنَّها لغةٌ إن أخلصتَ حُبَّكَ لها توَّجتكَ بتيجان دُرّها المكنون. ورغم إصراري على رفض الطرح وتأكيدي أنَّ الأمر ليس سبقًا بين الجنسين، لكن يمكننا تذكُّر أسماء كثيرةٍ لنساء يُشهد لهنَّ بالفصاحة والقدرات العالية والموهبة في التعامل مع اللغة. منهنَّ على سبيل المثال لا الحصر في الإبداع نثرًا "أحلام مستغانمي" وشعرًا "روضة الحاج"، و"آيات جرادي" و"هبة علاء الدين"، وفي النقد الكبيرتان "خالدة سعيد" و"يمنى العيد".

6- هل على الشاعر أن يقيم وزنًا لرأي الآخرين.. عندما يتعامل مع لحظة انفجار القصيدة؟

ليس على الشاعر أن يتعامل إلَّا مع انفجاراته الداخلية، فهي وحدَها التي تصنعُ توهُّجَه. للمتلقّي أن يقرأ أو لا يقرأ، أن يُعجَب أو لا يُعجَب، وللناقد أن يتتبَّعَ خطوات الإبداع. وقد كتبتُ في سياقٍ مُوازٍ: "الشعر يقول ويمشي على أثره المنظَرون والنُّقَّاد، وليس العكس. ففي البدء كان النصُّ، في البدء كان الشعر".

7- يقول أدونيس "لو قارنّا بين جيل ما سمي الحداثة وما تكتبه المرأة العربية الشابة اليوم فأنا أفضل شعر المرأة وقد سبقتنا بكثير؛ لأن المعنى العميق المخبوء بدأ يظهر في شعر المرأة وليس الرجل.." هل ما زالت المرأة الشاعرة تقلق من وجودها على الساحة الشعرية أم زال هذا الشعور في عصرنا الحالي؟

لقد قرأتُ للمُفكّر العظيم "أدونيس" معظمَ مؤلَّفاته في النقد، وتابعتُ عدَّة لقاءات معه. لا أعرفُ المناسبة التي صرَّحَ فيها برأيِه هذا. وأكنُّ لِفكره وآرائه كلَّ الاحترام. ونحن نستقي منه وننهل من منابعه الصافية الغزيرة.

لكن كما ذكرتُ آنفًا، الأمرُ يتعلَّق بالإنسان ولا يتعلَّقُ بالتصنيف الجندري. كلُّ إنسانٍ مُبدِعٍ لديه استعداداته وموهبتُه التي يصقلُها بالقراءات والتفكُّر ولا يُهمِلُها، ليس عليه أن يقلق بشأن وجوده وحضوره أدبيًّا.

وقد برزت على الساحة الشعرية أصواتُ شاعراتٍ متميّزاتٍ لا يُشبهنَ إلَّا أنفسهنَّ في صدورهنَّ لغةً وشعرًا عن المعنى الذي ارتدنَه وأردنَ الإفصاح عنه. تحضرُني أسماءٌ مُتوهّجة على الساحة اللبنانية، كالشاعرة "حنان فرفور" والشاعرة "أسيل سقلاوي". هذا لا ينفي الحديث عن ظاهرةٍ سلبيةٍ تفشَّت مؤخَّرًا وساعدت في تفشّيها وسائل التواصُل. فبرزت أصواتُ نشاز. وهي للأسف _وأقولها بصراحة_ أصوات نساء. فقلَّما تجدين بين الرجال من يدَّعي كونه شاعرًا. المؤسف أنَّ موجة الاستخفاف التي نشهدها على مواقع التواصل قد طالت الأدب بشعره ونثره، وأنَّ المهووسين بالشهرة وجدوا في الأدب سلَّمًا يتسلَّقونه إلى غاياتهم. وأرى أنَّ من واجب النقَّاد كبح جماح هذه التجاوزات. كما أنَّ مجتمع الجمهور معنيٌّ بهذا الأمر، لأنَّنا بتنا نجدُ أيَّ أحد لا صفة معنوية أو أدبية له (يطوِّب) أيًّا كان شاعرًا ويَهبُهُ الألقاب الطنَّانة الرنَّانة المجَّانية. ويحضرني هنا كأبلغتعبيرٍ عن هذه الحالة ما يقوله الشاعر اللبنانيُّ "حسن المقداد":

"في الكلام المُباح والمتماهي
كامتداحِ الهواةِ نصَّ الهُواة"

8- يقول جراهام جرين في مذكراته عن الرواية "كتابة رواية تشبه وضع رسالة في زجاجة وإلقاءها في البحر، وقد تقع في أيدي أصدقاء أو أعداء غير متوقعين". ما رأيك في من يستسهل كتابة الرواية، وهل يوجد لدينا تصنيفات نقدية واضحة للرواية؟

سأبدأ بالإجابة من حيث انتهى سؤالكِ.. نعم، بالطبع هناك تعريفات وتصنيفات واضحة لا لبسَ فيها للرواية وأنواعها. ومع وجود التصنيفات الواضحة يبقى التعريف قابلًا للتطوُّر والتغيُّر بتغيُّر المعطيات المتعلّقة بمواكبة التغيُّرات المتسارعة؛ ما ينعكس مباشرةً على الرواية. وهذا يُذكّرني دائمًا بتعريف الناقد والروائيِّ السوريِّ "نبيل سليمان" الذي يقول إنَّ "الرواية فنٌّ هجينٌ، بمعنى أنَّه يلتهم فنونًا ومعارف ويتخلَّق في لغات" وأنَّها "جنسٌ أدبيٌّ بلا تخوم، غول، بحر مفتوح، أفق مفتوح. وسواء في الرواية العربية أم في سواها، الآن أو في الأمس القريب، فالرواية مُشرعة على التاريخ والفلسفة والشعر... لذلك ثمَّة من يتحدث عن موت الرواية أو تبديلها كأفعى

لجلدها، بِفعل علاقتها بالأجناس الأدبية وغير الأدبية". وهو يرى أن "ليس للرواية مهمَّة محدَّدة، كلُّ شيءٍ يمكن أن يكون مهمَّة الرواية". وهكذا يتأكَّد لنا أنَّ قدرات الرواية على التجدُّد والتخلُّق في كيانات وأساليب جديدة أو طارئة، لا حصر لها. أنا لا أرفض مقولة إنَّ الرواية بطل هذا الزمان. لكن بقدر ما يعود هذا التصنيف إلى ما شهدَته الرواية وتشهدُه من إقبال واهتمام ودراسات وبحثٍ، بقدر ما يعود إلى انفضاضنا نحن العرب عن الشعر الذي هو ديوان العرب. وفي توصيفٍ تمثيلي (إن صحَّ التعبير) لِتوضيح الفكرة، يمكننا تشبيه الرواية والشعر بالوالدَين اللذين مهما ابتعد عنهما الأبناء فهم لصيقون بهما، واللذين لا يمكن المقارنة أو المفاضلة بينهما في درجة الحُبِّ أو في الانتماء.

أمَّا فيما يتعلَّق باستسهال كتابة الرواية، _وهنا لا بدَّ من الاستطراد إلى التصنيفات_ فمن المؤسف أن تكون الإجابة نعم، ومن المؤسف أكثر أنَّ عجلة التطوُّر هي أحد الأسباب. كيف ذلك؟ سأجيبك: إنَّ وسائل التواصل الاجتماعي ومنصَّاته أصابت الناس بهوَس الشهرة، فباتت الأكثرية تركض لاهثةً للوصول إلى الشهرة وإن كان ذلك على حساب الأدب وحُرمة اللغة ومسؤولية الحبر والقلم. أنتِ ترينهم يدمّرون حياتهم الأسرية ومظهرهم بين الناس من أجل الظهور، فهل سيأبهون لِأمر الأدب!؟ واقعُ الأمر أنَّ وسائط التواصُل أدخلت إلى الساحة الأدبية عددًا هائلًا من الدُّخلاء على الأدب. وقد اعترضتني عدَّةُ مواقف لا تُنسى على هذا الصعيد لا مجال للدخول في تفاصيلها الآن. لكن من خلالها ومن خلال تجارب أصدقائي في الوسط الأدبي وما نشهده في الواقع وفي العالم الافتراضي، يمكنني أن أؤكّد لكِ أنَّ بين من يظنُّون أنفسهم الآن يكتبون الرواية من لا يعرف الفرق بين القصَّة القصيرة جدًّا والومضة، ومن لا يعرف الفرق بين القصَّة القصيرة والخاطرة، ومن لا يعرف الفرق بين النوفيلا والرواية أو حتى الفرق بين النوفيلا والمقالة! المشهد باختصار كوميديا سوداء. أنا على يقينٍ من أنَّ مَن يقومون بذلك لديهم فراغٌ هائلٌ في حياتهم، وكان أنْ كتبوا خاطرةً فشجَّعهم أحدهم ممَّن لا علاقة له بالأدب أساسًا. ولو كنتُ في موقع توجيه النصيحة لنصحتُ هؤلاء بأن يملأوا وقت فراغهم بالقراءة، وأن يقرأوا عشرات بل مئات الكتب قبل أن يجازفوا بكتابة حرف، وألَّا يستسهلوا في القراءة كذلك فيقرأوا أيَّ مجموعة أوراقٍ تقع في يدهم. لأنَّه من الأهمِّيَّة بمكان أن نفهم ماذا نقرأ وندركَ لماذا نقرأ. فالقراءة العشوائية أيضًا ضارَّة لمن لديه مُخطَّطٌ لِمشروعٍ أدبي.. القراءة العشوائية للهواة. وأنصحهم أخيرًا بالصدق مع أنفسهم: إن كنتم هواةَ مُطالعة _وهذا أمرٌ عظيمٌ يُحترَم_ فهذا ليس بالضرورة دليلًا على أنَّكم أدباء المستقبل. وإلَّا فسيصبح الجميع كُتَّابًا ولن يجدوا قُرَّاءً لهم! كيف يعرف المرء ما إذا كان مشروع أديبٍ أم لا؟ بالصدق مع نفسه والإخلاص لها أوَّلًا من خلال النقد الذاتي القاسي والبنَّاء، ثمَّ باستشارة أهل الاختصاص وسؤالهم، ثمَّ بالاستماع إلى النقد الحقيقي والرأي الصادق من الآخرين حتى إن لم يتوافق ذلك الرأيُ مع تطلُّعاته، بدلًا من الاحتفاء بالآراء المتزلّفة ممَّن هبَّ ودبَّ وممَّن ليسوا أهلَ اختصاص.. لكنَّ المرء يميلُ لِمن يُضحكه...

ثمَّة أمر لا بدَّ من ذكره هنا، وهو أنَّ الجمهور يتحمَّل جزءًا كبيرًا من المسؤولية. وأعني تحديدًا جمهور وسائل التواصل، الذي يُطبّلُ لأيِّ خربشةٍ ويرفع صاحبها إلى مصاف الأدباء. كما أنَّ القيّمين على المواقع والمجلَّات الإلكترونية يتحمَّلون الجزء الأكبر، إذ يستقبلون كلَّ ما يردُ إليهم وينشرونه دون أدنى التفات إلى المعايير الأدبية أو حتى المهنية التي تفرضها عليهم مهنتُهم في الإعلام. وفي هذه وتلك، فإنَّ وسائل التواصل ليست مُذنبة؛ فهي مجرَّد أداة. عنيتُ أنَّ كيفية استخدامنا إياها تذهبُ بالشأن الأدبي إلى نتائج لا تُحمد عُقباها، بينما كان وما زال بإمكاننا أن نستخدمها في الطريق الصحيح ولِخدمة الأدب الرَّصين والجاد.

وإن أردتُ الذهاب أبعد _وفي اختصارٍ للمشهد بِعامَّةٍ_ يمكنني أن أنسبَ معظم ما نعانيه من تردٍّ على جميع المستويات _وفي الفنِّ كما في الثقافة والأدب_ إلى تعويم المواقع والصفحات والأشخاص وكلِّ ما من شأنِهِ تسطيحُ المفاهيم وتغييبُ القيَم وتسخيفُ القضايا. إنَّه ما نشهده من إحلال السخافة محلَّ الثقافة بما يخدم المخطَّطات الرامية إلى اقتلاعنا من جذورنا.

9- حدثينا عن نبضك الأزرق...

سأجيبُ على مستويَين مُتَّصلَين غير منفصلَين. الأوَّل: لماذا "نبض الأزرق"؟ أي الإرهاصات. والثاني: مضمون "نبض الأزرق".

لم تكُن أولى إرهاصات "نبض الأزرق" أنَّني رأيتُ الموت

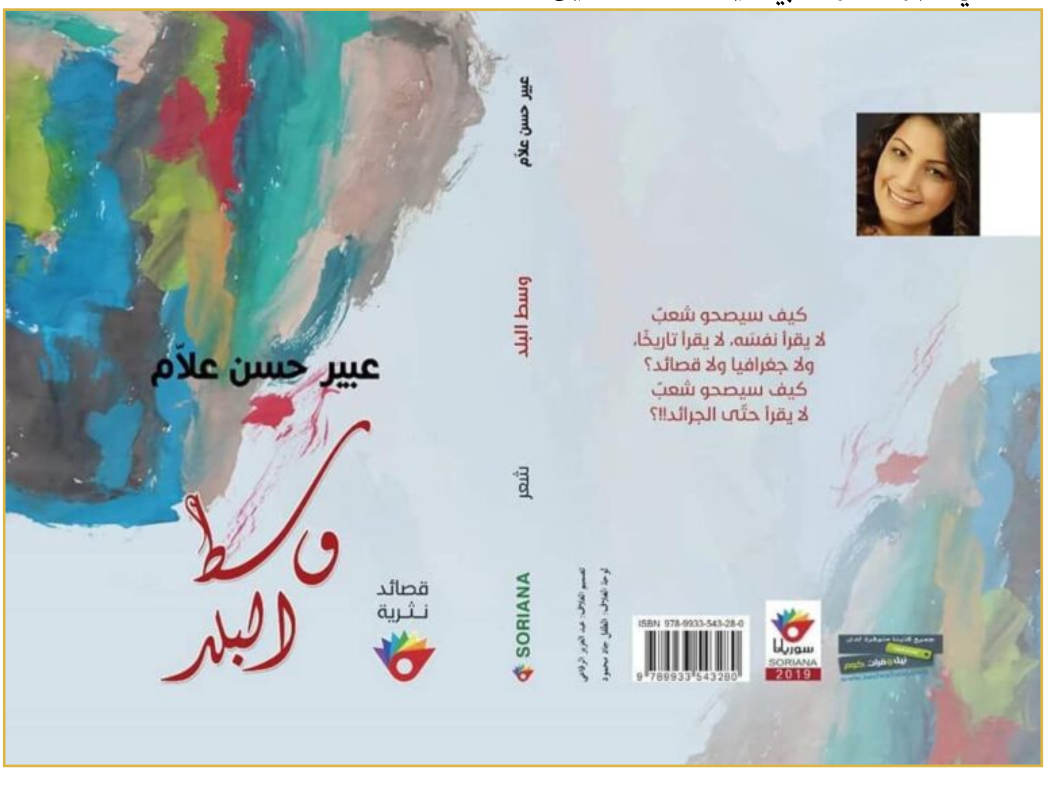
من مسافة صفر حين غرقتُ في نهر العاصي، ثمَّ كانَ بَعدَ تلك الحادثة بِسنتَين أن أصيبَ كبدي بأزمةٍ صحّيَّة لازمتُ خلالها المشفى لشهرَين لم تعُد حياتي بعدهما كما كانت.

طبعًا، أنا لا علاقة لي بكلِّ الخرافات والتخريفات. ولا أقتنع إلَّا بما يقوله العقلُ والمنطق. لكن ثمَّة أمور وأحاديث تجري لا لشيءٍ سوى أن تبقى في رأسك! فكان ذات مرَّة أن قرأ أحد الأصدقاء شخصيَّتي وكفَّ يدي بعد أن أكَّد لي أنَّه لا يفعل ذلك إلَّا إذا أومضت الشخصيةُ التي أمامه بإشارات خفيَّة. قال إنَّه قرأ فيَّ أسرارًا. منها مثلًا أنَّني سأرحلُ عن بيروت سريعًا وفجأةً. أجبتُهُ: ذلك ما لا يمكن أن يحصل. فأجاب: لن يكون لكِ الوقت ولا القرار. بعدها بشهرين اندلعت حرب تمُّوز 2006 واضطررتُ لمغادرة بيروت على وجه السرعة. قال كذلك أنَّ في حياتي رجُلَين يَسنُدانني، وأنَّ أحدهما لن يُكمِل معي الطريق. خفتُ على أبي وأستاذي. بعد ذلك بِسنوات رحلَ أستاذي ورفيق رحلتي الأستاذ سهيل الطشمعن هذه الدنيا. قال ذلك الصديقُ الكثيرَ، ولكنَّني أذكرُ أنَّه ألمحَ كثيرًا إلى اللون الأزرق وإلى مرضٍ ما. إشارة هنا إلى أنَّه من الصعب جدًّا حين أحتاج فحوصاتٍ طبية أن يتمكَّن أحدٌ بسهولة من استخراج عيّنة دم من عروقي. لِذا فأنا لا أنزفُ دمًا، بل حبرًا.

بدايةً كنتُ أُحِبُّ البحر حُبًّا أفلاطونيًّا، فأكتفي بمشاهدة أمواجه عن الشاطئ أو عن الكورنيش البحري ولا أدخُلُه. طيلة ذلك الوقتِ لازمَني كابوسُ موت أبي حيثُ كنتُ أستفيقُ غارقةً بدموعي. ولم يتراجع ذلك الكابوس إلَّا بولادة ابني. كما لازمني كابوسٌ لا يمكنني وصفُه الآن ولا في أي وقتٍ لأنَّه عصيٌّ على الوصف. هو يُحَسُّ فقط على أقصى درجةِ رُعبٍ وانخطافٍ حيث الموج يرتفع فوقك ويغمرك في مبنًى من عشرات الطوابق على تلَّة مُواجِهة للبحر لتُدرِكَ أنَّ بيروت قد غرِقَت كذلك! هذا الكابوس لا أَعلم متى توقَّف لكنَّ آثاره عليَّ لم تنته.

لذا اتَّخذتُ القرار منذ سنوات بمواجهة خوفي وتعلُّم السِباحة.. حتى أصبحتُ سمكةً لا حياةَ لها خارجَ الماء.

"نبضُ الأزرق" هو نبضُ البحر فيَّ ونبضُ الحبرِ فيَّ. هو نبضُ بحر بيروت ونهر الهرمل.. هو كذلك نبض الموت والحياة. وقد عرَّفتُهُ في الندوة الأولى التي أُقيمت حوله بأنَّه "كتابٌ، أو فلْنقُلْ هو رسائلُ في الحُبِّ على ضفَّة الموت، في الوطن على حافَّة الغربة". عصارةُ سنواتٍ خبِرتُ فيها أهوالَ الموت والحربِ والغربةِ والحُب. كتبتُ فيه إيماني وقناعتي بأنَّ في الحُبِّ خلاصَنا من أدران هذا العالَم. نعم، ليس بالحُبِّ وَحده يحيا الإنسان.. لكن.. بالحُبِّ ينجو الإنسان".



كتّابُ فرقد

حينما أصبح التأليف حدثًا.. لا فكرة



نجود حسن

كاتبة من السعودية

عندما أصبحت المؤلفات تُقدّم مع الحلوى والمشروبات.. عن زمنٍ يُكتب فيه كل شيء إلا الكتابة الحقيقية.

في زمنٍ ليس ببعيد كان تأليف كتاب يُشبه تسلق جبل يتطلب شغفًا صبرًا ومعرفة تُكتسب عبر سنوات من القراءة والتأمل في تجارب الآخرين.

لم يكن الكاتب يجرؤ على وضع اسمه على الغلاف ما لم يكن قد ذاب طويلًا في حبر الكتب وتقلّب في حضرة المعنى.

أما اليوم فقد أصبح الأمر أقرب إلى احتفال اجتماعي منه إلى مشروع فكري يكفي أن ترغب أن تُجرب أن تطبع بعض النسخ وتجهز طاولة أنيقة وتُزيّنها ببعض الحلويات والمشروبات ليُقال بعدها : "صدر لك كتاب".

لا يهم كثيرًا إن كان المحتوى مكررًا سطحيًا أو حتى مسروقًا...

فالأهم في هذا العصر هو الصورة لا النص، الاسم لا القيمة، الحفل لا الحرف.

ما يدعو للتأمل أكثر أن كثيرًا من هؤلاء المؤلفين لم يقرأوا كثيرًا من الكتب ولم يتأملوا في جمالية اللغة ولا عُمق الفكرة، لكنهم يشعرون أن بداخلهم "روح مؤلف".

تُراودهم هذه الرغبة الغامضة في الكتابة، لا لأنها ضرورة معرفية أو مشروع تعبيري، بل لأنها أصبحت موضة أو بطاقة تعريف اجتماعية.

والحقيقة أن الرغبة وحدها لا تكفي؛ فليس كل من حمل قلمًا صار كاتبًا، كما أن امتلاك أدوات الرسم لا يعني أنك فنان.

الكتابة مسؤولية ووجود "روح المؤلف" لا يُغني عن نضج التجربة ولا عن تكوين فكري وثقافي عميق الروح وحدها لا تُنجز كتابًا.

بل تحتاج لرحلةٍ من التهذيب ومن الإصغاء والتواضع أمام النصوص العظيمة التي سبقت.

إن ما يؤسف في هذا الزمن ليس كثرة الكتب، بل قلة ما يُكتب منها بصدق.

أصبح التأليف سهلًا، نعم وهذا ليس خطأ بحد ذاته، لكن الخطورة حين يغيب عنه الوعي ويُستبدل الإخلاص للمعنى بالإعجاب بالنفس.

ما أحوجنا اليوم إلى إعادة الهيبة للكتابة، إلى أن نقرأ كثيرًا قبل أن نكتب سطرًا، أن نحترم الحرف قبل أن نوقع عليه.

أن نسأل أنفسنا "هل أكتب لأضيف أم فقط حتى يصبح لدي عدد من الإصدارات؟".

ففي زمنٍ يكتب فيه الجميع من يقرأ حقًا؟

ومن يصدق أنه لا يزال للكتابة حرمتها

وللأفكار قيمتها وللكاتب الحقيقي غربته.

وهناك على الجانب الآخر من المشهد مؤلفون يُصدرون في العام الواحد أكثر من كتاب.

لا بأس في ذلك، فالإنتاج الغزير ليس عيبًا بحد ذاته.

لكن السؤال الذي يُطرح بإلحاح: هل من وقتٍ كافٍ للتأمل للتنقيح للمراجعة وإعادة النظر؟

هل نضجت الفكرة بما يكفي لتغدو كتابًا؟

هل استحق النص أن يُطبع؟

أم فقط تمكّن صاحبه من طباعته؟

ثم يأتي الحفل الكبير وتتزين القاعة وتُرتب نسخ الكتب على الطاولات كما تُرتب قطع الكعك، ويبدأ التصفيق قبل أن يُفتح أي غلاف.

والقارئ لا تقلق عليه فقد تحوّل بدوره إلى متفرّج يُصفق أكثر مما يقرأ.

أما ما بداخل الكتاب فذلك تفصيل ثانوي لا يُفسد لفرحة التوقيع قضية.

تُلتقط الصور وتُنشر على منصات التواصل وتُوزع نسخ تحمل توقيع المؤلف قبل أن يُلامسها القارئ، بل قبل أن يسأل أحدهم: "عن ماذا هذا الكتاب؟!".

المشكلة ليست في النشر ولا في الفرح بالإنجاز، فلكل حقه في أن يحتفي بتجربته.

لكن المشكلة حين يصبح مقياس النجاح عدد الإصدارات لا أثرها، وعدد الحضور لا عدد القراء، غلاف جديد لا فكرة جديدة.

بل أصبح التأليف أقرب لمشروع علاقات عامة منه إلى مشروع فكري.

وهنا يبرز السؤال الأهم:

هل فكّر المؤلف بعد أن طبع كتابه:

هل تمت قراءته كما يستحق؟

هل وصل صوته إلى قارئٍ وجد فيه شيئًا من نفسه؟

أم أن كل ما يهم هو أن يُقال عنه "أصدر عددًا كبيرًا من الكتب" وأن تُجمع صوره في حفلات توقيع أكثر من أن تُقرأ كتبه في جلسات تأمل؟

الكتابة مهما تغيّرت أدواتها لا تزال فعلًا نابعًا من عمق لا من رغبة في الظهور.

وما يُخلّد الكتاب ليس عدد نسخه ولا حجم الحفل، بل عدد القلوب التي تلامسها كلماته وعدد الأرواح التي تتوقف قليلًا بعد القراءة..

لتقول: "وجدت نفسي هنا"..

الزمن لا يحتفي بالكثرة بل بالبقاء.

وفي الختام: التأليف ليس مجرد طباعة ولا مناسبة للتهنئة، بل رحلة نحو المعنى ومسؤولية تجاه القارئ وشهادة على صدق التجربة. فليكن الكتاب ثمرة نضج لا رغبة، وليكن التأليف بحثًا عن الحقيقة لا إثباتًا للوجود.. ففي زمن تعلو فيه الأصوات ما أحوجنا لكتب تُنصِت، ويُنصت لها.



استلاب التقنية وغياب الإنسان.. الذكاء الاصطناعي نموذجًا



محمد العميسي

كاتب من اليمن

لا أحد ينكر ما أضافته التقنية من يسر على الحياة، وكيف دفعت بها إلى حيز السهولة والتيسير، حتى غدت متاحة في يد الجميع، تختصر الوقت، وتمنحك أدوات لم تكن تحلم بها. غير أن الوجه الآخر من هذه المعجزة العصرية ليس بهذه السهولة، ففي جوفها تكمن خطورة صامتة، أشبه بسرطان ناعم يتسلل إلى الروح، فيستلب من الإنسان شيئًا فشيئًا قيمه الداخلية، طاقته المتأججة على الابتكار، ومجاله الحيوي في الإبداع.

منذ الأزل، والتغير هو القاعدة الثابتة في هذا الكون. من تأمل مسيرة البشرية وصيرورة الحياة، منذ فجر التاريخ حتى هذه اللحظة، سيجد أن كل شيء يتغير، وأن الكون في حالة اتساعٍ دائم، والزمن يركض، لا يلتفت للخلف. خاف الإنسان من هذا التسارع أول الأمر، كانت صدمة، ثم اعتاد الأمر، تكيّف، وراح يركض خلف الزمن، لا يريد أن يُترك وحيدًا على هامش الحركة.

الإنسان كائن مسكون بشهوة الاكتشاف، موهوب في العبث بالمجهول، تواق للذهاب أبعد من اللحظة. فاخترع السفن ليشق بها البحر، ثم صنع الطائرات ليخترق السحاب، وصعد إلى الفضاء، وبنى عوالم رقمية تفوق الخيال. غير أن كل تلك القفزات التكنولوجية لم تكن بلا ثمن، فقد دفع الإنسان فاتورةً باهظة، كان من بينها أن فقد شيئًا من دفء روحه، ومن قدرته الفطرية على التأمل، والتفاعل الحي مع الحياة.

مع ذلك، يظل الإنسان هو الأصل، وهو المرجع الأول. وحده هو من اخترع الآلة، وأدخل الروح في الجمادات، وعلّم الآلة كيف تشتغل، لكنه حين يغفل عن حقيقته، ينسى أنه لا يمكن للآلة أن تخلقه، ولا أن تمنحه المعنى.

الذكاء الاصطناعي ــرغم دقته وسرعته وقدرته على المعالجةــ يظل أداة، لا روح فيها، ولا شعور. يمكنه أن يساعدك في ترتيب فكرة، أو اقتراح معلومة، لكنه لا يصنع المعنى، ولا ينفخ في الكلمات حرارة الشعور، ولا يمنح النص روحه. بعضهم صار يعتمد عليه اعتمادًا كليًا، حتى في الأعمال الإبداعية، وهذا مسار بالغ الخطورة. إنك حين توكل للآلة مهمة الكتابة عنك، فإنك ــ من حيث لا تدري ـ تشرع في قتل نفسك، تهمّش عقلك، وتخمد فيك نيران الإحساس، فتتحول تدريجيًا إلى آلة لا تشعر، مجرد مستقبلٍ للأوامر.

الذكاء الاصطناعي لا يعدو كونه موسوعة ميسرة، لا تختلف كثيرًا عن "ويكيبيديا" أو غيرها من أدوات البحث. هو مجرد مرآة تعكس لك ما أنتجته العقول، لكنه لا ينتج أصالة، ولا يبتكر فكرة من العدم.

الأدب ليس وظيفة، ولا عملية حسابية. إنه ترجمة لمشاعر إنسانية تعتمل في الأعماق، وومضة في الروح، وشرارة تتقد في الذهن، وصوت داخلي يحتاج إلى من يصغي له، لا من يهرب منه إلى جهاز بلا قلب.

ينبغي على البشرية ألا تفقد ما تبقى من إنسانيتها وهي تغرق في بحر الآلات، ولتتذكر دائمًا: ليست في حاجة إلى ذكاءٍ اصطناعي بقدر حاجتها إلى قلوب بشرية نابضة بالدهشة، حارسة يقظة على أسوار الإبداع، لا تسمح للآلة أن تسلبه دمه الحي.

فلاسفة وأدباء.. في المنفى ووراء القضبان (3)



د. هاني الغيتاوي

كاتب من مصر

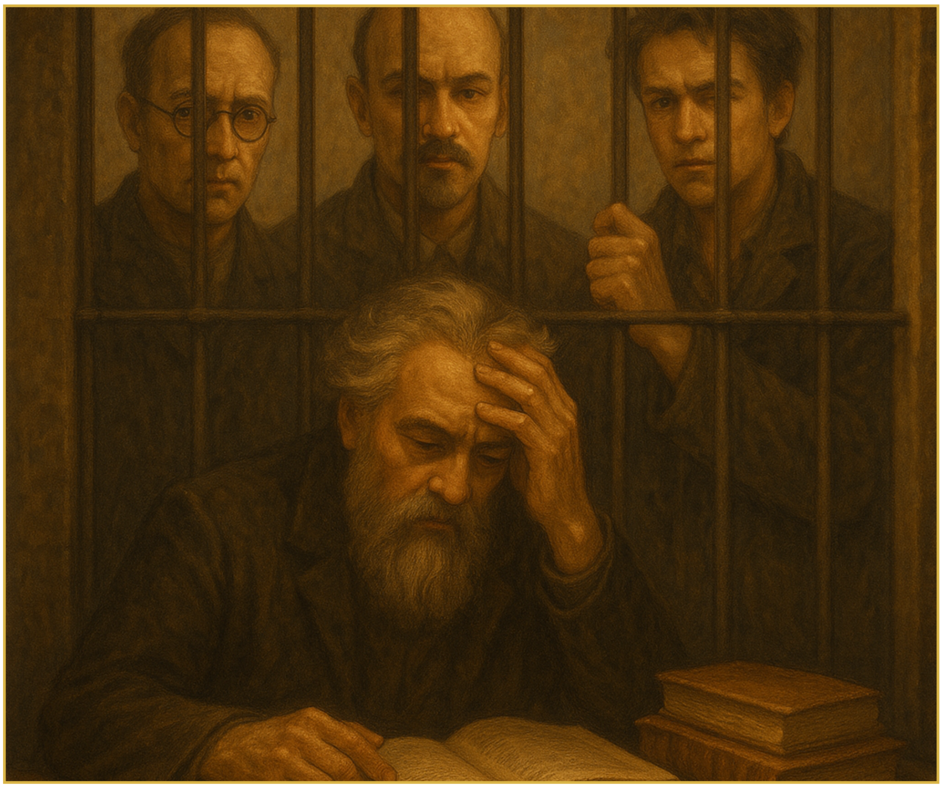
تجربة محمود أمين العالم استلهما دون أن يشعر من أشهر سجين في تاريخ الفكر الفلسفي، ودون أن يكتب حرفًا واحدًا من فلسفته أو يترك مخطوطًا يحتويها، تم تخليد فلسفته لأنه كان صادقًا في بوحه، أمينًا في التعامل مع أفكاره وتجسيدها واقعًا عمليًا ملموسًا، وطبق أفكاره على نفسه؛ لذلك كانت لهذه الأفكار أجنحة فحلّقت فوق ربوع الحياة، يستلهما كل أصحاب الفكر والبصائر والضمير، صاحب هذه الفلسفة الخالدة وأشهر سجين تم محاكمته بالإعدام هو الفيلسوف "سقراط" فكيف كان وراء القضبان، وكيف تفاعل مع توقيع عقوبة الإعدام عليه؟ وما موقفه من الحياة وهو ينتظر نهايتها داخل سجنه؟

عاش سقراط حياة بسيطة بعيدًا عن حياة الترف التي كان يرفل فيها معظم الأثنيين مهمومًا بحياة الناس، فسخر نفسه لتعليمهم معنى الحياة وكيف يكون الإنسان جديرًا بها من خلال تعليمهم وحثهم على قيم المحبة والسلام والسعي نحو معرفة النفس وجوهر المعاني السامية التي تجعل هذه النفس خليقة بأن تعيش الحياة، وجسّد سقراط هذه المفاهيم عمليًا من خلال فلسفته في التعامل مع الحياة والناس وتجواله في شوارع أثينا وأزقتها يحاور الناس ويأخذ بأيديهم إلى عالم المُثل والقيم. فلقد عاش حياته يروم الفضيلة ومن أجلها استغنى عن كل ما يحول بينه وبين غايته، ولأن هناك نوع من البشر تقلقه الفضيلة وتعرّيه مبادئها، نقموا على سقراط وأضمروا له البغض والشنآن فحاكوا له التهم واعتبروه رجلًا غريبًا وشريرًا وأنه بلا دين، وأفسد شباب أثينا وهتّك النسيج الاجتماعي لها، وطلبوا بتكميم فمه أو قتله.

وقد كان لهم ما أرادوا وتم الحكم عليه بالإعدام، وكان يستطيع سقراط أن يتخلص من حكم الإعدام لو تراجع عن مبادئه وفلسفته، لكنه أصرّ على موقفه، لإيمانه بمعتقداته وفكره ولم يهب الموت ونزع الروح في سبيل مبادئه وأفكاره، وتجلّى هذا الإصرار في قوله لمحاكميه "لو حكمتم عليّ بالموت لن تجدوا من يحل محلي" وهذا ليس عنادًا ولا زهوًا أخرقًا ولا تكبرًا، بل هو التزام بالحقيقة، وتمسك بالمبادئ وترسيخ للعقيدة التي آمن بها، والمبادئ والأفكار التي أنفق جل حياته ينثرها في ربوع أثينا، مؤملًا أن تجد لها صدى عند الناس.

من أجل حفاظه على المبادئ، ونشره للفضيلة وقيم المحبة والتسامح، تم الحكم على سقراط بالإعدام، واقتيد للسجن إيذانًا بتطبيق هذه العقوبة عليه، وفي سجنه لم يتغير شيئًا، بل كان أكثر تمسكًا بمبادئه وأفكاره، يظهر ذلك جليًا في رفضه الهرب من السجن عندما سنحت له الفرصة للهروب، لكنه أبى إلا

التمسك بمبادئه. يقول سقراط "لماذا التمادي في التمسك بالحياة إذا لم أكن سأعيش للأبد"، إن سقراط رغم علمه بدنو أجله لكنه يطبق مبادئه على نفسه، ويستحي أن يخرقها أو يخرج عليها، ولم يقامر على هذه المبادئ حتى ولو كان لشيء يستحق المقامرة عليه وهي أغلى ما يملك الإنسان وهي الحياة، فقد كان متصالحًا مع نفسه، وصادقًا معها؛ لأنه عرفها معرفة يقينية كما ورد عنه في قوله المأثور "اعرف نفسك" لقد عرف سقراط نفسه وتجلّت هذه المعرفة في مواقفه التي تتابعت في سجنه، فهو لم يخامره الحزن ولا الضجر ولا التذمر من الزج به وراء القضبان، ولم يختلق الحجج بأنه بريئ من التهم المنسوبة إليه، فيتذرّع عندئذ بهذه الحجة ويتخذ منها وسيلة للهروب، لكنه ظلّ أمينًا لمبادئه وما يعتقده وما يدين به، فيقول لتلامذته وأصدقائه الذين نصحوه بالهرب "تلك قوانين المدينة ويجب أن يخضع لها المرء حتى لو كانت ظالمة؛ لأنها تسري على الكل".



وفي السجن يتجلّى معدن هذا الفيلسوف أكثر وأكثر، فتنعكس شفافيته وتأثيره على كل الحاضرين في السجن، فتلكم أصدقاؤه يترجونه بأن يؤخر ميعاد تنفيذ العقوبة وشربه للسم، معللين ذلك بأنه ما زال في أول النهار، والشمس لم تغب بعد، لكنه بثبات إيماني عميق أكد لهم بأن سيشعر بالخزي والمهانة أمام نفسه إذا تمسك بالحياة وأخذ السم بكل هدوء، حتى سجانه الذي أعطاه السم والمعروف عنه بأنه يُهتّك روح مسجونيه وأجسادهم، أظهر الاحترام والتقدير والعطف له فقال له وهو يناوله السم "في الأيام التي قضيتها هنا، أدركت أنك أكرم وألطف وأفضل رجل مر في هذا المكان.. وأنت تعلم الرسالة التي سأنقلها: وداعًا إذًا، وحاول مواجهة المحتوم بأشد ما يمكنك من يسر".

لقد انهمر الحاضرون في البكاء، لم يستطيعوا كبح الدموع، وهم يرون سقراط وهو يشرب السم، بنفس راضية ودون أي كراهة أو امتعاض أو تذمر أو شكوى، لقد انكسر الجميع أمام هذا الصمود والثبات، وما أن رأى منهم هذا الانكسار حتى راح يناشدهم الهدوء، وراح بعدها يتجول في سجنه، حتى أخذ السم مفعوله واستشرى في جسده، وثقلت ساقاه، فخارت قواه الجسدية واستلقى على ظهره، وبدأ الإحساس بقدميه وساقيه يتلاشى، ومع اندفاع السم إلى صدره، فقد وعيه وأصبح التنفس بطيئًا، وما هي إلاّ ثوانٍ حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

لقد أسدل الستار على قصة أشهر مسجون محكوم عليه بالإعدام في التاريخ، وترك لنا إرثًا من اللحظات الإنسانية، وكيف يتجلّى المعدن الحقيقي للإنسان صاحب المبدأ عند مواجهة مصير بائس وظالم، لم يتزعزع عن مبادئه، ولم يجبن للنجاة، ولم يساوم على ما يؤمن به ويعتقده، لقد كان صدقه مع نفسه هو ما كتب الخلود لفلسفته، والتي ما زال تأثيرها ظاهرًا وملموسًا حتى الآن، لقد عاش فكره ودام أثره، لأنه آثر الحفاظ على القيمة والمبدأ، وتسربل بالنزاهة الحقيقية حتى ولو كان الثمن حياته، لكل هذا التفاني والانتصار للقيم والمبادئ، ظل سقراط بفلسفته وفكره يملأ الدنيا ويشغل الناس، وكانت فلسفته هي النبع الصافي الذي متح منه الفلاسفة والعلماء الإلهام، وكذلك كل شخص يتحرّى الحقيقة.

القلوب.. بين الحرائق والحروب



سهام السعيد

كاتبة من سورية

نحن من وطنٍ أضناه الوجع.. نخرت عظمه الآلام.. حاصره حنينٌ إلى ماضٍ سُليبٍ حتّى من الذّاكرة.. كبّله ذعرٌ من الحاضر وما يحمل من نكبات.. وقلقٌ من الآتي وما يخبّئ من مصائب.. هكذا نحنُ.. تباغتنا نوائب الدّهر فلا نقوى على التّفكير بأمل قادم.. سوى الأمل باللّه عزّ وعلا.

وطني خرج من بين ركام الحرب منهكًا.. منقطع الأنفاس.. راح يلملم جراح الفقد والخيبة والخذلان.. يبحث عن دار استشفاء لنفسه المكسّرة.. وفؤاده المعطوب.. نهض رغم وجعه حالمًا بمستقبلٍ أفضل.. بلمّ شمل يحيي بهجة اللّقاء.. بتسامح يمحو الضّغائن ويطفئ نار الكراهيةً.. نهض متحدّيًا كلّ المحاولات لإضعافه.. مجتازًا أصعب التّحدّيات.. مبلسمًا جراح أبنائه وسنوات غربتهم واغترابهم.

رغمّ كلّ الطّعنات الّتي تلقاها في الوجه تارة وفي الظّهر تارات بقي متمسّكًا بإرادة الحياة الكريمة.

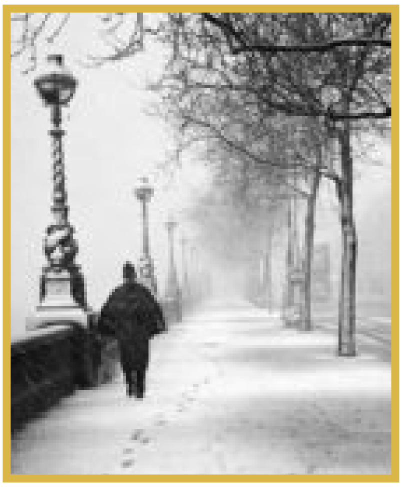
لكن بين الحرائق والحروب قلوبنا تحترق.. ما زال وطني ينفض عن كاهله غبار الحرب الطّاحنة الّتي افترست شبابه.. لتأتي الحرائق مباغتةً حلمه بسلام يلفّه وأمنٍ يكحّل عيونه السّاهرة.. أتت ًالحرائق لتلتهم ما تبقّى من خضرةٍ تلفّ خصره.. وتعيد الألق لِلباسه.. أتت الحرائق من حيث لا نعلم لتزحف زحفًا جنونيًّا يعيث فسادًا بالشّجر والبشر والحجر.

أتت الحرائق ضربةً قصمت ظهره المتعب.. وأحرقت عكّازًا يتّكئ عليه في مشواره للآتي.. تمتدّ الحرائق وتتمدّد لتفحّم غاباتنا.. دون أن تثنيها محاولات الإخماد.. النّار تأكل الأخضر واليابس.. وتشبّ لهيبًا في القلوب.. تكوي ما فيها من ترقّبٍ لغد أفضل.. لأفئدة تخفق بالأنين.. والحناجرٍ تصدح بالآهات.. على وطنٍ يستبسل طلبًا للحياة.. لكنّ الحياة تعانده.. وكلّما حطّت سفينته على شاطئ الأمان.. رمته الأعاصير نحو المجهول.

لك اللّه يا وطني الذي اتّشح بالدّموع وتلحّف بالأسى!



قلب الطاولة



فاطمة الجباري

كاتبة من السعودية

عندما تتحوّل المعادلة لصالحك...

في لعبة الحياة، ليس من النادر أن نجد أنفسنا في مواقف يَظنُّ فيها الآخرون أننا الطرف الأضعف، الحلقة الأهون، أو حتى الخاسر مسبقًا. لكن، كم من مرة فوجئ أولئك حين قُلبت الطاولة، واختلّ توازن اللعبة؟ حين تغيّرت المعادلات فجأة، وأصبح "الضعيف" قويًا، و"الضحية" قائدًا، و"المهزوم" منتصرًا.

"قلب الطاولة" ليس فعلًا عدائيًا أو مجرد انتقام. بل هو لحظة وعي، وجرأة، وإعادة تموضع. لحظة يقول فيها الإنسان: "كفى!" ثم يُعيد ترتيب المشهد لصالحه، لا بالصراخ، بل بالتخطيط والصبر والذكاء.

لكن متى يجب أن تُقلب الطاولة؟

حين يُستغل صمتك على أنه ضعف، حين يُساء فهم طيبتك فتُفسَّر على أنها غباء، حين تُساق في اتجاه لا يُشبهك، فقط لإرضاء الآخرين، حين تُقهر باسم العُرف أو تُخنق باسم الواجب.

عندها، لا بد أن تتغيّر القواعد. لا بد أن تكسر المألوف وتُعيد صياغة العلاقة أو الواقع. قلب الطاولة ليس فوضى، بل حركة وعي عميقة.

في الحياة أمثلة كثيرة تدل على معنى قلب الطاولة...

الطالبة التي كانت تُهمّش صوتها في الصف، ثم وقفت يومًا وطرحت فكرة أبهرت الجميع، فباتت صوتًا لا يمكن تجاهله.

الموظف الذي صبر على الظلم سنوات، ثم استقال في لحظة وفتح مشروعه الخاص ونجح، فعاد من ظلمه يطلب رضاه.

المرأة التي رضيت القليل، حتى استيقظت من غفلة التضحية، فرفعت كرامتها فوق كل اعتبار، واستعادت ذاتها بقوة.

لكن! متى لا تُقلب الطاولة؟

إن كانت الطاولة أصلًا لا تستحق الجلوس إليها، إن كنت تُقلبها فقط بدافع الغضب لا بدافع الوعي، إن كنت ستؤذي أكثر مما تُصلح.

"أحيانًا تحتاج إلى أن تُحرّك الأمور بنفسك، لأن الصمت الطويل يجعل الآخرين يظنون أنك راضٍ".

— باولو كويلو

في الختام:

قلب الطاولة ليس تمرُّدًا أجوف، بل تحوُّل في التفكير والمسار. هو لحظة إدراك أن اللعبة ليست عادلة، وأن الاستمرار كما أنت ليس خيارًا. هو أن تقرر أنك تستحق الأفضل، وتتحرك لأجله بثقة واتزان.

فحين ترى أن الكرامة تُداس، وأن روحك تُستنزف، لا تنتظر أحدًا يغيّر قواعد اللعبة لأجلك.. كن أنت من يقلب الطاولة.

الموال.. أشكاله وأنواعه (2)



صالح باظفاري

كاتب من اليمن

تعددت الأشكال الشعرية الغنائية في الموال البحري التقليدي، وقد تفرعت عن تلك الأنماط التقليدية ما يقارب السبعة مواويل، توالدت من الأساسيات القديمة الموجودة في قوالب الملاحين القدماء.

ويتكون الموال الأساسي من سبعة أشطر، وقد يتكون من مقاطع منفردة، وتتميز هذه المواويل بوجود قافية موحدة في الأشطر الثلاثة الأولى والأخيرة، وقد تتغير القافية وتختلف الأوزان في الأشطر الأربعة الأخيرة.

ومن المواويل السبعة: (اليامال)، وهو نوع من الموال الذي يشيع استخدامه في مناطق مختلفة من العالم العربي والخليج، ويُعرف أيضًا بأسماء مختلفة، لكنه يختلف عن موال "الزهيري" في العراق و"النعماني" في مصر.

وأهم ما يميزه أن عدد الأشطر في موال (اليامال) يتكون من سبعة أشطر، وتتبع حركات إيقاعية نظامية متعددة القوافي، وقد يكون فيها تشابه في الأشطر الثلاثة الأولى والأخيرة، وقد تكون القافية مختلفة.

وأخذت المواويل السبعة واحتلت نسبة واسعة من العالم العربي مع اختلافات التسميات في بعض الموانئ العربية، ومن التسميات للمواويل مثلًا: الموال الخليجي والعراقي، والموال الحلبي، والموال المصري.

لهذا التميز تُعد المواويل السبعة جزءًا من التراث الفني الغنائي العربي.

ومن النماذج للتوضيح هذه الأبيات:

أنتم سبب ما جنينا من بعدما شبنا
ورديتونا للمعاصي من بعد ما تبنا
فتنا على أراضي في النيل يُهدم ولم يُبنى
لقينا جوز بنات على طول الليل
نواحينهم سبب ما جنينا
يا ناس من بعد ما تبنا صبري غلب،
يا جافي، هيا تعال معنا
الحب مش بالرضا، وإنت تقول دعنا
رغم الصدود قسمتي، والكل يحسدنا
أنا معاك، حبيبي، وإن طال الزمن يجمعنا
كفّي البُكاء يا عيوني، واللي جرى مكتوب
ويفيد بإيه البُكاء، وقدرك عالجبين مكتوب
إن كان قلبي انحرم، وعن الوصال محجوب
أنا أرضى بقسمتي وأساير المكتوب

بما أن المواويل من الفنون الغنائية المرتجلة التي تحتل المكانة الأولى في تاريخ الفن الشعبي قديمًا وحديثًا، كما تُعد من أقدم أشكال الغناء الذي ينطلق بالعامية، التي تسيطر عليه اللغة الدارجة المنبثقة من ألسنة العوام، وتُستخدم فيها المبادلات اللفظية كالجناس، والطباق، والبلاغة، والتورية.

ويُنظم الموال على 3 أو 5 أو 7

شطرات، وبعضها زوجي يتكون من الرباعي والسداسي والثماني، أي 4 أو 6 أو 8 شطرات، ويرتبط ذلك بعدد شطرات البيت الواحد.

أما موال الليالي، فهو نوع من الموال يبدأ بكلمة "يا ليل" أو "يا عين"، وليس الغرض منه التغني بالكلمات، بل هدفه الأساسي الطرب، وهو ارتجالي فوري يستعرض فيه المطرب إمكانيات صوته وحسّه النغمي ومعرفته بالمقامات من خلال تنقله من مقام إلى المقام الذي بدأ منه، وقد يكون موال الليالي تمهيدًا لقطعة غنائية.

ومن الأشكال الجديدة في صياغة الموال ما كتبه بيرم التونسي، وقام بتلحينه وغنائه محمد عبد الوهاب، وهذا نموذج غنائي في الموال الحديث:

في البحر لم فتكم، في البر فتّوني
بالتبر لم بعتّكم، بالتبن بعتّوني
أنا كنت وردة في بستاني قطفتّوني
وكنت شمعة جوه البيت طفيتّوني
لو عدت دي المرة، هاتوا المر واسقوني

أما الموال الخماسي، فهو فن من فنون المربوع كما يطيب للبعض تسميته، وقد انتشر في السواحل الخليجية والمدن المحاذية للبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب.

وقد تطورت أدواته وتنوعت أشكاله الفنية حتى صار للموال الخماسي خمس شطرات وتقفيلة، وتكون أربعٌ منها موحدة في قوافيها، وتمتد من التفصيلات في الأشطر الأولى والثانية والثالثة، وتتفرد الرابعة والخامسة بقافية مختلفة في الروي والقافية.

وقد رصدت لكم هذا النموذج:

عيونك السمر تسبينا حواجبها
ووجهك البدر مثلك ما حوى جبها
والشمس من حسنك توارت حواجبها
وكلما أطلب وصالك يا مليك الغيد
من دولة الحسن تمنعني حواجبها

ومن اختلافها مع الموال السباعي أن السباعي يتكون من سبع شطرات، كل ثلاث منها تشكل مجموعة متجانسة في قوافيها "عتبة + ردفة"، أما الشطرة السابعة فترجع إلى قافية المجموعة الأولى وتتقابل معها في حرف الروي، وتُسمى "الغطاء أو الرباط" لأنها تربط الموال كله في وحدة واحدة.

والدليل على ذلك ملحوظ في مواويل الفنون النجدية.

يا بو يوسف لا تعاتب من جفاك
من زهد في عشرتك خله يروح
الطمع يا اللي غاية هواك ما يواريك الجفا، قلبه نصوح
ما يخونك، دائمًا يتبع رضاك
حافظًا عرضه وسرك ما يبوح
لا تبع هذا أو لا وقف لذاك
يتعبه همك ومن نوحك ينوح
حافظ حبك ولا يحكي وراك
والسماحة عند من وجهه سموح
ذاك مطلوبك، وهو غاية مناك
خشف ريم، محبته تشفي الجروح

ومن المواويل الحضرمية المشابهة للمواويل العربية:

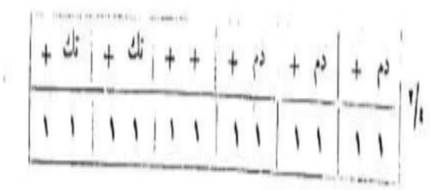
قال المعنى با سير وبتعنى
أربع حمامات برحن عا ورق حنّه
لا هن خذنا ولا هن أبعدنا
يا أم الحزام الذهب
والحجل له أركان
خلي حزامك، ما قتلتي عسكر السلطان
سلطان عليها
يا بوشراوي سلطا
سعيد هادي يقول: الناس سبوني
الله يسب الذي هو با يسب الناس

ومن المواويل أيضًا:

أصل الزبيب من عنب
والتمر من نيلة
يا خل بلدي بعيد، يا من يوديني
أحلف برب السماء
يا اللي هواك مذهبي، ومحبتك ديني

وهذا جدول بالموال الخماسي...

وبهذا الجدول ننهي الحلقة





الخاصة بالموال الخماسي.

نلتقي بإذن الله في الحلقة القادمة.

ضعف مخرجات التعليم العام



سليم السوطاني

كاتب من السعودية

كثر الحديث حول التعليم العام وضعف مخرجاته، حتى صار واضحًا لدينا أن هذا الأمر بات مقلقًا لأولياء الأمور، بل أصبح هذا الأمر مثل الكرة يتقاذفها الجميع، وكل يلقي باللوم على جهة معينة.

لقد كثرت الدراسات والتغيرات والتعاميم والبرامج؛ لمعالجة هذا الأمر، إلا أن المشكلة ظلت كما هي، بل وتزداد تعقيدًا... وأضحى الامتعاض من وضع التعليم ومخرجاته وحال الطلبة البائس، من ضعف وهشاشة فكر وثقافة، شعورًا سائدًا.

من الصعب أن تحمِّل طرفًا محددًا، دون غيره، في ما يحدث، لكنني -بصفتي من منسوبي التعليم- سأورد ما أراه من وجهة نظر خاصة. قبل كل شيء أرى أن الجميع يشتركون في هذه المعضلة، بما فيهم أولياء الأمور.

أنطلق من إيراد مثال لما يشهده المجتمع من تطور وتغير... نشهدُ تحوّلات حضاريةً وثقافيةً وزمنًا تقنيًا مهولًا، وطفرة في وسائل التواصل الاجتماعي، التي ينغمس فيها الطلبة... وعلى رغم ذلك نجد مناهج التعليم وطرقه جامدة، وفي داخلها حشو مبتذل، وأنظمة لا تواكب سرعة الزمن ولا تغير شيئًا في طبيعة المجتمع... ونجد أن داخل المدارس يقتل قوة الاستنباط والاستدلال العقلي، بل إن بعض منسوبي التعليم يتوجسون من أسئلة الطلبة المتوقدة بالبحث عن إجابة عن أحجية معقدة وكامنة، فيُقمَع الطالب ويطلب منه ألا يفكر في أمور أكبر من عمره!

الحياة تركض من حولنا، دون توقف، نحو مستقبل حضاري، وتقدّمٍ زاهٍ، وثورة تقنية عجيبة، وما زال التعليم ونظامه ثابتًا كجبل، لا يتزحزح أمام هذه المتغيرات!

كل ما نلمسه من القائمين على التعليم مجرد محاولات لتطوير مناهج وقواعد صاغها أشخاص بعيدون عن «واقع الميدان التربوي»، من أبراجهم العاجية، يخططون خططًا كوحي من الخيال، والمضحك المبكي أن الخطط في الشرق والواقع في الغرب! فأنّى لهذه المحاولات أن تنجح وهذا واقعها، ولا غرابة في أن يكون الفشل مصيرها؛ بسبب التفاوت في كل شيء، من مناهج، وواقع، وبيئة غير جاذبة، ويوم دراسي طويل، وإجازات متقطعة، وضعف الدافعية لدى الطلبة، وكوادر تدريسية متعنتة وغير مرنة...

فما يجب على المعنيين بشؤون التعليم والتطوير، وما يتعلق بهما، أولًا الإيمان الكامل بأنهم يسهمون في بناء وطن عظيم من خلال هذه الأجيال المتعاقبة، وعليهم أن يتقدموا للمهمة إذا كانوا يملكون الرؤى والفِكر والعزيمة، التي تمكنهم من إحداث التغيير الحقيقي والتطوير المجدي؛ ليواكب التعليم متطلبات هذا العصر من حضارة غير مسبوقة للبلد، ومراعاة الزمن وتحدياته...

يجب أن يظل التعليم مواكبًا للمتغيرات، وغير معزول عنها... وإذا كنا قد شهدنا قفزاتٍ موفقةً في التنمية، فإن التعليم يجب أن يقفز خطوات إلى الأمام، فهو الركن الأساسي الذي يضمن لنا استدامة وجودة حياة وبناء وطن شامخ...

...كانَ يومًا لا يُنسى



عبدالعزيز قاسم

إعلاميٌ وكاتبٌ صحفيٌ من السعودية

سيظلُّ يومُ أمسِ الجمعةِ محفورًا في قلبي، لا كأيِّ يومٍ مرَّ. فقد احتضنتُ للمرّةِ الأولى حفيدي البكر، عبدالعزيز، الذي اختار له أبواه أن يحملَ اسمي، فكأنما وهبني الله امتدادًا جديدًا لذاتي، وأعادني — بدهشةٍ غامرة — إلى بداياتِ الأبوة، لكنْ هذه المرّة من نافذةِ الجدِّ الحنونِ.

يا سادةُ: حفيدٌ واحدٌ قد يُعيدَ ترتيبَ فصولِ العمرِ، ويزرعَ في القلبِ ربيعًا جديدًا.

كانت زوجةُ ابني مريمُ، تلك الأميرةُ التي غمرتني بأبوّةٍ ثانية، هي من قدّمت هذا العطاءَ السماويَّ، فاحتضنتُها طويلًا، وقد اغرورقت العينانِ، وامتلأ قلبي شكرًا وامتنانًا.

نحن امتدادٌ لا يتلاشى، وُلدنا من جديدٍ على عتبةِ الحفيد.

قبلها، كنّا خرجنا من الفندقِ الأنيقِ الذي استأجره ابني م. أسيد، وكنّا — أنا والزوجةُ، وغادةُ، وجمانةُ — كمن يسيرُ على سحابةٍ من الشوقِ. أقلّنا ابني الآخر، م. فراس، بسيارتِه الجميلة، وهو الذي يعملُ منذ عامٍ كاملٍ هناك في الشرقِ، فاجتمعنا كعائلةٍ اكتملت فرحتُها بلقاءٍ انتظرناه كثيراً.

أمّا باقةُ الوردِ التي ترونَها، فقد اختارتها ابنتي غادةُ، ونسّقتها بلمستِها ذاتِ الذوقِ الرفيع، فكانت عابقةً بالجمالِ والحنينِ. وبينما كنتُ نائمًا، كتبت زوجتي الغاليةُ إهداءً باسمنا. لكنّني حين قرأتُه، لم يستقرَّ في صدري، وأحسستُ أن الحروفَ لم تسعفْني بعدُ... فالفرحةُ أكبرُ من أيِّ تعبير.

أصررتُ أن أكتبَ بنفسي. فالكلماتُ — وحدَها — لا تذبلُ. أمّا الوردُ، فمصيرُه الذبولُ، والهديةُ قد تُنسى وتُصرَف... لكن ما خُطَّ بالقلبِ يبقى، ويستعصي على النسيانِ.

كتبتُ لها:

"إلى أغلى مريمَ في الدنيا،
إلى أبهى أميرةٍ وأجملَ ملاك،
إلى من غمرتْني بأبوّةٍ ثانيةٍ،
وأهدتْني حفيديَ الأولَ،
مباركٌ لنا.
عمُّك
عبدالعزيز قاسم
١٦ / ١ / ١٤٤٧ للهجرة".

هكذا، في لحظةٍ واحدة، عرفتُ أن الحبَّ لا يُقاسُ بالعمرِ، وأنّ القلبَ، مهما أثقلتْه السنينُ، لا يزالُ قادرًا أن يُزهرَ... إذا أهدتْه الحياةُ حفيدًا!

غمرتني مريمُ بالأبوّةِ ثانيةً... يا لجمالِ ابنةٍ تُهديك عمرًا في جسدٍ صغيرٍ!

——————

=2

في بيتٍ من بيوت المودّةِ الأحسائيةِ، استقبلنا والدُ مريمَ، الصهرُ النبيلُ نبيلُ القرينِ، بحفاوةٍ لا تُشترى، وشوقٍ يُحسُّ ولا يُقالُ، بعد أن باعدتْ بيننا المسافاتُ والارتباطاتُ؛ فهو من أقصى الشرقِ على ضفافِ الخليجِ، وأنا من أقصى الغربِ على حافةِ البحرِ الأحمرِ، لكنّ القلوبَ حين تشتاقُ، تلتقي رغم الخرائطِ.

المسافاتُ لا تُفرّق الأرواحَ المُشتاقةَ... فالقلوبُ تملكُ خرائطَها الخاصةَ.

رجلٌ يليقُ باسمه، "نبيلٌ" فعلًا وقولًا. من عائلةٍ كريمةٍ ضاربةٍ في عراقةِ الأحساءِ، ومكانتُه في قلوبنا لا يُطاولُها وصفٌ. وكم غمرني اللقاءُ به فرحًا صادقًا، كأنّ الزمنَ انثنى ليُرتّب مشهدًا من المودّةِ القديمةِ!

ولم يكنْ وحدَه، بل حضر خالُ مريمَ، الرجلُ الرياضيُّ الاجتماعيُّ الرائعُ أبو محمد جميلٌ بوبشيتُ، الذي يزهرُ المجلسُ بحضوره. وهو من أسرةٍ بحرينيةٍ-أحسائيةٍ، لها مجدُها وطيبتُها، وقد زرتُ ديوانيتَه لاحقًا، تلك التي سأحدّثُكم عنها تاليًا، ديوانيةٌ لا تُشبهُ إلّا نفسَها.

جاء أيضًا فيصلُ وفهدُ وخالدُ، إخوةُ مريمَ، شبابٌ يفيضونَ حيويةً ودماثةً، تتفتحُ في حضورهم طاقةُ البيتِ، ويخضرُّ الكلامُ.

أمّا اللمسةُ الأنثويةُ الساحرةُ، فكانت من ابنتنا مريمَ نفسِها، التي فاجأتْنا بشوكولاتةٍ فاخرةٍ، منقوشةٍ باسم حفيدي عبدِالعزيزَ، في لفتةٍ راقيةٍ تعبّرُ عن أناقتِها وذوقِها المُترفِ.

ولأنّني من جيلٍ يُقدّسُ الرموزَ، لم أستطعْ أن ألتهمَ الاسمَ، واكتفيتُ بحبّةٍ واحدة، تاركًا للعينِ نصيبَها من التأمّلِ، وللقلبِ فسحةً للامتنانِ.

الشوكولاتةُ التي نُقشَ عليها اسمُ حفيدي، لم تكنْ حلوى... بل أيقونةُ حُبٍّ.

وهكذا اجتمعنا في مجلسٍ لا يُقاسُ بالمسافةِ، بل بالمحبّةِ.

جلسةٌ إحسائيةٌ خالصةٌ، دافئةٌ، فيها طعمُ العائلةِ، وعبيرُ الشوقِ القديمِ، و"ريحةُ الأحبابِ".

وكنتُ سعيدًا — والله — سعادةً لا تُوصَفُ، كأنّ المجلسَ مصبوبٌ من ذهبٍ، وكأنّ الأرواحَ — لا الأجسادَ — هي من كانت تتعانقُ.

بعضُ المجالسِ تُقالُ فيها الحكاياتُ، وبعضُها... تُصبحُ هي الحكايةَ.

———————

3=

صورةٌ لا تُلتقطُ بالكاميرا، بل تُلتقطُ بالقلوبِ...

كعادتي، لا أفرّطُ بمثلِ هذه اللحظاتِ التي تصنعُ من الذاكرةِ متحفًا من نورٍ. طلبتُ أن تُؤخذَ لنا صورةٌ جماعيةٌ، لا لتؤرّخَ زيارةً عابرةً، بل لتوثّقَ شعورًا نادرًا: لحظةً شعرنا فيها — جميعًا — أنّنا عائلةٌ واحدةٌ.

اللحظاتُ العابرةُ قد تُنسى، إلّا إنْ سكبتْها الصورةُ في زجاجِ الذاكرةِ.

انضمَّ إلينا في الصورةِ محمدٌ، شقيقُ مريمَ، وم. فراس، ابني النبيلُ، وجلسنا جميعًا بسُحنٍ باسمةٍ كأنها سُقيتْ من نهرِ الفرحِ. ما من تصنّعٍ في الابتسامِ، ولا مجاملةٍ في الوقفةِ، بل روحٌ واحدةٌ تناثرتْ على وجوهٍ متقاربةٍ، وكأنّ القلوبَ سبق أن تعانقتْ قبل هذه الصورةِ بسنينَ طويلةٍ.

فوالله، لا تُشرقُ السعادةُ على الوجوهِ إلّا إنْ تجانستِ الأرواحُ، واصطفى الودُّ، وصدقتِ النوايا.

وهذا ما كان.

وكم هو محظوظٌ ابني أسيدُ، أنْ كتبَ اللهُ له أنْ يُصاهرَ عائلةً أصيلةً كريمةً كعائلةِ القرينِ.

وكم نحن — واللهِ — محظوظون بملاكٍ تُدعى مريمَ، دخلتْ بيتَنا لا كضيفةٍ، بل كبركةٍ.

من أرقى الأرزاقِ أنْ يرزقكَ اللهُ بزوجةٍ صالحةٍ، وكنزٍ اسمُه ابنةٌ لك من غيرِ رحمِك.

إنهم لا يعلمون... أنّ الصورَ لا توثّقُ فقط من كانوا في المشهدِ، بل من سكنوا القلبَ.

وفي العائلةِ التي تُشبهُ قلبَكَ، لا تبتسمُ شفتاكَ... بل تبتسمُ روحُك.

الأصهارُ الذين يُصبحونَ أهلَك...

هم من ذروةِ المنحِ والعطاءِ الذي يُكرمكَ به اللهُ...

———————

4

"عناقٌ يُشبهُ الصلاةَ..."

حينَ ولجتُ صالةَ اللقاءِ، لم أسلك الطريقَ نحو المهدِ أوّلًا، بل مضيتُ حيثُ القلبُ يأخذُني.

اتجهتُ إلى مريمَ، زوجةِ ابني، وابنتي الرابعةِ، واحتضنتُها كما تُحتضنُ الحياةُ، قبّلتُ رأسَها قبلةً فيها امتنانٌ عميقٌ، وكأنّي أهمسُ في قلبِها: "شكرًا لأنكِ أهديتِني أبوةً

ثانيةً، وأنجبتِ لي هذا الامتدادَ المباركَ".

طال عناقي لها، لا لأنّ اللحظةَ تقتضي، بل لأنَّ الامتنانَ ثقيلٌ، والحبَّ غامرٌ، والمكانَ لا يسعُ القلبَ.

بعضُ اللحظاتِ أثقلُ من التعبيرِ... لأنها محشوةٌ بامتنانٍ لا تكفيه اللغةُ.

وكأنّ هذه الدهشةَ لم تكنْ كافيةً، حتى التفتُّ إلى ركنِ الغرفةِ، فإذا باسمِ حفيدي عبدالعزيزَ، مكتوبٌ على الجدارِ، على الباقاتِ، على الهدايا، على العبواتِ... كأنّ الفرحَ نفسَه قد تماهى مع اسمه.

تأملتُ تفاصيلَ المكانِ. أناقةٌ فائقةٌ، رُقيٌّ يُدرَّسُ، وذوقٌ مَلكيٌّ، وكلُّ شيءٍ يهمسُ:

"لقد جاء أميرٌ صغيرٌ إلى هذا العالم، واحتُفيَ به كما يُحتفى بالنورِ".

ووقفتُ هامسًا:

"رحمَ اللهُ جيلي الذي لا يعرفُ من الهدايا إلا كراتينَ البرتقالِ والفاكهة، وعلبَ مانجا (النكتارِ) و(قها)، جيلٌ لم يعرفْ من الهدايا إلا ما يُؤكَلُ... أمّا هذا الجيلُ، فيُهديكَ بهجةً تُعلّقُ على الجدرانِ".

ما بين جيلِنا وجيلِهم... مسافةُ دهشة لا تنتهي، ومساحةُ ذهولٍ مبلّلةٌ بالحنين.

كلُّ يوم تُفاجئُنا الأيامُ بكرورها بما لم نحلُمْ به،

وكلُّ لحظة تُعلّمُنا أنّ الحركةَ لا تقفُ، وأنّ اللهَ وحدَه هو الثابتُ في زمنِ التبدّلات.

أمّا مريمُ... فواللهِ ما تغيّرتْ.

وعهدي بالأمهاتِ في ولادتهنّ الأولى أنْ تُرهقَهُنّ التجربةُ، وتخطفَ منهنّ ألقَهُنّ،

لكنّها — كما قلتُ — ملاكٌ نزلَ من رقّةٍ وأناقةٍ وجَمالٍ.

ولأجلِ هذا كلِّه، لم أستطعْ أنْ آتيَ إلى مهدِ حفيدي مباشرةً...

خشيتُ أن يُباغتَني الدمعُ.

مريمُ ليستْ زوجةَ ابنٍ، وليستْ أمًّا فقط... بل لغةٌ من الجمالِ تنطقُ بالسكينة.

——————

= 5-5

عند عتبةِ الاسمِ... وقفتُ ممتنًّا.

وقفتُ — جذلًا، فخورًا، مدهوشًا — أمامَ اسمه الذي يسطعُ أمامي، كما تشرقُ شمسٌ جديدةٌ في حياتي: (عبدالعزيز بن أسيد) ربما ترونَه مجردَ طفلٍ جديد في شجرةِ العائلة... لكنّني — واللهِ — رأيتُه فرعًا من عمري، نبتَ باسمي، واهتدى بملامحي، وأهداني ما لم أكنْ أظنُّ أنني سأفرحَ به يومًا: (لقب "الجدّ").

كنّا نتفادى هذا اللقبَ، ونتحرّجُ منه، لأنه يُخبرُ العالمَ — والمرآةَ — بأنّنا دخلنا دهليزَ "الكِبَرِ والشيخوخة"... بصراحةٍ أكثرَ: كنتُ أهربُ من لقبِ "الجدِّ"، حتى جاء حفيدي وجعلَه وسامًا على صدري.

اليومَ، أقفُ على بابِ مرحلةٍ جديدة، لا خجلَ فيها، بل فخرٌ ورضا، كأنّني أُعطيتُ وسامًا من الزمن.

أحملُ هذا الاسمَ على صدري، كما لو كان وشاحًا ملوكيًّا...

وأنظرُ إلى التفاصيلِ من حوله — الهدايا، الحلوى، الزينة، اللافتات — وكلّها تحملُ اسمَ "عبدالعزيز بن أسيد"، كأنّ الدنيا بأكملِها تنطقُ بالحفيدِ!

يا ابنتي الجميلةُ مريمُ: الاسمُ الذي علّقتِه على الحلوى والأكوابِ... علّقته بقلبي أوّلًا.

ربما يمضي الزمن وتُطوى الصور... لكن الاسمَ الذي نُقش على الحلوى، سيبقى منقوشًا في أعماق قلبي ما حييت.

تسألوني: ما الذي تغيّرَ؟

وأجيبُكم: لم يكنْ مجرّدَ طفلٍ...

بل هو أوّلُ مَن منحني هذا الشعورَ الكاسحَ، وهذا الدفءَ الذي لا يُشبهُه شيءٌ.

هو حفيدي... وأوّلُ حفيد يحملُ اسمي.

خذوها منّي: الحفيدُ الأوّلُ... لا يطرقُ بابَك، بل يدخلُ من نوافذ الذاكرة، والحلم، والفخرِ دفعةً واحدةً.

ببساطة أكثر: لم يتغيّرْ شيءٌ في العالمِ... فقط، وُلد طفلٌ باسمي، فجعلَ كلَّ شيءٍ أدفأ.

ولأنني الآن أكتبُ لكم من مطارِ الدمام، مهتبلًا انتظارَ الرحلة...

فإنّني أعدُكم... أن أرويَ لكم غدًا ما شعرتُ به لحظةَ أن حملتُه بين ذراعيّ، فقد كان ذلك العناقُ الأوّلُ... لحظةً توقّف عندَها الزمنُ.

وقبل أن أودّعَكم، أهمسُ لكم: في حضرةِ عبدالعزيزَ، فهمتُ أنَّ الحبَّ لا يشيخُ... بل يتحوّلُ، ويرتقي، ويُزهرُ في زمنٍ جديدٍ، اسمُه "الأحفادُ".

الشاعر السعودي حسن بن أحمد الصلهبي الحازمي



محمد الرياني

كاتب من السعودية

رئيس النادي الأدبي بمنطقة جازان، الأديب وصاحب الأولويات في الأدب السعودي.. والمبادرات الأدبية المتميزة.

يعد هذا الشاعر من أبرز الشخصيات الأدبية الشابة تميزًا في الساحة الأدبية السعودية. وأكثر شهرة في منطقة جازان، جنوب السعودية. شاعرًا، ومترجمًا معاصرًا، ومعلمًا ورئيسًا للنادي الأدبي، بمنطقة بجازان. صاحب الأولويات في إثراء الأدب السعودي، في الوقت المعاصر. (صوت الماء) أول كتاب سعودي متخصص في الهايكو. (جسدها والبياض) يعد الكتاب الأول سعوديًّا، من نوعه متخصص في رصد وتتبع شعراء ونصوص التصويرية.* (كيف سقط قوس قزح) يؤرخ للشعر الأمريكي وجمع فيه عددًا هائلًا من الشعراء الأمريكيين. ويعد الإصدار الأول في المملكة العربية السعودية على الإطلاق. وكتاب (كل شيء يترمد) الأنثلوجي الأول على مستوى الوطن يصدره هذا الشاعر الفذ باللغة الإنجليزية حسن الصلهبي، شاعر موهوب، ويعد أحد أهم الرموز الشعرية التي شكلت المشهد الثقافي والأدبي. منذ نهاية التسعينيات إلى وقتنا الحاضر، في المملكة العربية السعودية. عندما تسلم رئاسة النادي الأدبي بمنطقة جازان جعله، ملاذًا وقلبًا نابضًا للمبدعين والمبدعات، في مختلف الآداب والفنون. الصلهبي، استطاع أن يجمع المئات من مختلف الفئات الأدبية والثقافية والفنيه. في كل مناسبة أو أمسية تقام في النادي الأدبي بجازان على مدار العام. سواء حضوريًا أو من على المنصات الإلكترونية زوم، وجعله متميزًا عن بقية أقرانه من الأندية الأدبية في مناطق المملكة. ذاع صيته كشاعر مبدع وحقق المراكز الأولى في بعض المسابقات الأدبية التي شارك فيها، وحاز على جوائز رفيعة المستوى، داخل المملكة وخارجها، له دواوين شعريه منها (خائنة الشبه) وقد حازت على جائزة أبها الثقافية عام (١٤٢٤هـ).

وديوانه (بين يدي امرئ القيس) الذي فاز (بجائزة أوسكار محمد بن راشد بن حميد للثقافة والعلوم بنادي القصيم) (عزف على أوتار مهترئة) يعد أول ديوان له صدر عام (٢٠٠٢م). لهذا الشاعر المتميز عدد من المشاركات في الأمسيات الشعرية والملتقيات الأدبية داخل

المملكة وخارجها.

نشرت له كثير من المجلات والصحف الثقافية، والدوريات وأبرزها (مطبوعة في الموسوعة الشعرية.. الصادرة مَن المكتبة العالميه للشعر.. بالولايات المتحدة الأمريكية لقصيدته التي كتبها بالإنجليزية Poor night)، وله تراجم عدة.

سر نجاح هذا الشاعر المبدع حسن الصلهبي، كأديب وشاعر وإداري ناجح هو إحساسه بتطلعات الآخرين من الأدباء والمثقفين والفنانين من الجنسين واحتوائه للمواهب الناشئة وتحقيق رغباتهم وأحلامهم وفتح أبواب النادي الأدبي مشرعة لهم لتقديم إبداعاتهم الفنية والأدبية. وأقام الأمسيات الأدبية لكثير من الشعراء والقاصين والروائيين والمحاضرات، العلمية والتاريخية، في النادي الأدبي وفي صالات الفنادق، فتح المعارض التشكيلية لبعض الفنانين والفنانات بالمنطقة، في صالة خصصها للمعارض الفنية داخل النادي الأدبي. وأقام الندوات والملتقيات لكثير من النقاد والمؤرخين والمثقفين والفنانين.. سواء



من داخل المنطقة أو من خارجها. كما أنه لا يتوانى في تكريم المبدعين والمبدعات، في مختلف المجالات الأدبية والفنية، في كل مناسبة بشهادات الشكر والتقدير والدروع التذكارية.. كبارًا وصغارًا ومن مختلف الفئات العمرية من باب الاحتفاء للكبار.. والتشجيع والتحفيز للمواهب الشابة، واحتوائهم، وذلك من أولوياته.

هذا هو الشاعر اللامع، حسن بن أحمد الحازمي، الشهير (بحسن الصلهبي)، الإنسان المتواضع، واسع العلاقات مع الجميع الذي ظفر باحترامهم، وودهم ومحبتهم.. صاحب المبادرات المبدعة والخلاقة.

من مواليد (١٩٧٢م) في (الظبية) التابعة لمحافظة صبيا، بمنطقة جازان، جنوب غرب المملكة العربية السعودية، يعمل معلمًا للغة الإنجليزية بالمعهد العلمي بمحافظة (صبيا) منذ أن تخرج في (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) عام (١٩٩٢م) بكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها، بمنطقة عسير، جنوب المملكة العربية السعودية.

أدب الرَّسائل.. معابر إنسانية ومحابر ثقافية

إعداد: سلوى الأنصاري



في زمنٍ لم تعرف فيه الأرواح وسيلةً للتقارب سوى الورق والحبر، كانت الرسائل الأدبية جسرًا إنسانيًا، تتصافح عبره القلوب قبل الأيدي، ويرتوى بها شغف الأدباء ببعضهم، وتتجلى بها أسمى معاني الصداقة والفكر.

أدب الرسائل لم يكن مجرد وثائق شخصية، بل هو فن قائم بذاته، يحمل بين سطوره حرارة العاطفة، ورهافة الذوق، وصدق البوح.

فيه تتجلى علاقة الإنسان بالكلمة، وعلاقته بالآخر،

حين تكون المسافة حاجزًا، ويكون البريد ضمير وصل لا انفصال، فتكون الرسالة المبتدأ للبوح والعواطف الخبر الذي تجره الباء بصدق نحو صندوق صغير يزوره ضمير منفصل فيحمله معه كسرب حمام زاجل ويضعه على نافذة الانتظار.

في فسيفساءِ الأدبِ العربي، يتلألأ "أدبُ الرسائل" كجوهرةٍ مصقولةٍ حملت نبضَ القلوبِ، وهمس الأرواح، وخفقاتِ العقلِ في سطورٍ نُسِجَت بحبرِ الوجدان. هو فنٌّ لا يشبه سائرَ الفنون، إذ فيه يُصغي القلمُ لما لا يُقال، ويُصاغ الحنينُ في قالبِ بلاغة وعذوبة لا تنضب.

من العصرِ الجاهلي إلى فجرِ الإسلام:

لم يعرف العربُ الأوائل الرسائلَ بصورتها الأدبية المتأنقة، بل كانت الكلماتُ طيَّ الريح، يتناقلها الشعراءُ والخطباءُ في المجالسِ والقبائل. أما الرسائلُ المكتوبة، فلم تكن إلا رقاعًا مختصرةً تؤدي غرضًا سريعًا. حتى إذا أشرقت شمسُ الإسلام، بزغت رسائلُ النبيِّ محمد ﷺ إلى ملوكِ الأرض، تفيضُ بدعوةٍ، وتزدانُ بجلالِ المعنى، فكانت مزيجًا من فصاحةِ الوحيِ وهيبةِ الرسالة.

من عبد الحميد الكاتب إلى الجاحظ:

في العصرِ الأموي، وُضِعَت اللبناتُ الأولى لفنّ الرسائل كما نعرفه اليوم. برز عبد الحميد الكاتب، فصاغ الرسالةَ بأسلوبٍ فنيٍّ رفيع، جمعَ بين دقةِ المعنى، وجزالةِ اللفظ، وأناقةِ الأسلوب. ثمّ جاء العصرُ العباسي، فانبثقَ فيه النورُ من كل صوب، وارتفعت للرسائلِ قبابٌ من الفكرِ والأدب، وظهر أمثالُ الجاحظ وأبي حيان التوحيدي، حيث أصبحت الرسالةُ لوحةً لغويةً تنبضُ بالحكمةِ والعاطفةِ والفن.

الرسالة في ثوبِ الهوى الأندلسي:

وفي رحابِ الأندلس، اكتست الرسائلُ حُلّةً من الشوقِ والرقة، وارتقت من الديوان إلى الديوان، ومن القلبِ إلى القلب. ومن بين السطور، برزت رسائلُ ابن زيدون إلى معشوقته ولّادة بنت المستكفي، وهي دررٌ تُتلى في العشقِ والبيان، يُطرّزها الشوقُ وينقشها الألمُ على صدرِ الورق.

كانت الرسائل أدبًا عابرًا للزمن منذ ذلك الوقت إلى وقتنا الحالي؛ فها هي رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، أو العكس، ما زال أريجها عالقًا في صناديق البريد، تخبر الأصدقاء أن اللغة وحدها كانت كفيلة ببناء علاقة تتجاوز الغياب والصورة. علاقة روحية عميقة لم يلتق فيها الطرفان وجهًا لوجه، لكن رسائلهما تركت أثرًا خالدًا، كأنها تعويض رمزي عن اللقاء المستحيل الذي فاح شذاه بين سمائين.

نجد كذلك في رسائل طه حسين وتوفيق الحكيم والرافعي إلى صديقه الشيخ محمود أبو رية فيما بين سنتي 1912هـ و1934م،ة، والعقاد وسارة، ورسائل أحمد أمين لزملائه، وغيرهم الكثير، ما تشهد على أن الصداقة – وربما الحب – لا تحتاج دائمًا إلى لقاء الجسد، بل يكفي أن تلتقي الأرواح على زورق من ورق يأخذهم لعوالم الصداقة الصادقة.

لم يكن التراسل بين الأدباء ترفًا عاطفيًا فقط، بل تبادلاً فكريًا راقيًا، ونقدًا أدبيًا مخلصًا.

نقرأ رسائل، فنكتشف حوارًا مستمرًا، فيه اتفاق واختلاف مغلف بودٍّ عظيم.

حتى في الغرب، ظلّ التراسل بين الأدباء وسيلة لبناء علاقات فكرية متينة فنجد رسائل راينر ماريا ريلكه إلى فرانتس كسافير كابوس – التي صارت كتابًا بعنوان رسائل إلى شاعر شاب – كانت دليلًا حيًا على أن الرسالة تستطيع أن تكون مرشدًا، وناصحًا، وصديقًا.

في رسالته الأولى، يعتذر راينر ماريا ريلكه بلطف عن تقييم أو نقد قصائد الشاب كابوس، ويُوجّهه بحكمة قائلًا: "لا أحد يمكنه أن ينصحك أو يساعدك، لا أحد هناك.. طريق واحد فقط: ادخل في ذاتك".

وعلى امتداد الرسائل العشر التي تبادلها معه، يتحول ريلكه إلى مرشد روحي وفكري، لا يلقّنه الشعر، بل يُعلّمه كيف يشعر به. يهمس له عن الحب، وعن القلق، وعن سعي الشاعر إلى الحقيقة، لا عبر الكلمات وحدها، بل عبر تأمل العالم، ومعايشته، والانصهار في تجربة الشعر بوصفه طريقًا لاكتشاف الذات والوجود معًا.

ما يُميز الرسائل الأدبية أنها تجمع بين البوح الشخصي والذوق الفني. يكتب الأديب رسالته كما لو كان يكتب نصًا أدبيًا، لكن الفرق أن المرسل إليه يكون روحًا واحدة، لا جمهورًا مجهولًا.

هذه الرسائل لا تحتاج إلى اتصال دائم، ولا لقاء مستمر، بل إلى صدق، وحنين، ولغة تُشبه القلب.

وما أصدق ما قاله أحدهم:

"الصداقة الحقيقية لا تضعفها المسافات، بل تُقوّيها الرسائل.

لقد حفظ لنا التاريخ رسائل أدبية كانت بمثابة أعمدة من نور تُضيء زوايا العلاقات الإنسانية بين الأدباء، فها هو جبران خليل جبران يكتب إلى مي زيادة:

في "الشعلة الزرقاء" ذلك الكتاب الذي لا يشبه أيّ عملٍ آخر له، إذ يضم بين دفتيه سبعًا وثلاثين رسالة، خطّها جبران بوجدانه لا بيده، إلى الكاتبة ميّ زيادة. رسائل تنبض بفرادة هذا الحب الذي امتدّ على مدى عشرين عامًا، دون أن يلتقيا جسدًا، بل في عالمٍ آخر، عالم الفكر والروح.

في هذه الرسائل، نقرأ تحولات العلاقة كما لو كنا نراقب نمو زهرةٍ في أرضٍ بعيدة.

كنا نلاحظ التحفّظ الهادئ إلى التودد الدافئ، ومن الإعجاب الأدبي إلى صداقة شفيفة تتجاوز المألوف، ليكتمل المشهد بقصة حبٍ مكتومة، لا صوت لها سوى الحبر، ولا صدى إلا أنين الأوراق.

كتب لها جبران ذات يوم في رسالة:

"إني أعيش فيك مهما بَعُدت عنك، وأشعر بك مهما انقطعت رسائلك".

وهي بدورها تردّ عليه:

"أتساءل أحيانًا: أيها الغائب الحاضر، كيف استطعت أن تجعل من الرسالة لقاءً أجمل من الحضور؟!".

لم يلتقيا وجهًا لوجه طوال حياتهما، لكن رسائلهما كانت كافية لأن تصنع صداقة متوهجة وعلاقة فكرية خالدة تجاوزت حدود الجغرافيا والزمن.

ولم تخلُ الرسائل من نقاشات عميقة في الأدب والفكر والحياة، كرسائل ميخائيل نعيمة إلى جبران، ورسائل الرافعي التي جمعها في "رسائل الأحزان"، و*"السحاب الأحمر"*، حيث امتزج الحنين بالتأمل، والمشاعر بالبلاغة.

نذكر من تلك الرسائل الى ميخائيل نعيمة:

لقد صرنا مشتاقين إليك وأنت لم تزل مودعًا.. فماذا يحل بنا إذا ما غبت عنا ثلاثة أسابيع؟!

وهذه رسالة أخرى يقول فيها:

عزيزي ميخائيل

سلام عليك

ماذا حل بالصور الشمسية التي أخذناها في كاهونسي؟ ألا فاعلم أني أريد الحصول على نسخة من كل صورة. فإن لم أحصل على حقوقي رفعت عليكم دعوتين، واحدة في محكمة الصداقة، و الأخرى في ديوان أحمد باشا الجزار.

واذكر يا ميشا اسمي مشفوعًا بمودتي أمام إخواننا ورفاقنا والله يحفظك عزيزًا لأخيك.

جبران

بوسطن 1921.

حملت الرسائل الأرواح على طائرات ورقية، فقرأها العالم أجمع وانتشر صدى كلمات الصداقة عبر أثير الزمن إلى يومنا هذا، يا لها من صداقة صادقة، تؤكد أن المسافات ما هي إلا عذر قبيح لا تؤمن به الأرواح.

أما في أوروبا، فقد دوّى صدى رسائل كافكا إلى "ميلينا" مثل اعترافات مكتوبة بحرارة الألم والوحدة، يقول:

"كل رسالة منك، يا ميلينا، تجعلني أعود إلى الحياة قليلًا".

هذه الرسائل لم تكن مجرّد كلمات، بل أرواح تُسكب على الورق، كُتبت لا لتُحفظ، بل لتُعاش من جديد.

في يوم الصداقة العالمي، ونحن نعيش في عصر الرسائل السريعة والمحادثات العابرَة، نتوق للعودة إلى الرسالة بوصفها فعل حبٍّ، وهدوء، ونيّة صافية.

فهل يمكن أن نُحيي فن الرسائل؟

أن نكتب لأصدقائنا بخط اليد، لا لنتحدث فقط، بل لنُهدي جزءًا من أرواحنا على ورق؟

عونا نكتب، لا لنُسرع، بل لنُبطئ.

دعونا نُراسل، لا لنُخبر، بل لنقترب.

ففي أدب الرسائل، تتنفس الصداقة وتُولد من جديد...

كتاب "مستقرّ محمود درويش".. قراءة في المنهج

فراس حج محمد*



بعد القراءة الأولى التي قدمتها في كتاب "مستقر محمود درويش- الملحمة الغنائية وإلحاح التاريخ"، (صحيفة الاتحاد، حيفا، 2024/11/29) وتناولت فيها ما اعتقدت أن صاحبه الناقد صبحي حديدي يبتغي تحقيقه، ألا وهو رسم صورة مثالية لمحمود درويش، ولم أتعرض فيها إلى "منهج التأليف"، لهذا الغرض أخصص هذه الوقفة.

أولًا: من الضروري أن أشير إلى أن كتاب حديدي هذا، يتألف من مجموعة من المقاربات الطويلة، أو الطويلة نسبيًا، وبعض المقالات التي تندرج ضمن "مقالات الرأي" الصحفية التي نشرها الكاتب في الصحف والمجلات قبل أن تستقرّ في كتاب مطبوع. والجامع لهذه المواد هو أن موضوعها الشاعر محمود درويش. تغطي مادة الكتاب فترة تمتد ما بين أواسط التسعينيات حتى الشهور الأولى من عام 2024، كما جاء في المقدمة، وهي فترة طويلة، مؤسسة أيضًا على فترة أبعد من هذه الفترة؛ إذ تعود هذه المعايشة إلى وقت مبكر في حياة الناقد. وقد نشر بعضها -وربما كلها- في صحف

ومجلات عربية، من بينها على سبيل المثال، لا الحصر، القدس العربي، ومجلة دراسات فلسطينية.

هذه الملحوظة لها أثرها في الكتاب، مع تأكيد شرعية هذا النوع من التأليف، وكثير من الكتاب يلجؤون إليه على نحو لا يجعله نافرًا، ولا مستكرهًا، أو معيبًا، إنما هو شكل من أشكال التأليف، لكنها تترك أثرها السلبي، فيكون في الكتاب شيء من التكرار، كما حدث مع الناقد صبحي حديدي في مؤلفه هذا فيما يخص مثلًا الحديث عن ديوان درويش الأول الذي أعدمه "عصافير بلا أجنحة"، فقد تكررت بعض العبارات التي تخص هذا الإعدام في غير موضوع. والشيء نفسه حدث عندما وصف الناقد ديوان "سرير الغريبة" في أنه من "مرحلة الموضوعات المستقلة".

لقد تفلتت من الناقد أيضًا بعض العبارات التي كانت تشير إلى راهنية الكتابة الأولى، كوصفه لأحد دواوين الشاعر أو كتبه أنه "الأخير"، أو استخدامه الظرفي الراهن "الآن"، ومعروف أن ذلك "الأخير" وذلك "الآن" أصبحا متجاوزين وقد نشر الكتاب بعد أن راكم درويش بعد زمن الكتابة إنجازات أخرى، فكان حريًّا به أن يلتفت الناقد إلى ذلك، علمًا بأن الناقد لم يشر إلى زمن كتابة كل مادة من المواد، ولا أين نشرت، عدا الحوار المثبت في القسم الثالث الذي يعود إلى عام 1997.

وكل هذه المواد لها علاقة مباشرة بالشاعر محمود درويش وشعره، إلا تلك المقالة الصحفية التي تعود إلى عام 2007، ونشرت أولًا في صحيفة القدس العربي تحت عنوان "جدل الشاعر الكبير"، فلم يكن موضوعها الشاعر درويش، فموضوع المقال يتناول أساسًا مناقشة تصريح للناقد المصري جابر عصفور، أشار فيها إلى شعراء ثلاثة كبار، أحدهم محمود درويش. هل هذا الذكر يؤهّل المقالة لتكون في الكتاب؟ رأيتها بعيدة عن هدف الكتاب التمجيدي لدرويش. يذكرني هذا بالكيفية التي بنى فيها الناقد عبد الله الغذامي كتابه "اللابس المتلبس"، حيث جمع فيه كل مادة ورد فيها للمتنبي ذكر، حتى لو لم تكن في صلب مناقشة المتنبي وأفكاره وقصائده.

عدا أن الناقد حديدي خصص جزءًا كبيرًا من تلك المقالة للحديث عن الشاعر زهير أبو شايب. فما هو الداعي لذلك؟ وهل كان إقحامها في الكتاب نوعًا من استرضاء الشاعر أبو شايب، العامل في دار النشر التي أصدرت الكتاب، بحيث يجعله "شاعرًا كبيرًا" يُقرأ في سياق ممتدّ للشاعر الكبير "محمود درويش"؟ أم أن الناقد لم ينتبه إلى ما في المقالة من جدل ليس له صلة كبرى بدرويش، مطمئنًا إلى العنوان فقط، فلم يُعد القراءة؟ لكنني لا أعتقد أن أحدًا من المؤلفين المتمرسين بصنعة الكتابة، ولا حتى أي كاتب ولو كان مبتدئًا، فقيرًا، يبحث عن مادة لتضخيم كتابه، يفعل مثل هذا، وبطبيعة الحال، لن يفعلها الناقد صبحي حديدي لهذا الغرض.

أم كان الناقد مأخوذًا بألق العنوان على اعتبار أن درويش هو الشاعر الكبير؟ لذلك جاءت المقالة نوعاً من "اللعب على الحبلين"، وفيها مراوغة للقارئ وخداع له، لأن درويش حسب ما يحمل حديدي من أفكار تجاهه، لا يخضع لجدل الوصف، إنما كان غيره من يقع ضمن هذا الجدل، ومن بينهم الشاعر زهير أبو شايب، فيبدو دفاع الناقد عنه، دفاعًا باهتًا وهو يجعله في سياق الضرورة الدرويشية التي جعلت كل الشعراء الفلسطينيين خلفه، فلا يقدّم ولا يؤخر مثل هذا الدفاع.

ثانيًا: يفتقر الكتاب إلى البعد البحثي التوثيقي، فالناقد لم يقم بتأصيل آرائه ومقالاته، وما جاء من مراجع أو مصادر في ثنايا الكتاب كانت عرضية ثانوية، لا تمنح الكتاب بعدًا بحثيًا رصينًا، وفي تفسير هذه المسألة أقول إن طبيعة الكتاب ليست بحثية، كما أشرت في المراجعة الأولى، بل إنه يريد أن يقول وجهة نظره كناقد مقرّب من الشاعر، محل الحديث، وصلت العلاقة بينهما أنه كان "صديقًا كبيرًا، وأخًا قريبًا لم تلده أمّي"، فأراد إبراز ذاتيته أكثر من كونه باحثًا يسير على أصول بحثية، تمنح كتابه أصالة وعمقًا يستمدهما من طبيعة بناء المادة، وتأصيلاتها العلمية والمنهجية، لا من طبيعة موضوع الكتاب المرتبط بالشاعر. وفي مثل هذا النوع من الكتابة يحتل الكاتب الناقد المحلّ الأول قبل الشاعر نفسه محل الحديث، لأن الهدف من الكتابة- على ما يبدو من الكتاب- إظهار قدرة الناقد على تحليل شعر الشاعر بعيدًا عن أدوات منهجية خارج الذات، فلا يريد استحضار أدوات الآخرين لقراءة شعر صديقه المقرب، فعلاقتهما كفيلة أن تكون بديلا عن المنهج.

ومهما يكن من أمر هذا النوع من التأليف، وهو مشروع كذلك، لكن ما يعتريه من معايب النظرة الذاتية المغرقة في نرجستيها تجعل الدراسة نفسها، دراسة ذاتية، ومهما استطالت لا تعدو كونها نظرة انطباعية، وليست دراسة أو

بحثًا.

ربما يراهن الناقد صبحي حديدي -أولًا- على سلطته النقدية التي بناها طويلًا، وكأنه- ثانيًا- يريد أن يجعل نفسه مرجعًا في دراسة درويش، بحكم تلك الصداقة التي خوّلت الناقد فهما أعمق لشعر الشاعر، فيحق له أن تكون تحليلاته الذاتية مرجعا بحكم هذه العلاقة، وفي كلتا المراهنتين ملحوظات سيحذرُ منها الدارسون لاحقًا، لأنها تُنقص من هيبتها البحثية الموضوعية؛ فهي لم تكن محايدة بشكل كافٍ، بل منحازة مرتين، إحداهما للذات، والأخرى للشاعر نفسه بوصفه يدور في "دائرته مع الذات وجزءًا منها"، ولو على مستوى اللغة، وعلاقة الصداقة.

لذلك عادة ما تكون هذه الآراء من هذا الجانب غير موضوعية، ويُنظر إليها في المجتمع العلمي على أنها غير نزيهة، لأن ثمة عاطفة توجهها، وما زاد الطينَ بِلّة -كما يقول المثال- إعراب الناقد صراحة عن هذه العلاقة، ما يجعل كل تلك الآراء محل شكّ كبير من الدارس الموضوعي الذي يستنطق التجربة ذاتها كما استقرت عليه، دون روافع غير محايدة من أي دارس كان.

ثالثًا: من الواضح في الكتاب الاقتباسات الكثيرة الطويلة، بحيث يمكن أن تشكل ما يشبه المختارات الشعرية والنصية الممثلة لتجربة درويش الشعرية التي يريد الناقد أن يتشارك مع القارئ في قراءتها وتذوقها، وشملت هذه الاقتباسات الشعر والنثر، من دواوين وكتب وحوارات.

إلام تؤشّر هذه الاقتباسات بهذا الحجم؟ أعتقد أنها غير منبتّة في نشأتها عن تلك العلاقة التي تحكم الشاعر والناقد، ولعلها تجلٍّ من تجليات الذاتية، لكن في انحيازها لموضوع الكتاب لا لصاحب الدراسة، لكن هذا الدارس غير بريء في اختياراته المنصبّة في اتجاه تعزيز قدرة الذات على الاستمتاع بتلك الاقتباسات وفرضها على القارئ الذي سيستسلم نفسيًا تحت ضغط السلطتين النقدية والإبداعية، فكل اقتباس هو في حقيقته تعبير عن الذات، وما يستكن فيها، فما بالكم إذا كانت كل المادة موجهة لهذا الغرض الذاتي، أو للتعبير عن حب الشاعر المقتبَس من أشعاره أو من دراسات تحوم حوله، وتسبّح بمجده العالي؟

رابعًا: يتتبع الناقد شعر درويش وتجربته، ويلجأ إلى مرحلتها، ومن هذه المراحل، يذكر "مرحلة الموضوعات المستقلة"، ويدرج فيها دواوين: لماذا تركت الحصان وحيدًا، وسرير الغريبة، والجدارية، وحالة حصار. ولم يفسر الناقد المقصود بالموضوعات المستقلة، سوى أن الشاعر في هذه المجموعات انتبه إلى شؤون نفسه، فهل هذا كافٍ لوصف تلك الدواوين أنها ذات موضوعات مستقلة؟ كأنه أراد استقلاليتها عن القضية الفلسطينية، وهذا هاجس ممتد في الكتاب، أعرب عنه الناقد منذ التقى بالشاعر أول مرة عام 1976، ويؤكده في قوله "بعد أن غادر صفة البطولة وانتقل إلى صفات اليومي العاديّ".

في اعتقادي إن ما قدّمه الناقد في هذه المرحلة من شعر درويش غير دقيق، وذلك لأن الشاعر- أي شاعر- بوصفه شاعرًا غنائيًا، دائمًا يلتفت إلى شؤون نفسه، فلم تكن ذات الشاعر مغيبة إطلاقًا، عن قصائد من مثل "أحن إلى خبز أمي" مثلًا، ولا عن قصائده المبكرة التي تجنح نحو الغزل في غرامياته اليهودية، وغيرها الكثير. ودرويش نفسه يقول في واحد من حواراته المبكرة: "إن الغناء العظيم لا يكون إلا فردي التأليف، جماعي البعد"، راسمًا تلك العلاقة التي تحكمه بين هاتين الدائرتين، فالشاعر جزء من المجموع، وله يتبع، ومنه ينبثق في رؤاه وتصوراته، حتى الذاتية المنغرسة في تربة الذات الحميمية جدًا، كحديثه عن أمه، وعن حبيبته، وعن القهوة، وأشياء أخرى ذاتية الطابع.

ولو اطلع الناقد- وهذا قصور كبير منه- على ما وفّرته الباحثة امتياز دياب في كتابها المهم "ميلاد الكلمات" وما فيه من مواد ومخطوطات واعترافات درويشية، أو على ما صدر من كتب خلال فترة معايشة الناقد لأشعار الشاعر لم يكن ليقع في هذا الخلل، وربما هذا عائد مرة أخرى إلى البعد الذاتي المحض، وما يحيل عليه من الاستهانة بما قدّمه الآخرون من جهود في خدمة شعر الشاعر.

إضافة إلى أن هذه المجموعات المرحلة في "الموضوعات المستقلة" تتحدث عن المعاناة الإنسانية، بما فيها معاناة الذات الشاعرة، وذات الفلسطيني، والشاعر عندما يتحدث عن ذاته إنما يضعها في السياق العام الوطني أو القومي وحتى العالمي الإنساني، وهي الدوائر التي وضعها غسان كنفاني مبكرًا لأدب المقاومة، ومحمود درويش لم يكن ليفصل ذاته عن السياق العام، فعندما كتب ديوانه "حالة حصار" كان يتحدث عما أصاب رام الله من حصار همجي لدبابات الاحتلال، حيث الدمار والحصار حتى الموت خلال الانتفاضة الثانية (2000-2007)، وجاء الديوان في ذروة التصعيد الصهيوني على الشعب الفلسطيني عام (2002)، كما أن درويش في هذه الحقبة

من الإنتاج الشعري أنتج قصائد مهمة، ومنها قصيدة القربان التي رثى فيها الطفل الشهيد "محمد الدرة" الذي قتله الجنود عن سابق إصرار وتحدٍ في الثلاثين من شهر سبتمبر/ أيلول عام 2000، في البدايات الأولى لتلك الانتفاضة. يبدو أن الناقد لم يطلع اطلاعًا جيدًا على هذه المرحلة، أو أنه لم يرد أن يدرسها إلا كما توهم هو؛ بعيدًا عن القضية الفلسطينية لتكون بنظره مستقلة، ولكن كيف تكون مستقلة ودرويش في ديوان "لماذا تركت الحصان وحيدًا" لم يكتب سيرته الذاتية فقط، بل كتب سيرة اللجوء الفلسطيني، على قاعدة أنه واحد من الفلسطينيين اللاجئين، وواحد من العائدين تسللا، وواحد كذلك من الذين عانوا من مأزق المنفى داخل فلسطين، حيث لم يعد إلى قريته التي دُمرت بالكامل، وحل محلها مستعمرة صهيونية.

إذًا، فإن درويش في هذه المرحلة كان يرتفع بالذاتي إلى مصافّ الجماعي، وليس العكس، فلم ينزل "الموضوع الجماعي" ليكون شخصيًا، لأن الشاعر مهمته معروفة، الحديث عن الذات في سياق التجربة العامة الجمعية، وهذا داخل في مفهوم "الغنائية" الشعرية، وهذا ما فعله درويش في شعر هذه المرحلة، عندما يُدرس دراسة منهجية موضوعية، خالية من النوازع الذاتية.

خامسًا: يتجاهل الناقد بشكل لافت موضوع غناء شعر درويش، على الرغم من أن "الغنائية" بمفهومها الأساسي لها اتصال بموضوع تلحين قصائد الشاعر وأداء المطربين لها. إن الناقد يقفز عن هذا المعنى الأوليّ للغنائية، ويستتفهه تماما، فناقش على نحو سلبي هذه المسألة، معتبراً الأداء الغنائي الصائت نوعًا من "التطريب المبتذل"، ويضيف قائلًا: "ولا يعقل أن يلجأ إليه شاعر يشتغل على تقنيات مختلفة مثل تفجير اللغة والإيقاع الداخلي".

ومهما يكن من أمر، فإن في هذه المسألة التباسًا لدى الناقد؛ إذ يضع كل التراث الشعري المغنّى بشقيه، سواء أسعى الشاعر إلى ذلك أم لم يسعَ، ضمن دائرة من الاتهام، فثمة شعراء كبار كتبوا القصائد لتغنى أصلًا، وهي أعمال فنية ناجحة لغة وتلحينًا وأداء، منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث مرورًا بكتاب الأغاني والموشحات. فكيف إذًا يمكننا فصل الشعر عن الغناء، وهو أداة من أدوات جماهيرية الشاعر، وشيوع شعره، واستحسانه؟

ربما ما دعا الناقد إلى التمترس حول هذه القناعة غير المقنعة للقارئ والباحث، وتنال بشيء من الاتهام تراث الحضارة العربية برمته، هدفه تغييب ما قام به الفنان مارسيل خليفة، فلم يذكره الناقد صبحي حديدي إطلاقًا على الرغم من العلاقة التي كانت تجمع الشاعر والمغني، حتى كادا يشكلان ثنائيًا أشبه بثنائية الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم، وأنتجت هذه العلاقة أعمالًا فنية راقية، ستظل علامة فارقة في مسيرة محمود درويش، يعود الفضل فيها إلى الفنان مارسيل خليفة الذي أعجب بشعر الشاعر ولحنه قبل حتى أن يلتقي به أو يتعرف إليه، فهذه العلاقة بينهما من الأهمية بمكان، وكان من حقها الظهور والبيان وإعطاؤها شيئًا من الحقّ، وباعتقادي يعود هذا التغييب إلى ذاتية الناقد المفرطة.

لقد كان لهذه التجربة أثرها في شعر درويش، وامتدّت إلى أن يكونا معًا في الأمسيات الشعرية، مارسيل عازفًا، ودرويش مغردًا شعريًا، ولم تقف عند مارسيل ودرويش، بل اشترك في ذلك نصير شمة، الموسيقي العراقي الشهير، والإخوة جبران. كما أن فنانين آخرين انتبهوا لسلاسة شعر درويش وأقبلوا على تلحينه وأدائه، دون أن يطلب درويش -حسب علمي- من أحد أن يغني له شعرا، بل إن هناك موقفًا طريفًا، متعلقًا بقصيدة "يطير الحمام يحط الحمام"، فقد رفض درويش أن يلحنها مارسيل خليفة، وأن تتحول إلى أغنية، لدواعٍ عاطفية خاصة بالشاعر، إلا أنه في نهاية المطاف استجاب للطلب ونزل عند رغبة مارسيل، فكانت من أجمل تلك الأعمال التي أبدعها اتحاد الشعر مع اللحن في أداء شفيف غنيّ بالشجن العاطفي المؤثّر.

إن هذا الصمت الرهيب عن ذكر هذا الجانب في تجربة درويش الشعرية أمر يعيب الناقد، وطريقته في الكتابة، ويضع علامة استفهام كبيرة، وراء هذا التهميش غير المبرر، خاصة أن الكتاب جاء مناقشًا مصطلح "الغنائية" في جزء منه حتى وإن توسع الناقد في مفهوم هذا المصطلح وإكسابه أبعادًا دلالية، تتجاوز المفهوم الكلاسيكي التقليدي له، فهل كان يبغي التوسع في المفهوم ليخرج منه مارسيل خليفة وما قدّمه من خدمات للقصيدة الدرويشية، إشباعًا لرغبة الذات وظهورها مجاورة للشاعر الكبير دون أن يزاحمهما شخص ثالث؟ أم أن للنفس دوافع أخرى، ذاتية أيضًا غير ما ذكرت؟

كاتب من فلسطين

الدكتور سعد بن سعيد جابر الرفاعي.. أثره في الحياة الفكرية والشعرية والعلمية والثقافية

أ.د. بكر إسماعيل الكوسوفي*

الملخص: يتناول هذا المقال الأكاديمي تجربة الدكتور سعد بن سعيد جابر الرفاعي، أحد أبرز المثقفين السعوديين الذين جمعوا بين الشعر والنقد، وبين العمل التربوي والإداري، والمشاركة الفاعلة في الحراك الثقافي المحلي والعربي.. من خلال قراءة تحليلية لسيرته الذاتية، يُسلّط المقال الضوء على أثره في الحياة الفكرية والشعرية والعلمية والثقافية، عبر سبعة فصول منظمة تتناول بياناته الأساسية، وتقدمه العلمي، وخبراته العملية، وبرامجه التدريبية، ومشاركاته العلمية، وإنتاجه الأدبي، ودراساته المنجزة، وعضويته في اللجان، وإنجازاته الثقافية.

يركّز المقال على فلسفة الدكتور الرفاعي في الدمج بين التخصص الأكاديمي والانخراط الثقافي، ويستعرض مختارات من أقواله التي تعكس رؤيته التربوية والإنسانية، إلى جانب تحليل نقدي بقلم الأستاذ الدكتور بكر إسماعيل الكوسوفي، الذي يرى في هذه التجربة نموذجًا للمثقف الذي لا يكتفي بالكتابة، بل يشارك في صناعة الوعي وتشكيل الهوية الثقافية.

تُظهر الدراسة أن تجربة الدكتور سعد تمثل مشروعًا ثقافيًا متكاملًا، تتداخل فيه الذات بالوظيفة، والقصيدة بالخطة، والذاكرة بالمستقبل؛ ما يجعلها جديرة بالدراسة والتأمل، وذات قيمة معرفية وتربوية عالية في سياق الثقافة العربية المعاصرة.

المقدمة: في المشهد الثقافي السعودي المعاصر، تتجلى بعض الشخصيات بوصفها علامات فارقة، لا لأنها أبدعت في مجال واحد، بل لأنها نسجت من تعدد التجارب نسيجًا فكريًا متماسكًا، يجمع بين التخصص الأكاديمي، والممارسة الإدارية، والإبداع الشعري، والمشاركة المجتمعية.

ومن بين هذه الشخصيات يبرز الدكتور سعد بن سعيد جابر الرفاعي، الذي استطاع أن يحوّل مسيرته المهنية إلى مشروع ثقافي متكامل، وأن يجعل من تجربته الشعرية والنقدية مرآةً لوعيٍ تربويٍّ



وإنساني عميق.

لقد تنقّل الدكتور الرفاعي بين مراحل التعليم المختلفة، وتدرّج في المناصب الإدارية، وشارك في صياغة الخطط التربوية، وفي الوقت ذاته، كتب الشعر، وحرّر الدراسات النقدية، وأسّس المبادرات الثقافية، وترك أثرًا واضحًا في أدب الطفل، وفي توثيق تاريخ ينبع الثقافي.

إن هذا المقال يسعى إلى تقديم قراءة تحليلية شاملة لسيرته الذاتية، من خلال سبعة فصول تتناول بياناته الأساسية، وتقدمه العلمي، وخبراته العملية، وبرامجه التدريبية، ومشاركاته العلمية، وإنتاجه الأدبي، ودراساته المنجزة، وعضويته في اللجان، وإنجازاته الثقافية.

وسوف تُرفق هذه القراءة بتحليل مختارات من أقواله، التي تعكس رؤيته الفكرية، وتُقابلها شهادات نقدية من كاتب المقال،

الأستاذ الدكتور بكر إسماعيل الكوسوفي، الذي يرى في تجربة الدكتور سعد نموذجًا للمثقف الذي لا يكتفي بالكتابة، بل يشارك في صناعة الوعي، وتشكيل الهوية الثقافية.

الفصل الأول: البيانات الأساسية، التقدم العلمي، والخبرة العملية.

1.1 البيانات الأساسية:

ولد الدكتور سعد بن سعيد جابرٍ الرفاعي في 1386/07/01هـ ونشأ في مدينة ينبع، حيث ظل مرتبطا بها فكريًا وثقافيًا حتى اليوم. يحمل الجنسية السعودية، ويعمل مستشارًا تعليميًا في إدارة التعليم بينبع.

اقتباس: "ينبع ليست مجرد مدينة، إنها ذاكرة، ومتنٌ شعريّ، ومشروع ثقافيّ لا ينتهي". - الدكتور سعد "إن ارتباط الدكتور سعد بينبع ليس ارتباطًا جغرافيًا، بل هو ارتباط وجدانيّ، جعل من المدينة فضاءً شعريًا، ومصدرًا للهوية الثقافية". د. بكر إسماعيل الكوسوفي

1.2 التقدم العلمي:

تدرَّج الدكتور سعد في مسيرته العلمية بتفوق ملحوظ، كما يظهر في التحصيل الأكاديمي التالي:

دبلوم في اللغة العربية: حصل عليه من الكلية المتوسطة عام 1408هـ بتقدير "جيد جدًا".

بكالوريوس في اللغة العربية: ناله من كلية المعلمين بالمدينة عام 1418هـ بتقدير "ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى".

ماجستير في الإدارة التربوية والتخطيط: حصل عليه من جامعة أم القرى عام 1424هـ بتقدير "ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية".

دكتوراه في الأدب والنقد: نالها من الجامعة الإسلامية عام 1440هـ بتقدير "جيد جدًا مع مرتبة الشرف الثانية".

اقتباس: "اللغة ليست أداة للتعبير فقط، بل هي وسيلة للتنظيم، وللإدارة، وللرؤية." - الدكتور سعد "إن الجمع بين الأدب والإدارة في تكوين الدكتور سعد هو ما منحه القدرة على صياغة خطاب ثقافي متماسك، يجمع بين الجمال والوظيفة، بين الشعر والتخطيط". د. بكر إسماعيل الكوسوفي

1.3 الخبرة العملية:

امتدت خبرة الدكتور سعد لأكثر من ثلاثة عقود، تنقّل خلالها بين التعليم، والإدارة، والإشراف، والتخطيط، والاستشارة. وقد شغل المناصب التالية:

معلم في مدرسة الملك خالد بينبع

مدير لعدة مدارس متوسطة وثانوية

مشرف تدريب وإعلام

مدير التخطيط والتطوير

مستشار تعليمي حتى نهاية 1445هـ

ساهم في إعداد الخطط التشغيلية، تطوير الأداء المؤسسي، وتدريب المعلمين، مما جعله أحد أبرز القيادات التربوية في ينبع.

اقتباس: "الإدارة ليست سلطة، بل هي مسؤولية ثقافية، ومشروع تربويّ." - الدكتور سعد "لقد استطاع الدكتور سعد أن يحوّل الإدارة التربوية إلى فضاء ثقافي، حيث تتداخل فيه الرؤية التعليمية مع الوعي النقدي، وتتحول فيه المدرسة إلى منبر للثقافة، لا مجرد مؤسسة تعليمية". د. بكر إسماعيل الكوسوفي

الفصل الثاني: عبور الذاكرة:

في مساء خريفيٍّ خافت، حين كانت الرياح تهمس بأسماءٍ من الماضي، جلَستُ أمام نافذةٍ تطلُّ على الحيّ الذي شهد أولى خطَواتي نحو المعرفة. لم يكن المكان مجرد جغرافيا، بل ذاكرةٌ متجذّرة في تفاصيل الطين، في وجوه الجيران، وفي صوت أمي وهي تنادي باسمي حين يتأخر الغروب. هناك، بين جدران المدرسة القديمة، تعلّمت أن الحرف ليس مجرد شكل، بل هو وطنٌ صغيرٌ نحمله في قلوبنا.

كان الأستاذ عيد بن عويد الرفاعي أول من نظر إليّ بعينٍ ثالثة، تلك التي ترى ما وراء السلوك، وتقرأ في الصمت حكاية يتيمٍ يحاول أن يثبت أن الفقد لا يعني الانكسار. لم يكن يعلّمني فقط، بل كان يربيني على التقدير، على أن الكلمة الطيبة قد تكون أعظم من الدرس، وأن التوجيه الصادق يظلّ محفورًا في القلب حتى بعد عقود.

في تلك المرحلة، بدأت أكتب. لم تكن الكتابة فعلًا واعيًا، بل كانت استجابةً غريزيةً للحنين، للبحث عن معنى في عالمٍ يتغيّر بسرعة. كتبتُ عن أبي، عن أمي، عن الجدار الذي كنت أتكئً عليه حين أقرأ بصوتٍ خافت كي لا أوقظ إخوتي. كانت القصائد تأتي كزائرٍ ليلي، تطرق بابي وتطلب أن تُكتب، لا لتُنشر، بل لتُحفظ كأمانةٍ في درج الذاكرة.

التحليل الأكاديمي.

الأسلوب السردي:

يعتمد النص على الاسترجاع الزمني (Flashback) كأداة سردية تربط الماضي بالحاضر، ما يعزز البعد العاطفي ويمنح القارئ إحساسًا

بالاستمرارية.

استخدام الضمير الأول يضفي طابعًا شخصيًا ويخلق علاقة حميمة بين الكاتب والقارئ.

البنية الرمزية:

النافذة ترمز إلى الرؤية الداخلية، إلى التأمل في الذات والعودة إلى الجذور.

"العين الثالثة" تمثل الوعي النقدي التربوي، وهي استعارة استخدمها الدكتور سعد الرفاعي في كتابه عين ثالثة للدلالة على دور الباحث في قراءة الظواهر التربوية والثقافية من منظورٍ أعمق.

البعد التربوي:

يظهر في شخصية الأستاذ عيد، الذي يجسد نموذجًا للمعلم الذي لا يكتفي بالتعليم، بل يمارس الرعاية الإنسانية، وهو ما يتماشى مع فلسفة الرفاعي في أن التعليم عملٌ تعبديٌّ وإنساني.

التوظيف الثقافي:

يوظف النص عناصر من البيئة المحلية (الحي، المدرسة، صوت الأم) ليؤسس لفضاء سردي يحمل طابعًا ثقافيًا خاصًا، ما يعزز الهوية ويمنح النص بعدًا توثيقيًا.

الفصل الثالث: بين دفتي الذاكرة.. حين تهمس الأماكن.

في هذا الفصل، نغوص في ذاكرة الأمكنة التي احتضنت لحظات التكوين، من زوايا الدراسة إلى أروقة اللقاءات الفكرية، ومن شرفات السكن المتواضع إلى صالات المحاضرات التي شهدت أولى البوادر النقدية. هنا، لا تُروى الأحداث فحسب، بل تُستعاد بروح من يقدّر التفاصيل الصغيرة التي صنعت الفرق.

قيمة الانتماء للمكان:

حين سكنت في حي القبلتين، لم تكن الجدران مجرد مأوى، بل كانت شاهدة على ليالٍ من التأمل والكتابة.

كل زاوية في الشقة كانت تحمل أثرًا: من ركن القراءة إلى طاولة القهوة التي جمعتني بأصدقاء الفكر.

قيمة الحوار المعرفي:

لقاءاتي مع الدكتور مختار الغوث لم تكن مجرد جلسات علمية، بل كانت محطات لإعادة تشكيل الوعي النقدي.

في إحدى الأمسيات، دار نقاش حول لغة قريش، وانتهى بتوصية منه أن أكتب عن أثر اللغة في تشكيل الهوية الثقافية.

قيمة الصداقة الفكرية:

حسين عجيان العروي، الشاعر الذي علّمني أن القصيدة ليست وزنًا وقافية فقط، بل موقف من الحياة.

في داره، كانت القصائد تُولد من رحم النقاش، وكان كل بيت شعر يُصاغ كأنه تعهد بالوفاء للتراث.

قيمة الحنين والتأمل:

عند مغادرتي المدينة النبوية، كتبت قصيدة الهوى الأبدي، لم تكن مجرد وداع، بل كانت وعدًا بالعودة الروحية.

في تلك اللحظة، أدركت أن بعض الأماكن لا تُغادرنا، بل تسكننا إلى الأبد.

الفصل الرابع: الإنتاج العلمي بوصفه ممارسة ثقافية وتربوية.

يُمثِّل النتاج العلمي للدكتور سعد بن سعيد جابر الرفاعي نموذجًا متكاملًا لتداخل الحقول المعرفية في خدمة المشروع الثقافي والتربوي العربي المعاصر. وتتجلى في أعماله ملامح المنهج العلمي الذي يزاوج بين التنظير التربوي، والتحليل النقدي، والتوثيق التاريخي، ضمن رؤية تستبطن الوظيفة التغييرية للمعرفة، بعيدًا عن طابع التراكم الكمي أو التقيد بالمقاربات التقليدية.

ملامح الإنتاج العلمي وأبعاده التربوية:

حضور فاعل لقيم التربية المستدامة والتأصيل المعرفي، مع دمج جمالي للمضمون الشعري في السياق التربوي.

اهتمام بإعادة الاعتبار للأدب المحلي وتأريخ الحركة الثقافية في مناطق جغرافية مهمّشة.

انشغاله بأدب الطفل، والسير الذاتية، والمقاربات النقدية للنصوص الحديثة أسهم في توسيع مفهوم التربية بوصفها بناءً للهوية والوجدان الجمعي.

النظرة إلى الكتابة كـ"فعل حضاري" يهدف إلى تشكيل الوعي العام، لا مجرد تعبير شخصي أو تنظير أكاديمي.

يجمع هذا المشروع بين التأصيل والتجريب، ويربط الفكر بالممارسة، والنص بالسياق، ما يبرز مسؤولية المثقف في الثقافة العربية المعاصرة.

تحليل أدبي مختار لثلاث مجموعات شعرية:

فيما يلي ثلاث قراءات تحليلية لمختارات شعرية، تُمثل تنوع تجربة الدكتور سعد الجمالية والزمنية:

ديوان "نزيف الجرح" (1997)
الجهة الناشرة: نادي المدينة المنورة الأدبي السمات العامة:
وجدان وطني، خطاب إنساني، ومواقف أخلاقية.
توظيف رموز دينية ووطنية، بلغة مشحونة بالعاطفة والاحتجاج.

تحليل قصيدة: "وطني"

- الصور الشعرية:

"نزيف الجرح": استعارة مركزية توحي بالألم العربي المتواصل.
"أنبياء السنة البكور": رمز لغياب المرجعية والقدوة.

- الأسلوب واللغة:

لغة دينية، طباق شعري، تكرار صوتي لحروف الاحتجاج (ش، ق).

- الرؤية النقدية:

قصيدة غاضبة محبة، تنتمي إلى الشعر الإصلاحي الملتزم، تتخطى المديح إلى النقد الوجداني.

ديوان "العشق... ينبع" (2006)
الجهة الناشرة: نادي المدينة المنورة الأدبي السمات العامة:
غزل مكاني، رومانسية حضارية، أنسنة المدينة، أدب المناسبات بغلاف وجداني.
تحليل قصيدة: "العشق... ينبع".

-البناء الفني:

بحر الكامل، افتتاحية مكررة للأفعال الانفعالية (غردي، تيهي، ارسمي).

- الصور الشعرية:

ينبع أنثى متخيلة، مرآة للعشق والإنجاز.
المدينة كمعشوقة ومركز للهوية الحضارية.

- الدلالة الثقافية:

توتر بين الإبداع الفني والمديح الرسمي، لكن الشاعر ينجح في تخفيف الاحتفائية عبر التوظيف الوجداني.

-ملاحظات نقدية:

جودة لغوية، تكثيف شعوري، انسجام إيقاعي، مع بعض المباشرة في أبيات الإنجاز الصناعي.

ديوان "لما بعد" (2017).

الجهة الناشرة: نادي القصيم الأدبي السمات العامة:
قصائد وجدانية تتغنى بالقيم والمواقف الإنسانية، لغة شفيفة غير متكلفة، حضور للطبيعة بوصفها استعارة للحياة.

تحليل قصيدة: "صدق".

- نص القصيدة:

غيمـــة أنت وبالحـب مطـر وإخـــاء.. قـام في وجه الكدر يـا صديقـــي دام نبل بيننا مـا استقام العود ما اخضل الشجر مـا اعتلى الصـداح يرنـو للمنى مـا نما بالعزم زهر من حجـر بين قلبيـنـا شـابّ مسفر ووفـاء تنتشي منـه الصور فاقـبـل الحـــب سفيراً يرتوي من مزون الصدق.. من ضوء المطر.

- الموضوع والمغزى:

خطاب للصديق، يحتفي بالصدق والوفاء بوصفهما أساس الأخوة والنبل.

-الصور الشعرية والتراكيب:

استهلال غيمي، مفارقة بين الحجر والزهر، رمزية في وصف الحب كسفير يستقي من مزون الصدق.

- الإيقاع واللغة:

شعر تفعيلة، تناغم صوتي (مطر، كدر، حجر، صور)، لغة بسيطة وعميقة وجدانيًا.

- القيمة الفنية:

تمثيل لـ "الشعر الأخلاقي" الذي يبني العلاقات، ويحفز التسامي الوجداني، من خلال استعارات الطبيعة.

الفصل الخامس: من الدراسات المنجزة:

- الفكرة الأكاديمية يعتمد الدكتور سعد في كتابه عين ثالثة على رؤية نقدية تتجاوز الثنائية التقليدية بين المبدع والمتلقي، ويطرح ما يسميه بـ"عين الباحث"، التي تتعامل مع النصوص بمنهج علمي وثقافي متعدد.

-اقتباس وتحليل:

"جاء الكتاب بعنوان: «عين ثالثة» لكونه يستند في كثير من موضوعاته على المتعدد، فخلافاً لعين المبدع، وعين المتلقي الأولى، هناك عين ثالثة هي عين الباحث والناقد".

هذا التصور يعكس اندماج التجربة الذاتية والموضوعية، ويؤكد على التعدد والمرونة في التحليل والتلقي. إنها عين تستقرئ النص بمعارف متعددة، وتنطلق من نقدٍ بنّاء يرسم خرائط جديدة للفهم الأدبي.

الفصل السادس: عضوية اللجان والمشاركات:

-الفكرة الأكاديمية من خلال مشاركاته الفاعلة في مؤتمرات مثل ملتقى النقد الأدبي والنادي الأدبي بالرياض، يؤكد الدكتور سعد حضوره الثقافي كعضو مؤثر في الحراك المعرفي العربي.

- اقتباس وتحليل:

"قدمها الباحث على مدى عقد من الزمان عبر منابر الملتقيات الثقافية والمحاضرات التي قدمها في المؤسسات الثقافية".

هذا القول يشير إلى التزامه الأكاديمي عبر المساحات العامة، ويُبرز دوره في تنشيط النقاش النقدي وتقديم دراسات نوعية تُغني المشهد الثقافي والبحثي.

الفصل السابع: الإنجازات الثقافية:

- الفكرة الأكاديمية من أبرز إنجازاته كتاب من الألف إلى الدال، الذي يوثق تجربته العلمية والإنسانية، ويمثل رؤية شاملة للمزج بين الذات والرسالة التربوية.

- اقتباس وتحليل:

"أهدي هذه الرحلة المنعتقة من (الألم) لتعانق (الأمل)".

هذا التعبير يلخص فلسفة تحويل المعاناة إلى وعي، والكتابة إلى ممارسة إنسانية، حيث تتقاطع التجربة الفردية مع المشروع الجماعي لبناء الأمل.

تحليل نقدي أكاديمي: بقلم د. بكر إسماعيل الكوسوفي.

يمثّل الدكتور سعد نموذجًا حيًّا للمثقف الفاعل الذي يرى في الكتابة ضرورةً وجودية، لا ترفًا لغويًا. في مجمل إنتاجه، يندمج الشعر بالنقد، وتتشابك التربية بالهوية الثقافية، وترتقي الإدارة إلى مشروع حضاري.

أولًا: في الشعر:

ديوان صلوات يعبّر عن علاقة روحية بالمقدّس، بعيدًا عن الزخرفة، قريبًا من الصدق والحنين.

ثانيًا: في النقد والدراسات:

عين ثالثة يقدّم "وعيًا مركّبًا"، ناقدًا مثقفًا قارئًا يعيد بناء النصوص، ويشارك في تشكيل الذائقة.

ثالثًا: في العمل التربوي والإداري:

التربية عنده مسؤولية ثقافية، والإدارة فضاء للإبداع، تُمارس بوعي إنساني ومجتمعي.

رابعًا: في الحراك الثقافي والمجتمعي:

إنجازاته في أدب الطفل، والمبادرات الثقافية، والمشاركات الفاعلة تؤكد فلسفة الثقافة كفعل جماعي وانتماء مستقبلي.

الخاتمة: بين القصيدة والخطة... المثقف الذي لا يكتفي بالعبور.

في نهاية هذه الدراسة، يتجلى لنا مشروع ثقافي متكامل، أبدعه الدكتور سعد بن سعيد جابر الرفاعي، تتلاقى فيه القصيدة والخطة، والذات والذاكرة، والحنين والمستقبل. لقد شُكّلت فصول هذا المقال لترصد أثره في الحياة الفكرية والشعرية والعلمية، من خلال إنتاج نوعي تحكمه رؤية عميقة تُجاوز التقليد وتحتضن التجديد.

الكتابة عنده ليست ترفًا ولا ترديدًا، بل بناءٌ للوعي، ونحتٌ في الذاكرة. وفي زمن تختزل فيه الثقافة بالمظهر، يظل الدكتور سعد شاهدًا على أن المثقف لا يُقاس بشهاداته، بل بأثره في وجدان الناس وفي ضمير القصيدة.

قصيدة "جسر من نور".

للأستاذ الدكتور بكر إسماعيل الكوسوفي (مهداة إلى الشاعر الدكتور سعد بن سعيد جابر الرفاعي).

"يا مَنْ بِحَرْفِكَ تَحْيَا الْأَفْكَارُ وَتَنْهَضُ
وَتَمْزِجُ الشِّعْرَ بِالتَّرْبِيَةِ وَالْإِيمَانِ"

"يَا أَرْضَ نَبْوَةٍ! يَا قُدْسَ كُوسُوفَا الْفَتِيَّةِ
نَحْنُ الْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ.. وَالْقَلْبُ رِحْلَةٌ"

"نَزْفُ الْجِرَاحِ بِالْمَكَّةِ يُنَادِينَا
وَالصِّدْقُ فِي الْوَفَاءِ كَالنَّجْمِ فِي الْعُلْيَا"

"سَعْدٌ وَبَكْرٌ .. فِي السَّاحَاتِ نَبْغَةٌ
وَالْكَلِمُ الْحُرُّ دِينًا وَهُوَ إِحْسَانُ"

البيت الأول: لقاء العلم والأدب:

"يا مَنْ بِحَرْفِكَ تَحْيَا الْأَفْكَارُ وَتَنْهَضُ
وَتَمْزِجُ الشِّعْرَ بِالتَّرْبِيَةِ وَالْإِيمَانِ"

التحليل الأدبي:

الطباق: توازن بين "تحيا" و"تنهض" لإظهار دور الكلمة في إحياء الفكر وبناء الهوية.

الرمزية: "حرفك" يرمز إلى المشروع الثقافي للرفاعي الذي يجمع بين الشعر والتربية.

الإيقاع: استخدام بحر الطويل يعكس رصانة الخطاب وثبات القيم.

البيت الثاني: العلاقة بين كوسوفا والمملكة:

"يَا أَرْضَ نَبْوّة! يَا قُدْسَ كُوسُوفَا الْفَتِيَّة
نَحْنُ الْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ.. وَالْقَلْبُ رِحْلَةٌ"

التحليل الأدبي:

التشخيص: تحويل الأرض إلى كيان حي ("يا أرض نبوة") لربط المكان بالقداسة.

المجاز: "القلب رحلة" يرمز إلى الحج كرحلة روحية توحد الشعبين.

التوازي الصوتي: تكرار حرف الياء (يا، نبوة، فتية) يعزز الانسجام العاطفي.

البيت الثالث: الحج جسر الروح:

"نَزْفُ الْجِرَاحِ بِالْمَكَّة يُنَادِينَا
وَالصَّدْقُ فِي الْوَفَاءِ كَالنَّجْمِ فِي الْعُلْيَا"

التحليل الأدبي:

الإحالة النصية: "نزف الجرح" إشارة إلى ديوان الرفاعي، لربط الألم العربي بالأمل الإسلامي.

الصورة الشعرية: تشبيه الصدق بالنجم يعكس ثبات العلاقة الدينية بين الشعبين.

الدلالة التاريخية: ذكر مكة يربط بين التراث المشترك والحاضر.

البيت الرابع: العطاء المشترك:

"سَعْدٌ وَبَكْرٌ.. فِي السَّاحَاتِ نَبْغَةٌ
وَالْكَلِمُ الْحُرُّ دِينًا وَهُوَ إِحْسَانٌ"

التحليل الأدبي:

التكثيف: "سعد وبكر" يختزل مسيرة التعاون بين الرجلين في كلمتين.

الانزياح: تحويل "الكلمة الحرة" إلى "دين" و"إحسان" يدمج الأدب بالقيم الدينية.

البناء الدرامي: "الساحات" ترمز إلى الحوار الثقافي العربي-الكوسوفي.

التحليل النقدي الشامل:

أولًا: البنية الفنية:

اللغة: مزج بين اللغة الكلاسيكية (البيان النبوي) والحديثة (الرمزية المعاصرة).

الوزن: اعتماد بحر الطويل لقوته التعبيرية، مع تقطيع إيقاعي يناسب الخطاب الديني.

التناص: تفاعل مع نصوص الرفاعي (مثل "نزيف الجرح") لإضفاء عمق تاريخي.

ثانيًا: الرؤية الفكرية:

الهوية المشتركة: توظيف الرموز الإسلامية (مكة، النبي) لتعزيز الوحدة بين كوسوفا والمملكة.

دور المثقف: تصوير التعاون بين الكوسوفي والرفاعي كنموذج للحوار الحضاري.

البعد الإنساني: الربط بين الجرح العربي (في شعر الرفاعي) والجرح الكوسوفي عبر "النزف".

ثالثًا: السياق الثقافي:

الأدب الإسلامي: القصيدة تندرج ضمن شعر "الالتزام" الذي يربط الإبداع بالرسالة.

التأريخ الشعري: توثيق علاقة نادرة بين مثقفين من عالمين مختلفين جغرافيًا، متحدين روحيًا.

الخاتمة:

هذه القصيدة ليست مجرد إهداء، بل هي بيان ثقافي يُجسِّد كيف يصبح الأدب جسرًا بين الشعوب، وكيف تتحول الكلمة إلى طقس ديني ووطني. لقد نجح د. بكر إسماعيل الكوسوفي في تحويل العلاقة الشخصية مع الرفاعي إلى رمز للوحدة الإسلامية، مستخدمًا أدوات الشعر الكلاسيكي بلمسة معاصرة، ما يجعل النص وثيقةً أدبيةً وتاريخيةً في آنٍ واحد.

"الشعر حين يُكتب بدم القلب، لا يُقرأ بالعين، بل يُحفر في الذاكرة".
— توقيع القصيدة —

كاتب من كوسوفا

الناقد.. ليس مهندس علاقات أدبيّة

فراس حج محمد*

يحتوي كتاب محمود شقير "المشهد الروائي الفلسطيني" على تمهيد، وأربع مقالات عامة حول الرواية الفلسطينية، و(58) مقالة قصيرة ومتوسطة حول مجموعة من الروائيين والروائيات ينتمون إلى فلسطين بصورة أو بأخرى، و(20) رسالة موجهة لكتاب السرد الفلسطيني. ويتّصل الكتاب بعدّة قضايا نقديّة يمكن الحديث عنها، ومنها طبيعة الكتاب وتصنيفه، وما فيه من أفكار، ومواقف الكاتب الجمالية، كونه ساردًا أولًا وليس ناقدًا.

يعزز الكتاب إجمالًا أهمية أن يكتب "المبدع" في ما يقدّمه زملاؤه من "إبداع"، لأنه يمنح نفسه إمكانية تأمل أعمالهم، ليكسب خبراتهم، ويتعلم من أخطائهم ويستفيد من إنجازاتهم، ويبني على ما عندهم، ليكتمل بهم، ويكتملوا به، وكأنه يضمّ خبراتهم المتعددة إلى خبرته الشخصية، عدا أنه ينمي في ذاته نزعة النقد بما تشتمل عليه من اختبار الجيد فيمدحه، والرديء فيصف رداءته، وهذه عملية منضبطة، تساعد الكاتب الناقد أن يكون أكثر "ديمقراطية" في مسألتين؛ الأولى تفكيره مع الكتّاب الآخرين إبداعيًا، ويقيس تجاربهم إلى تجربته وإلى ثقافته، ليمنحهم ما عنده من آراء، وإن بدا أحيانًا ذا سلطة ويكتب بلغة فيها نوع من الإرشاد والتوجيه، إلا أنه في كل الحالات يحترم أولئك الروائيين ويخاطبهم بمحبة. لقد منح الكاتب شقير كثيرًا من وقته لهؤلاء الروائيين، قارئًا ومتأملًا، وعند الأخذ بعين الاعتبار عدد الروايات التي وقف عندها يدرك المرء حجم ذلك الجهد المبذول في سبيل الإضاءة والتعريف بتلك الروايات.

أما المسألة الأخرى المتصلة بديمقراطية الكتابة مدحه لإبداع غيره، لا سيما هؤلاء الروائيين الذي يشاركونه الصنعة نفسها، وكما قيل "لا شاعر يمدح شاعرًا آخر"، فإن الروائيين لا يمدح بعضهم بعضًا، لذلك التنافس الكائن الصامت في نفوس المبدعين تجاه بعضهم بعضًا، وفي مثل هذه الحالة فإن شقير عندما يكتب عن روائيين يتسامى على أنانية الكاتب فيه، فيمدح من يراه مستحقًا للمدح، ويتلطّف مع الآخرين المتعثرين في الكتابة، ليغرق في عالم شبيه بعالم "صنع العلاقات العامة"، فبدا "مهندس علاقات أدبية"، فكان يمارس "إتيكيتًا نقديًّا" في تعامله الكتابي مع هؤلاء الكتاب، وهذا يتفق مع وصف الكتاب بأنه "قراءات"، فلا يرتقي ليكون دراسات أو مقاربات. ولا بد من أن بين هذه المصطلحات فارقًا بيّنًا، القراءة، والدراسة، والمقاربة النقدية. ربما أعود إلى تفصيل القول في هذه الفروق في كتابة لاحقة.

إن صلب المادة المكونة للكتاب (المقالات والرسائل) تندرج فيما اصطلح عليه في "العلاقات العامة" بالاتصال الشخصي، و"هو الاتصال الذي يكون بين شخصين أو فرد وآخر أو بين مجموعة قليلة ومحدودة من الأفراد وبين مجموعة أخرى" وهذه "العملية تحدث يوميًا حينما نعطي ونتلقى الأوامر، أو ندخل في مناقشة أو تبادل التحيات"، ولم يكتب شقير تلك المادة إلا من باب تلك العلاقة التي تحكم الطرفين، وعليه فإنه "استخدم اللغة المناسبة لمستوى الأفراد الذين تتحدث إليهم"، كما سأوضحه في موضعه، وبتلقائية ظهرت بوضوح في المحادثات غير الرسمية/ الرسائل واللقاءات العابرة التي حلت محلها تلك القراءات العاجلة. (يُنظر: معجم مصطلحات العلاقات العامة، بسام عبد الرحمن المشاقبة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 23)، ويستطيع القارئ تمييز ذلك بوضوح وهو يقرأ تلك اللغة اللطيفة المهذبة غير النقدية التي استخدمها شقير في نسج هذه المادة.

هل هذا أمر إيجابيّ أم سلبيّ في الكتاب؟ أظن أن الكاتب يكتب عن معارفه وأصدقائه، والكتابة عن الأصدقاء تتخذ هذا الطابع في الأعم الأغلب، لا سيما وأنّ شقير عندما يكتب انطباعاته حول الروايات يكتبها كقارئ وروائي، وكشخصية عامة أدبية لها احترامها بين هؤلاء الكتّاب، وليس بوصفه ناقدًا أدبيًا، فقد خفتت فيه تلك النزعة النقدية التي

تدخل الكتابة في أصول الكتابة النقدية الاحترافية، حتى الانطباعية منها، فهذه المقالات هي مقالات عامة كأي كتابة حول أي موضوع كان، تصف وتستعرض وتبيّن، مع المحافظة على مشاعر الكتّاب من أن تمسها لفظة نقدية جارحة، كتبها صاحبها كما يكتب أي كاتب آخر يتحدث عن أية مسألة أخرى، في مقالات الرأي، وعليه يصحّ اعتبارها بناء على ذلك مع الملاحظة الأولى أنها "مقالات رأي" وليست مقالات نقد، تصفّق بحرارة عبر اللغة المادحة للمجيدين الكبار، وتشجّع الآخرين، فتشعر كأن شقير بين تلاميذ متفاوتي القدرات، ولكل تلميذ أسلوبه في التعامل مع إجابته الروائية، مراعيًا بحساسية المعلم النبيه تلك "الفروق الفردية" بينهم.

هذه النظرة المدرسية الصفية التي جعلت روائيًا ساردًا تخطى الثمانين من عمره وفي رصيده أكثر من 90 عملًا كتابيًا يعامل الكتاب جميعًا بهذه الصفة، ولذلك تجده أحيانًا يقترح أحداثًا ونهايات على الكتّاب، كأنه يصحح دفاتر التعبير المدرسي، هذه الكيفية ليست من شغل الناقد المحترف، إنما عليه أن يحلل البنية النصية ويعرضها على "متطلبات الفن الروائي".

لا شكّ في أن الكاتب يوظف مجموعة من مصطلحات الفن السردي خلال الكتابة، وهذا أمر لا بد منه، لكنها مصطلحات جاءت ضمن رؤيته كسارد وروائي يحكم ويحاكم، ويصحح، ويعطي علامات تفوق للطلاب المتفوقين أو توجيه للطلاب متدني الأداء الروائي. وتصبّ هذه الملاحظة في ملاحظة تدني النزعة النقدية التي حكمت الكتاب بمجمله.

هذا عدا ما في الكتاب من أفكار تحكمها أيديولوجية الكاتب اليسارية، ويعيد تلك المقولات الكلاسيكية القديمة التي صارت تشعر القارئ بالملل، كوصف المجتمع بالذكوري، واضطهاد المرأة، والتسلط، والإسلاموية والمتطرفين الإسلاميين والحرية الاجتماعية، والتحرر من العادات والتقاليد، وتشعر وأنت تقرأ بعض تلك "القراءات" أن الكاتب يمارس تصفية حسابات مع هذه الموضوعات وخاصة، الإسلاميين، والتدين الشعبي، هذه القراءات تضعك مرة أخرى في سياق آخر مختلف تمامًا، فهل هذه هي حقيقة "المشهد الروائي الفلسطيني". خاصّة وأن بعض تلك الروايات التي تتساوق مع هذا الخط روايات رديئة فعلًا، من خلال حديثه عنها، ومن خلال اطلاعي على بعضها، ولأنه اختار "أسلوب العلاقات العامة" في الكتابة، فقد دخلت تلك الروايات في المشهد الروائي على حساب روايات أكثر عمقًا من الناحيتين الفنية والموضوعية. إنه بهذه الطريقة ظلم المشهد الروائي الفلسطيني برمّته.

ويتبع هذه الأيديولوجية نفوره من "اللغة الشعرية" في الرواية، لكنه لا يتخذ حيالها موقفًا موحدًا، فيمتدحها عند روائيين، وينتقدها عند آخرين، إذ يفضل شقير اللغة العملية المتقشفة التي لا تذهب وراء البلاغة والتزيين والزخرفة، وهي اللغة التي يكتب فيها سرده، وحتى كتابه هذا، وتتحكم علاقته بالكاتب بوجهة نظره في لغة روايته، ففي الوقت الذي يبالغ فيه بمدح لغة إبراهيم نصر الله، ينتقد لغة آخرين، لا شك في أن السياقين يقولان جملة مضمرة، ترى الشمس على حيطان نصر الله أجمل منها على حيطان غيره من الروائيين.

كما يعيب اللغة ذات المستوى الواحد في بعض الروايات، ويتجاوز عن ملاحظة "الجائز الروائي" في اللغة التي يمكن لها أن تمر في "نهر ليثي" لتصبح لغة موحدة، هي لغة الكاتب نفسه، ولا ضير في ذلك، منحازًا إلى رأي مخائيل باختين في أن اللغة الشعرية هي اللغة التي يجب أن تغرق في مياه نهر ليثي، "أما الناثر (الروائي) وبصفة عامة، كل ناثر تقريبًا، فإنه يسلك طريقاً مختلفة تماماً. إنه يستقبل داخل عمله الأدبي التعددية اللسانية والصوتية للغة الأدبية وغير الأدبية، دون أن يضعف عمله من جراء ذلك. بل إنه يصير أكثر عمقًا؛ لأن ذلك يُسهم في توعيته وتفريده". (ينظر: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة،1987، ص 66- ص 67).

إن ما يعاب في اللغة الروائية هو أن الكتّاب لا يلتزمون التزامًا منهجيًا صارمًا بواحدة من الطريقتين، فإذا أرادوا التنويع في لغة الرواية حسب الشخصيات، يخرجون عن هذا المنطق المتنوع، ويخالفونه، ليصبح خطأ سرديًا وعيبًا لغويًا حقيقيًا، كأن يستعمل العامية في الحوار، وهذه العامية لا تنتمي إلى بلد الشخصية كما جاء في ملاحظة شقير حول استخدام "خيتا" التي لا تستخدم في القدس، وهي من لغة أهل الناصرة، وهي ملاحظة محقّة وفي محلّها.

ومن تفخيخ اللغة بالبعد الأيديولوجي عند شقير وعند غيره من دعاة الديمقراطية اللغوية والانحياز إلى المرأة انحيازاً شكليًا، إيراده وصف التأنيث وتقديمه للروائيات على الروائيين، وهذه المراوحة بين الوصفين في سياق واحد بإيراد المذكر وإلحاق المؤنث به أو العكس أسلوب مزعج في القراءة وفي الكتابة أيضًا، إلا أنه بعيد عن الأسلوب العربي الفصيح الذي وجد العرب لهذه المعضلة حلًا، في ما يعرف بظاهرة التغليب اللغوي، فكل خطاب عام يدخل فيه الجنسان معًا، ولا حاجة لأن نقول الروائيات والروائيين كتبن وكتبوا... فيكفي أن نقول "الروائيين"، لتشمل الجنسين، وعلى ذلك جاء كلام العرب إلا إذا كان الكلام خاصًا بالنساء، فيخرج منه الرجال بواحدة من علامات التأنيث اللغوية المعروفة.

هذا الانحياز اللغوي للغة المؤنثة عند الكاتب يتراجع وهو يتحدث عن الرواية المشتركة بين الكاتبة ديما السمان والكاتب جميل السلحوت، فيصرّ على تقديم السلحوت على السمان، مع أن ديما السمان روائية، وكاتبة، ومن حقها حسب المنطق الأيديولوجي للغة شقير الكتابية أن يقدمها على السلحوت، وهذا ما يجعلني أقول إن هذا الانحياز شكلي، عامّ، لكن عند تحققه في شخصيات معروفة، وكلاهما صديقه، فإنه يقدم الكاتب الروائي على الكاتبة الروائية، هل يحق لشقير أن يقول إن هذا من باب الاعتياد، وتقديم اسم الكاتب على اسم الكاتبة على الغلاف في حالتهما وحالات مشابهة أخرى؟ بالطبع لا، لأنه لم يساوِ بينهما (الروائيين والروائيات) في سياق الكتابة العامة. عدا أنه لم يكتب سوى عن (9) روائيات بمقابل (34) روائيًا، وأما الرسائل فكانت أحسن حالًا، إذ راسل ثماني كاتبات وثمانية كتّاب. وعلى العموم فإن قراءة وتحليل ما كتبه شقير عن الروائيات تحليلًا بنيويًا نصيًا، وموازنته بما كتبه عن الروائيين سيكشف أشياء أكثر عمقًا في اللغة المستخدمة، والنبرة التعليمية وحجم المكتوب، وما إلى ذلك، ويكشف عن انحيازاته الفكرية وحقيقتها، ومفاهيم الأعماق لديه، وبنيته الذهنية.

هذه الملاحظة المستنتجة في كتاب شقير، كنت قد لاحظتها عندما قرأت الرسائل المشتركة التي كتبها السلحوت وصباح بشير، إذ تبدو سيطرة السلحوت وهيمنته على الكتاب وأجوائه، لتظل الكاتبة ظلًّا يواكب "الظل الكبير" للكاتب الرسولي المعلم والحامي والنصير. (يُنظر: الكتابة في الوجه والمواجهة، فراس حج محمد، دار الرعاة، وجسور ثقافية، رام الله وعمان، 2023، ص 293- 295).

أما على صعيد البنية الروائية ومكوناتها، فظل حديث شقير عامًا، وإن مسّ التقنيات السردية والأساليب الروائية مسًّا خفيفًا، ما يؤثر في أهمية الكتاب في باب المرجعية البحثية لدى الدارسين، فلا يعتمد على مقولاته إلا ما جاء متعلقًا بتجربته الشخصية كروائي، وقد وردت في شهادته تحت عنوان "أنا والرواية" وهي منشورة خارج الكتاب أيضًا، بمعنى أنّ من أراد الرجوع إليها يكفيه مصدر واحد، ويستطيع الحصول عليها من أحد المواقع الإلكترونية بسهولة (نشرت في موقع الحوار المتمدن بتاريخ: 2019/7/31)، بذلك فإن الكتاب بهذه الصيغة، يساهم كما قلت آنفًا في توطيد مهمة كاتبه؛ كونه "مهندس علاقات أدبية" ليس أكثر، ولا يعوّل كثيرًا على مثل تلك الأدبيات التي لها مثل هذه الصفة.

إضافة إلى ذلك، فإن رأي شقير في مكونات الرواية ينقصها العمق، إذ يوجّه نصائحه إلى أن بعض الروايات تشتمل على المقالات أو الخواطر أو المعلومات التوثيقية الخاصة بموضوع معين، فيرى أن من الأفضل حذف ذلك، على الرغم من أن الرواية -كما يقول كثير من الروائيين- يجب أن تكون ذات بعد معرفي، تعلم القارئ وتغذيه معرفيًا، فليطلعْ شقير مثلًا على ما قاله الروائي التونسي د. نزار شقرون في لقائه مع الكاتبة الروائية نجوى بركات في برنامجها مطالعات (حلقة، 2025/06/04) فشقرون يكتب ما يمكن أن يطلق عليه "الرواية المعرفية"، عدا أن الفن الروائي بانسيابيته وتمدده باستطاعته أن يهضم القصيدة والمقالة والخاطرة والرسالة، والمحاضرات، والمعلومات التوثيقية والتجارب العلمية والتجليات الروحية والصوفية والفن التشكلي والتنظير السياسي والأيديولوجي، وكثير من الكتاب أدخلوها في رواياتهم على نحو سلس، لكن المعوّل عليه هو "فنية" هذا التوظيف لا التوظيف بحد ذاته، ولأن شقير لا يقدم تحليلًا شافيًا، فإنه يكتفي بالملاحظة العامة التي لا يحللها ضمن سياقاتها الروائية، ولا يبين وجوهها على نحو مفصل في الرواية محل الانتقاد. وفي هذا المقام أعيد ما كتبه د. فيصل دراج في مقدمة كتاب "مداريّات حزينة"، أنّ لجنة جائزة الغونكور الفرنسيّة المخصّصة

للرواية كانت ستمنح كلود ليفي شتراوس جائزتها على كتابه "مداريّات حزينة" لو كان الكتاب مصنّفًا على أنّه رواية. (ينظر: مقدّمة مداريّات حزينة، الطبعة العربيّة، دار كنعان، 2003، ص 5).

لا ينحاز شقير إلى "تقنية الراوي العليم"، ويفضل أن يبتعد الكتّاب عنها إلى تقنيات سرد أخرى، كتقنية وجهات النظرـ والسرد بضمير المتكلم، ولعلّ نفور شقير من هذه التقنية السردية نابع من تقليديتها، ومن أنها قد تترك ظلالاً من عدم الإقناع في السرد وتؤثر في الرغبة في القراءة والتلقي، هذا عدا ما تحدث به من أن روايته التي شارك فيها بالبوكر أول مرة لم تصل إلى القائمتين؛ الطويلة والقصيرة، واستبعدت من التنافس كما استبعدت كل روايات الراوي العليم، ما ولّد في نفسه نقمة تجاه هذه التقنية السردية، على الرغم من أنها هي التقنية السردية الأم، وذات بعد فلسفي كبير تحدث عنها رولان بارت، وخصصتُ لذلك مقالًا سابقًا. (يُنظر: السّارد ودوره الخطير في القصص، ديوان العرب، نشر بتاريخ: 2019/11/11).

على العموم، فإن هذا الكتاب؛ كتاب "المشهد الروائي الفلسطيني" بصيغته هذه يقدّم نبذات نافعة تعريفية بالروايات المتحدّث عنها، لكنها بكل تأكيد لن تكون كافية لرسم المشهد الروائي الفلسطيني، نظرًا لتعدد التجربة الروائية الفلسطينية وثرائها التقني والسردي، ولأن ثمة كتاب رواية وروايات لم يتعرض لرواياتهم ولم يذكرها، حتى وهو يهاجم "الرواية البوليسية" التي يصبح التفكير في كتابتها "ترفًا لا يستحق الانتباه" يغض الطرف عن رواية غسان كنفاني "الشيء الآخر: من قتل ليلى الحايك" المصنفة على أنها رواية بوليسية. كما أنه لا يذكر من قريب أو بعيد رواية "المأدبة الحمراء" لمحمد هاني أبو زياد وهي رواية بوليسية.

عدا هذا وذاك، فإنه لا يتعرض لأصوات روائية مهمة كخليل ناصيف وإياد شماسنة وأسامة العيسة وأكرم مسلم، وميرفت جمعة وسعاد العامري، وروايات المفكرين من أمثال هشام شرابي وروايته "الرحلة الأخيرة، وعزمي بشارة وروايتيه "الحاجز" و"حب في منطقة الظل"، وأصوات أخرى كثيرة يشكل غيابها نقصًا فادحًا في رسم المشهد الروائي، بالتالي افتقد الكتاب فرصة رسم الخطوط العامة العريضة للرواية الفلسطينية التي تحدد للدارسين الطريق، خاصة الجيل الجديد.

لا شك في أن الكاتب، أي كاتب، لا يكتب عن كل الروايات، لكنه مضطر- إن أراد رسم المشهد الروائي بطريقة أكثر موضوعية وصواباً- أن يكتب عن كل تلك التجارب التي تشكل خطًّا مهمًا في مسارب الرواية الفلسطينية، كالرواية التاريخية، والفلسفية، والرومانسية، والرواية السياسية، ورواية السيرة الذاتية، والرواية النسوية، والرواية التسجيلية، والرواية البوليسية، وغير ذلك من مسارب كتابية، فلم يستثمر الكاتب اطلاعه الواسع على الرواية وكتّابها ليكتب كتابًا رصينًا يضيف إلى المكتبة العربية والفلسطينية لبنة معرفية لا غنى عنها، وبدلًا من ذلك انحاز إلى السهولة والخفة في اختيار الروايات والكتابة عنها بطريقة عابرة وسطحية.

كاتب من فلسطين



منبر الشعر

ديوان العرب

ابن هانئ الأندلسي.. متنبّي الغرب

إعداد: هدى الشهري



أبو القاسم محمّد بن هانئ الأزديّ الأندلسيّ، لُقّب بمتنبّي الغرب؛ لأنّه كان أعظم شعراء المغرب العربيّ على الإطلاق، عدا عن معاصرته للمتنبي، وفي ذلك يقول عنه ابن خلكان: "ليس في المغاربة من هو أفصح منه لا متقدميهم ولا متأخريهم، بل هو أشعرهم على الإطلاق وهو عند المغاربة كالمتنبي عند المشارقة"، كما يقول الذهبي: "ليس يلحقه أحد في الشعر من أهل الأندلس وهو نظير المتنبي"، وقد شبهه ابن الأبار القضاعي بأبي تمام فقال: "هو وأبو عمرو بن دراج القسطلي نظيران لحبيب والمتنبي".

وقد عقد أغلب المؤرخين والنقاد قديمًا وحديثًا مقارنة بين ابن هانئ والمتنبي، يقول الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابه (في الأدب والفن) عن ابن هانئ: "إن ابن هانئ شاعر ذو قريحة شاعرية مزيجية من شجاعة المتنبي ونفسية وتعبير أبي تمام ومعاني البحتري وفلسفة المعري، فهو شاعر غربي أندلسي حذا حذو شعراء الشرق، لذا فهو شاعر عبقري متوقّد الذاكرة متفلسف بارع في صياغة الشعر وبلاغة الكلام، تجد في شعره المدح والهجاء

والراء، وإنه خاض غمار جل الفنون الشعرية وقصائد المدح عنده شبيهة بمدح المتنبي من حيث بناء القصيدة وقوة العبارة وغلبة روح الشجاعة فيها فقد اختار الألفاظ الصحراوية البدوية في بيئة رياضية جميلة".

نشأ في عصري عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم الثاني، حين كانت الأندلس في عصرها الذهبي، وكان والده هانئ أديبًا وشاعرًا، فخصّ ابنه بحظٍّ كبير من دراسة الشعر والأدب، واتصل بحاكم إشبيلية وكان ذو حظٍّ عنده، ثمّ اتهمه أهلها باتّباع مذهب الفلاسفة، فترك إشبيلية وقصد المغرب ومدح جوهر الصقلي، ثمّ قصد بلاط جعفر ويحيى ابنيّ عليّ ابن حمدون، فأكرماه، ووصل خبره إلى المعزّ أبي تميم الفاطميّ فطلبه من ابنيّ عليّ، فحضر عنده وأقام في المنصورية قرب القيروان، ومدحه ابن هانئ مدحًا مبالغًا فيه، ومن ذلك قوله:

هل كان ضَمّخَ بالعبير الرَيْحَا
مزنٌ يهزّ البرقُ فيه صفيحا
يهدي تحيات القلوب وإنّما
يهدي بهنّ الوجد والتبريحا

وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ لابن هانئ كتابًا في التاريخ سمّاه إسماعيل باشا البغداديّ بـ (تاريخ الأندلس)، وسمّاه فؤاد سزكين بـ (تاريخ ابن هانئ).

وفيه يقول لسان الدين بن الخطيب: "كان ابن هانئ من فحول الشعراء وأمثال النظم وبرهان البلاغة، لا يدرك شأوه ولا يشق غباره مع المشاركة في العلوم والنفوذ في فكِّ المعمّى".

وقد ترجم المستشرق فان كريمر بعض أشعاره إلى الألمانية وقال عنه: "قوة البيان وكثرة التمثيلات وجودة الألفاظ التي لا يكاد يقدر عليها من الشعراء إلا القليل، هي الأوصاف التي نشرت صيته ورفعت ذكره، فلذلك سمّته المغاربة متنبي الغرب فلا شبهة في كونه مستحقًا لذلك اللقب".

قال الفتح بن خاقان: "روض أدب مطير غاص في طلب الغريب حتى أخرج دره المكنون وبهرج بافتتانه فيه كل الفنون وله نظم تتمنى الثريا أن تتوج به وتقلّد ويود البدر أن يكتب فيه ما اخترع وولّد".

عُرِف ابن هانئ بنفسه الشعري الطويل، فقليل من قصائده تجاوزت السبعين أو الثمانين بيتًا، أمّا جُل قصائده فقد أربت على المائة ومنها ما بلغ المائتين، لكن هذا الإكثار لم ينقص من قوة القصيدة ولا حطّ من متانتها وسبكها وقوة نسجها.

ومن جميل ما قال مادحًا:

مثل ماء الغمام يَنْدى شبابًا
وهو في حُلّتَيْ تَوَقٍّ ونُسْك
يطأ الأرضَ فالثّرى لؤلؤ رَطْ
بٌ وماءُ الثرى مُجاجَةُ مِسْك

وقد استثمار اضطراب الأوضاع في بلاد الأندلس غضب الشاعر، فدعاهم إلى توحيد صفوفهم فقال:

أسفي على الأحرار قل حفاظهم
لو كان يجدي الحر أن يتأسفا
يا ويلكم أفما لكم من صارخ
إلا بثغر ضاع أو دين عفا
حتى لقد رجفت ديار ربيعة
وتزلزلت أرض العراق تخوفا
والشام قد أودى وأودى أهله
إلا قليلًا والحجاز على شفا

تميز شعر ابن هانئ بجمال الألفاظ، حيث ينتقيها بعناية، وفخامة المعاني وروعتها، والتي تعبر عن حالات نفس الإنسان وظروفه المعيشية، فكان في شعره كأنما يحاكي البشر والشجر والجبال والجمال، واستطاع أن يخلق بنفسه حالة من حالات التأمل النفسي، وحاكى بشعره شعر الأقدمين، كما اهتم بروح المرأة وجمالها الأخّاذ الذي يسلب القلب والفؤاد في إطار الاحتشام، كما نظم في شتى الفنون الشعرية.

وقد لاحظ أبو العلاء المعرّي شغف ابن هانئ بالغريب والألفاظ ذات الصخب الشديد، وعدّ ذلك من عيوب شعره حيث قال: (ما أشبهه إلا برحًى تطحن قرونًا).

ومن جميل غزله يقول:

الـمـشـرقـات كأنـهـن كـواكـب
والـنـاعـمـات كـأنهـن غـصـون
أدمى لها المرجان صفحة خده
وبكى عليها اللؤلؤ المكنون
أعدى الحمام تأوّهي من بعدها
فـكـأنـه فـيـمـا سـجـعـن رنـين

أما رثاؤه فتقليد ونظرات سطحية تكاد تخلو من الابتكار الشعري كثير التشابيه كأي شاعر أندلسي خال من العاطفة الفياضة إلا بعضها، ومما يتبين أنّه كان ينظم الرثاء تكسبًا للعيش لا لتأثير الرثاء عليه، إلا أن بعض قصائده جاءت قوية السبك شديدة الموسيقى صعبة الألفاظ.

يقول في أحوال الناس:

إنّا وفـــــــــي آمال أنفسنا
طول وفي أعمارنا قصــــر
لنرى بأعيننا مصارعنـــــا
لو كانت الألباب تعتبـــــــر
ممّا دهانا أنّ حـاضــــرنا
أجفاننا والغائب الفكـــــــر
فإذا تدبرنا جوارحنــــــا
فأكلّهنّ العين والنظـــــــر
لو كان للألباب ممتحــــن
ما عدّ منها السمع والبصر

أما هجاء الشاعر فقد كان اعتماده على تشويه معالم الصورة وتكثير تشبيهها، ولنا وقفة مع وصف الطبيعة، الذي لطالما نظم فيه شعراء الأندلس، ومن ذلك قوله:

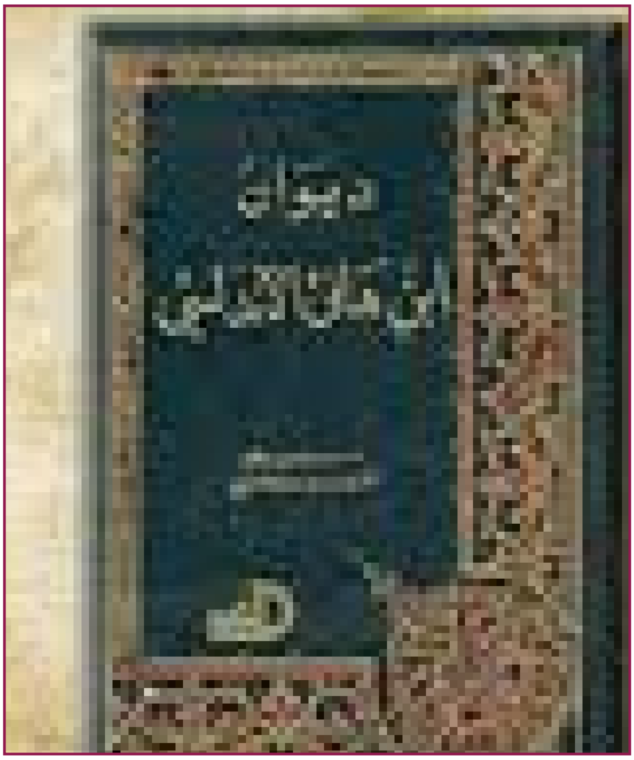
أَلُؤلُـؤٌ دَمْعُ هـذا الغيْــثِ أم نُـقَـطُ
مـا كـانَ أحْـسَـنَـهُ لـو كـانَ يُلـتَـقَـطُ
بيـنَ السـّحـابِ وبيـنَ الريـحِ مَلحمَـةٌ
قعـاقِـعٌ وظُـبـىً فـي الجـوِّ تُختَـرَطُ
كـأنّهُ سـاخِطٌ يَرضـى علـى عَجَـلٍ
فمـا يـدومُ رِضًـى منـه ولا سَخَـط

وفي الحكمة يقول:

ألا كـــلُّ آتٍ قريـــبُ المَـدى
وكــلُّ حيــاةٍ إلــى مُـنْـتَـهَــى
ومـا غَـرّ نَفْسًــا سـوَى نفسهـا
وعُمْـرُ الفتـى مـن أمـاني الفتى
فأقْصَـرُ فــي العيــنِ من لَفْتَـة
وأسـرَعُ في السـمع مـن ذا ولا
ولــم أرَ كــالمرْءِ وهـو اللبيبُ
يــرَى ملء عيْنَيْــه ما لا يُـرَى

وفي ختام مقالي هذا سأعرض بضعة أبيات لطالما أستوقفتني، حيث يقول:

ولـم أجِـد الإنسـانَ إلا ابـن سعيـه
فمن كان أسعى كان بالمجدِ أجدرا
وبالهمةِ العلياءِ يرقى إلى العلا
فمن كان أرقى هِمَّةٍ كان أظهـرا
ولـم يتـأخـرْ مـن يـريـد تـقـدمًا
ولـم يـتـقـدمْ مـن يـريـدُ تـأخـرا



قصيدة الشعر

قصيدتي



علي بن يحيى البهكلي

شاعر من السعودية

الشعر نبض شعوري، والقصيد أنا
والحرفُ بعض دمي.. أسقي به شَجَنا
كم أبحر العشق في روحي، وفي خلَدي!
وهائج الشوق في الأعماق.. ما سكنا!
تنتابني لوعةٌ.. أهمي على وتري
تنداح أغنيةٌ حيرى.. تذوب مُنى
تهزّني فرحةٌ.. تجتاحُ أوردتي
تغوصُ.. تبحرُ.. تحكي الموجَ، والسُّفُنا
يُقهقهُ الكونُ نشوانًا.. تصافحني
جداولُ الأنس.. ألقى الظلَّ، والفَننا
قصيدتي.. أنتِ يوم النأي قاتلتي
وأنتِ بالوصل.. قد أحييتني زمنا
ما بين نومي وصحوي.. تنطفي حِقَبٌ
وبين شجوي وشدوي.. أبتني مُدُنا
يا لوحةً -أنت يا قلبي- تفوح ندًى
والشعرُ فيك بنانٌ.. يَمسحُ الحَزَنا
أبيتُ أنسج آهاتي.. أُضَفِّرها
جدائلًا.. تتمطَّى تَحرقُ الوَسَنا
أَبيتُ أنحتُ وجهَ البدر.. مبتسمًا
أَبِيتُ أمنحهُ من مقلتيَ سنا
ميعاديَ الفجرُ، والإشراق من ألَقي
والصبحُ أصغَى لما أشدو بهِ، ورَنا
قصيدتي.. وردةٌ.. في ثغر عاشقةٍ
قصيدتي.. ترفضُ التأطيرَ والرَسَنا
قصيدتي.. بعضُ نفسي.. حين أكتبها
يا لائمي.. أسكبُ الأنفاسَ، وهيِ أنا
قصيدتي.. ريشةٌ ألوانها مُزجتْ
من ابتهاجٍ، ومن حُزنٍ، وطَيفِ مُنى
(أموسقُ) الشعرَ.. أروِي بعضَ قافيتي
فيولدُ الفكرُ بالإيقاع مقترنا
الشعر والفكر.. وجها عملةٍ كَسدَتْ
واغتال رونقَها يومَ المخاض خنا
كلّا.. سيبقَى لها في عالمي أُفُقٌ
ينساب.. يَغسل وجهَ الحرف مُتَّزنا
الشعر.. ليس غيابَ الوعي، أو خَدَرًا
الشعرُ وعيُ غيابٍ أطفأ الزمنا
أعيشُ في الواقع الأقسى.. فيسحقني
فأستحيلُ رمادًا.. يَنثني وَهَنا
أسيرُ.. يخنقني ليلٌ.. يحاصرني
أجثو.. فيخنقني هَمٌّ.. دنا ودنا
يلوحُ بيتُ قصيدي.. تنتشي كَلِمي
يَمُدُّ راحتَهُ.. أرنو.. يُضيءُ سَنا
ماذا؟ تصحرت الأصداء؟ قافيتي
غيثٌ.. يلوّن وجهَ الأفقِ.. ما وَهَنا
شعري أهازيجُ وردٍ.. أغنياتُ نَدًى
ولحنُ قمريّةٍ كم أطربتْ أذنا!
شعري.. مشاعرُ عصفورٍ رأى طَلَلًا
وشامَ نهرًا.. فغنَّى ينشدُ الوطنا

فوضى السؤال



إبراهيم مثرم

شاعر من السعودية

فوضى السؤال، بشاعة النكرانِ
عصفت تهزّ مداركي وكياني
شَرقت حروفي بالحقيقةِ حينها
ونأى عن التصريح فيض بياني
أتحبها!؟ أرهقتَ كاهل مدنفٍ
لم يعترف! يخشى من الخذلانِ
ويخافُ مصرع أمنياتٍ ضمّها
بين الجوانح من لظى الكتمان
لأرى التذبذب في المشاعر ظاهرًا
لست الذي يفنى، ولا المتوانِ

حقًّا سألتَ! فهل تصدقني إذا
صرّحتُ بالحب الذي يغشاني!؟
هل تكتوي بالنار، تبكي حرقةً
عني، إذا ما صده أبكاني!؟
المرء يفشل في الجواب مداريًا
ما إن يولي قلبَهُ، ليعاني
كلٌّ يقاسي في الحياةِ فلا تكن
بسؤالك المعتوه همي الثاني

كابوس



عقيل الساعدي

شاعر من العراق

هل هزَّ صوتُ البوم يومًا مَضجَعَك؟
هل بعضُ صمتٍ في الليالي روَّعَك؟
أرأيتَ فكَّ الضَّبع يتبعهُ الردى
أَمسَى ككابوسٍ مُخيفٍ أفزعك؟
لِمَنِ الشِّكايةُ واللسانُ مُكَبَّلٌ
لو أنَّ سوطَ الرعبِ ضربًا أَشبَعَك؟
أتراهُ وهمًا من خرافات الأسى
أم أنَّهُ حقًّا يَدورُ لِيَلسَعَك؟
حتَّى وإن صرَخَتْ جراحُكَ كلُّها
هل في الخليقة مُنقذٌ كي يَسمَعَك؟
عرَّافةٌ قالت: أَراكَ مُعَذَّبًا
والدَّهرُ كرهًا للمرارةِ أَرضَعَك

إنّي أَراكَ كما السَّرابِ مُغَيَّبًا
روحُ الحقيقةِ لو بدَت لن تُقنعَك
تَبقَى طريدًا لن تَنامَ من الجوى
أرقُ السُّهاد مع التَّرقُّبِ ضيعك
خيرُ الأصابعِ قطِّعتْ في خاتَمٍ
وخواتمُ الآلام تَلبَسُ إصبعَك
لا لنْ أشيرَ لراحلٍ عنْ وجهةٍ
لكنَّ قلبي لا يقاوم أدمعَك
سيغيبُ نورُ الفجرِ عن أرضِ النَّوى
وكأنَّ ديكَ الحيِّ نامَ ليَخدَعَك
فارحَلْ ببحرِ العشقِ دونَ سفينةٍ
واغرقْ لعلَّ الصبرَ تأخُذُهُ معَك

مأسا...



محمد المعشري

شاعر من عمان

-لأنّ المحبَّ يكره الحقيقة
ويشوّه الكلمات.
إلى الفتاةِ التي تَنسى ولا تُنسى
لا بحرَ بعدكِ في عيني.. ولا مرسى
أنا مشيتُ على صوتي
وأخّرني أن الجهاتِ التي فاوضتُها خَرْسا
حاولتُ أنساكِ..
لكن "خانني زمني"
فلم أجد لي (غدًا) يأتي ولا (أمسا)
ترى أسمِّيك ماذا؟
- فرحةً سرقت قصائدي من فمي!؟
أم يا ترى (مأسا...)؟
بلا شفاهكِ لا أسماءَ تسترني
ولا عزاء يواسيني
ولا عُرسا
لقد تركتُ على الشبّاكِ أغنيتي
لأنّني لم أصالح بعدكِ الطقسا
ولم ألوِّن دمي
لم أبتدع قدَمًا للناقصينَ
ولم أرسم لهم رأْسا
تركتهم بضعَ أصنامٍ محطَّمَةٍ
ورحتُ أقنعهم أنْ يحملوا الفأسا
أضيئهُم في دمي..
: من هؤلاءِ؟
همُ من قلت أني سأنساهم.. ولن أنسَى
همُ أشقّاءُ حزني في النعاسِ
همُ مَن شاعرٌ قالَهُم من قبلُ..
واندسَّا
وجوهُهم سَكرتي الأولى التي
صعدت بي للجحيم ولم يكمل فمي الكأسا..
أحبُّهم، وأحبُّ الآنَ ضجَّتهم في خاطري
رغم أني أكرهُ الهمسا
أنا وحيدٌ تمامًا
ليسَ لي أحدٌ إلا الجميعُ..
وهذا الألطفُ الأقسى
أنا غريبٌ تمامًا
سمِّني وطنًا يبيعُ أبناءَهُ للمشتري بخسا
أنا مملٌّ تمامًا
لا أرى سببًا يدعو لأن يفرحَ الإنسانُ
أو يأسى
ما استأنسَ البؤسَ هذا القلبُ..
ذلك لا يرضي تفرُّدَه
فاستبأسَ الأنسا
أمضي كما كنتُ..
لا أمشي مع الكلماتِ الواثقاتِ
ولكن أتبعُ الحَدسَا
ولا أحبّكِ صعلوكًا ولا ملكًا
ولا أحبُّكِ صوفيًّا.. ولا قِسَّا
أنا أحبُّكِ مثلي
دونَ نافذةٍ للصبح
بل بمزاجي كيفما أمسى
فأخرجيني جزافًا من معادلةِ الأضواءِ
واقترحيني للمدى شمسا

شاعرٌ لا يكتب الشعر



عبد الوهاب الأمير

شاعر من السعودية

الشاعر حقًا لا يكتبُ شعرًا
لا يقطف زهر الكلماتْ
لا ينهك هذا المعنى
المنهك أصلًا
لا يهتك صمت الشهقات
لا ينزف حبرًا.. الشاعر حقًا
لا ينزف حبرًا
لا ينحر للوحي القرباتْ
الشاعر حقًا.. لا يقفز كالممسوسِ
من الأبياتِ.. على الأبياتِ
إلى الأبياتْ
الشاعر لا يسكب عطرًا.. لا ينطق
سحرًا
لا "يوقظ آلاف النجمات"

الشاعر حقًا..
يختزل الوقت بقنينهْ
منتظرًا أن يبصر شيئًا
أن يبصر شعرًا.. لا يشبه طينهْ
أو يشبه طينهْ
منتظرًا.. معنًى لم تخلق بعد له
الأصواتْ
معنًى.. يشبه حبس النسيان حنينهْ
الدفقةَ في شريان الوعي..
يطارد في التاريخ سنينه
النفَسَ ال يسبق زحف الطوفان على
رئتيهْ
ال يعقب ملح اليقطين على شفتيهْ
أو سطو الشهوة حين انثالت سيدة
القصر عليهْ
حين اجتاحت سيدة القصر حصونهْ
أو عتق نبي من ذنب كبّل ساقيهْ
مذ وكزت بالظن يقينهْ

الشاعر يعبر في المعنى
كضباب يجتاز مدينةْ
ينداح من الشرفاتِ.. إلى الخلواتِ..
من الخلواتِ إلى الساحاتِ..
من الساحاتِ إلى الحاناتِ..
من الحاناتِ إلى الصلواتْ
ويعيد الكرة.. حتى تهرقه الشمس
على الطرقاتْ
لا يهطل مطرًا.. الشاعر حقًا
لا يهطل مطرًا.. أو شعرًا
الشاعر حقًا.. يفنى ممتلئًا بالمعنى..
والدهشاتْ
الشاعر حقًا.. يرحل كالأطفالِ..
بريئًا من وهم الكلماتْ

نبوءة جلنار



أحمد الحواج

شاعر من السعودية

حلي اللثام فها عيونكِ خاطفة
والكحل أشعلَ من رؤاكِ العاطفة
حررتِ عمرًا من سنينيَ موعد
والآن أعتنق الشفاه ملاطفة
لأعيش صوفي الزمان كأنني الـ
حلاج يأتي للعناق مجازفة
شكلتُ وجهكِ في الغياب وها أنا
تلتاع روحي في المسافة خائفة
الآن تعصفني الظنون كأنني
عراف وقت مذ رآك مصادفة
الآن تأسرني أساورك التي
من وقعها بالحب صارت عازفة
الآن أبتكر الحقيقة من هوًى
علّي أرى تلك الحياة اللاهفة
لا عذر للخلخال إن ماج الجوى
فالروح تهوى كي تنوء بعاصفة
يا أنت يا بوح النبوة في دمي
حتام تُبْعَدُ ذي الأيادي الراجفة؟
الغيب درويش ينبئ مهجتي
والوجد فُسِّرَ في غيابكِ آسفة
فلتقربي يا جلنار نبوءتي
فالحب صبٌّ والجنون مَشارِفة
ماست بأزرقها لأحضن عطرها
والروح أشعل أمنياتي الجارفة
حاولت أهدأ ما استطعت فصاح بي
من فرط رقتها مشاعر صائفة
لتشدني كالطفل مثل مدللٍ
وتضمه بالهدهدات الوارفة
فلتعبري الطوفان ملء غوايتي
روحي تسير؛ على الهلاك مُشَارِفَة
قولي لقلبك قد تعبت وليس لي
روحٌ تقاوم في غرامك عاكفة
أمسكت بالزمن المعلق في المدى
لا تكفيَ الأحضان ضجت هاتفة
تنساب من أرق الشتات كأنها
دمع يعلل للسنين الواقفة
لأكون في عينيك ضوء نبوءة
حتى أضمك خفية ومكاشفة



إرشيفُ ذاكرة



عماد الأحمد

شاعر من العراق

ستؤوبُ مَحمولًا عليك.. ستَنزِفُ
ما كنتُ أعرفُ إنَّ جرحِيَ يعرِفُ
أَوحى إلى الوجَعِ المُركَّبِ عندَهُ
أنْ لستَ منِّي.. لو بدأْتَ تُخفِّفُ
فاشْرَعْ بما أُوتيت.. لستَ مُخوَّلًا
لفرائضٍ قلقَتْ عليك.. وترجفُ
ستمُرُّ من تحتِ الجسور مُلَثَّمًا
إلَّا نواياكَ... التي تتَكشَّفُ
ويغورُ هذا الماءُ.. لو لامستَهُ
وتغوص ثمَّ تغوص.. قاعٌ صفْصَفُ
غرِقَتْ من الحَمأِ المقيت دلاؤُهُ
وكفوفُهُ انقبَضَتْ.. فماذا تغرِفُ
كفَّاهُ والرَشَأُ القديم.. لبئرِه
وتَرٌ يقطِّعُ نفسَهُ.. لا يعزِفُ
عطِشٌ وهذا النهر يُنصِفُ عادَةً
لكنَّ مَشْرَعَةً بهِ... لا تُنصِفُ
فتحَتْ ذراعَيها... لأعتى وارِدٍ
وتمنَّعَتْ حينَ اعتراها الأَضعَفُ
صِحْ بالعَطاشى.. ويحكم لا تُسرفوا
سيموتُ من ظمأِ الهواجرِ مُسْرِفُ
نفسُ انزياحاتِ المكانِ بنفسِه
أمَّا الزمانُ فعنوَةً... يتوقَّفُ
في عُرفِه... ألَّا يلوذَ بسقفِه
يا طالما طاحَتْ عليه الأَسْقُفُ
لم يستَشِرْ.. من أصغَرِيه.. لسانَهُ
كيما تطُلَّ خوالجٌ... تتأفَّفُ
وجِلٌ... بلا ثقةٍ... لأنَّ ثقاتَها
ضوءٌ وفي بطنِ الكؤوسِ مُحَرَّفُ
فالمُترعون بلادَةً ألقوا بنا
درسًا بكلِّ بلادَةٍ.. يتفلسَفُ
زهَدوا لأنَّ كفوفَهم.. مغلولةٌ
فتعكَّزوا بروايةٍ... تتصوَّفُ

أوْهى من الأوراق.. وِرقُ حمامةٍ
خافَتْ عيونًا في الدُجى تتلصَّفُ
تدري مُدَوَّنةَ البقاء... تلوكُها
ريشًا على نهَمِ المخالبِ يُنتَفُ
لا.. لم نكنْ فعلًا.. ولا ردَّاته
كُنَّا عيونًا تُستباح.. وتذرِفُ
وعدٌ تسوِّفُهُ السنابلُ.. كلَّما
حانَتْ مواعيدٌ هناك تُسَوِّفُ
ما طأْطَأَتْ.. إلّا لتُخبِرَ حبَّها
أنْ سوفَ يُدركُنا الحصادُ ونُقطَفُ
عشرون ما ضاعَتْ ولكنْ ضيَّعَتْ
رُكَبًا على أثَرِ القوافلِ تزحَفُ
سدُّوا شبابيكي سأمرُقُ من هنا
فأصابعي في النبشِ لا تتوقَّفُ
ليست مُحالاتي فغولي واقفٌ
وجناحُ عنقائي المَهيضِ يرفرِفُ
سأعودُ من سفَري البعيد.. لأنَّهُ
سفَرٌ بغيرِ حقائبٍ.. يتخطَّفُ
عُدْ بي إلى اللا مُنتمين طَريقةً
فطرائقٌ للمُنتمين.. تُجَرِّفُ
غرَقي على المِجدافِ ألقى لومَهُ
لم يهزمِ التيارَ... وهو يُجدِّفُ
ردُّوا عليَّ الروحَ.. قبلةَ ميِّتٍ
وأفِرُّ من غرَقي الذي يتعَسَّفُ
جسَدي وهيكلُهُ الذي أبليتُهُ
جسَدٌ بغيرِ أديمِه.. يتلَحَّفُ
تحتَ الرمادِ وتحتهُ.. مُتَوَثِّبٌ
لكنَّهُ الفَوْقُ الذي.. يتزَلَّفُ
سأعودُ مُعتذرًا وأنكصُ آسفًا
كلِّي لبعضي.. صاغرًا يتأسَّفُ
وبِرفِّ ذاكرتي.. سأركنُ خيبتي
قصَصًا بأوجعِ ما بها.. تتأرشَفُ

غَضيضُ الطَّرف



خالد العتَيِّق

شاعر من السعودية

أُصِبتُ بما لستُ أحصيهِ عَدّا
وما كُلّ سهم إذا صابَ أردى
أُصِبتُ.. ويا رُبّ سَهم مَضيٍّ
تَعرّضتُ أسعى لرامِيهِ عَمدا
وما كُنتُ غِرًّا.. ولا زاغ قلبي
ولا راغَ سِرًّا.. ولا ضَلَّ رُشدا
وما كُنتُ غَضًّا.. رقيق الإهاب
وما كُنتُ فَضًّا.. ولا جُزتُ حَدّا
تَجَلَّت.. فما ظَنُّ قلبي إذا ما
تزمّل أسمالَ ثَوبيهِ بَردا
بدفءٍ.. وقد أيقظت ناعسَيها
ومالت بشَمسٍ تُفَتِّقُ وَردا
وماذا عليّ وقد بتُّ دهرًا
خَليَّ الفُؤاد.. فأُشرِبتُ ودّا
وماذا على الرُّوحِ إن مال قلبي
فمالت.. ولم تقوَ من بعدُ صَدّا
وماذا على الليل في مَفرِقِيها
يُنازِعُهُ الصُّبحُ جيدًا وخَدّا
أتَتني بجيشٍ من الحُسنِ زَحفًا
وأسرجتُ قلبي.. فما كُنتُ نِدّا
غَزَتني.. فعزَّت.. وما ذَلّ قلبي
وهذي المشاعر تصطفُّ جندا
فلما تلاقت على غير وعدٍ
عيونٌ، وأورَت من القلبِ زندا
تثاقل جفنُ الحياء، وألقَت
بسيفِ التَّبسُّمِ إذ ضاق غِمدا
وأرخت نصيف البهاء وأغضت
وأمضَت على صفحة الودِّ عَهدا
وفيتُ.. وأوفَت.. كأنّا اصطفينا
من الدهرِ صَفوًا وأُنسًا وشهدا
مَدَدتُ.. ومَدَّت هوًى والتقينا
على مثل غيمِ السَّماءِ.. وأندى
وجادت بوسمٍ على نجدِ صَدري
فكيف بوسمٍ يُضاحِكُ نَجدا
فما القَطرُ ما الزَّهرُ ما الغاديَاتُ
وما الطَّلُّ ما الظِّلُّ إن طالَ مَدَّا
وما البِشرُ ما الشِّعرُ ما الأغنياتُ
إذا القلبُ راوَحَ في الرُّوحِ سَعدا
وما الحُلمُ -إن سَرَّ- والأمنياتُ
إذا ما طَرَقنَ الأضالِعَ وَفدا
سوى مسحةٍ من ندى راحتيها
فكيفَ بقَلبٍ تَهَيَّأَ مَهدا
فحسبي من الصُّبحِ منها ابتسامٌ
إذا جَدَّ ثوبُ الظَّلامِ استجَدّا
وحَسبي من الغَيمِ أكمامُ طُهرٍ
يُجَلِّلنَ طُهرًا.. ويَنسجنَ بُردا
وحسبي من العَيشِ ساعاتُ أُنسٍ
إذا ما التَقينا.. وأروَيتُ وَجدا
فيا رُبَّ رامٍ.. ولم يَبرِ قوسًا
وما رَاشَ سَهمًا.. ولا سَنَّ حَدّا
أصابَ بطَرفٍ غَضيضٍ مَضيٍّ
وما كُلُّ رَامٍ إذا صاب أردى

الحزن جلباب السرور



الصوارمي خالد سعد

شاعر من السودان

ونثرتُ أنفاسي على ألق الضحى
أنشَبْتُ في زَخَم الشعاع أناملي
متوهِّجٌ قلبي على تلك الرُّبى
متوشِّحٌ شَفقَ الحياةِ الآفلِ
قد أمعنَتْ منى رُؤايَ ترحُّلًا
فأهبتُ بالقلبِ الكئيب أنِ ارحلِ
أسرجتُ ضَوءَ الشمسِ ثم علوتُهُ
وسبحتُ في حقلِ الغَمام الجائلِ
والزهرُ من فمِه تسيلُ عُصارةٌ
بالحزن لُفَّتْ.. بالنَدَى المتهاطلِ
عَبقٌ سكبتُ به بَقايا لوعَتي
وهصرتُ في ظلِّ الرياح مفاصلي
كانت فُلولُ البؤسِ تضحك في أسًى
والحزنُ يخطو في السرور الماثلِ
قد عذبتني الذكرياتُ أخوضُها
فَتَبثني أَلماً يَجُوبُ دواخلي
فأطيرُ نحو الشمس تنزفُ طاقتي
وأخِرُّ يصدِمُ كلَّ صخرٍ كاهلي
هذى السنونُ تشابهت وتَناقضت
قَلبي على المتنافرِ المتماثلِ
زهرٌ تلألأَ ثم بَرقٌ ذابلٌ
نجمٌ تزوَّد مِنْ سراجِ مَنازلِ

بحرٌ تفَجَّرَ في القفارِ مدمدمًا
ليلٌ تكفَّنَ باليتيمِ الأعزلِ
جَبَلٌ جَثا.. سُحُبُ الأديمِ تدخَّنَتْ
في حُفرةٍ تحت الضياءِ المسدلِ
أسدٌ بكى لما أطاحَ بشبلِه
ضَبْعٌ قدَ أَولَمَ في عرين الأشبُلِ
شمسٌ أَذَابَ أوارَهـا بردٌ قسا
فتراعَشَتْ.. مثل الأُوارِ المجفلِ
قمرٌ بشطئانِ الضحى متلفِّعٌ
مَطرٌ تواثبَ في الفضاءِ إلى علِ
يا لوعةَ القلبِ الكئيبِ تمنطقي
في البِيدِ لحن الموجةِ المتثاقِلِ
يا شوقُ لا تسكُبْ دموعَكَ يائسًا
هذى رُؤي عُمْرِ الزمان المقبِلِ
فالحزنُ جُلبابُ السرورِ على الضنى
يا قلبُ فاحزَنْ يا همومُ تَفضَّلي
فأنا السعيدُ أخوضُهُ دمعَ الأسى
وأنا السعيدُ بلوعةٍ لا تنجَلي
ولتبسمِ الأَفلاكُ في ساحاتنا
أو فَلْتكشِّرْ.. إنني قلبٌ خلِي
فهنا الأوائلُ في الزمان أواخرٌ
جادَتْ أَواخِرُهُ بكلِّ أَوائلِ



يحتضنُ نصبًا تذكاريًّا



أحمد حنفي

كاتب من مصر

بينما كانَ على مرمى ابتسامتِها يلتهمُ الطريقَ في محاولةِ العبورِ تجاهَ جدارِ الشرفة، إذا بنظرتِها تتفتّرُ وترخي سدولَها. ذراعُها العاجيّة تمتدُّ بحنوِّها البالغ، تغلقُ شبَّاكَها الزجاجيَّ إلا قليلًا. يرى ظلَّها الناصعَ يرقبُهُ من خلفِ فُرجةِ تركَتها، يتسلَّلُ منها هواءٌ يداعبُ أنفاسَها.

يتخلّلها، يخفقُ قلبُهُ بشدة، فتولّي وتذرُ خلفها جارًا يتلوَّى لهفةً ويُراقُ أمامَ شرفتِها، خاشعًا من فرطِ احتشائه.

هكذا اعتادَ تيهًا صباحيًّا بطلّتِها الآسرة، وبانسحابِها الهادئ.. وكأنَّ ذراعَها العاجيّة رقيبٌ يستبدُّ ليقطعَ المشهدَ قبل اكتماله.

ذلك التيهُ الصباحيُّ لذيذٌ غيرِ مُسكر، إلا أنَّه ما يلبثُ حتى يتحوَّلَ لسكون.

أمسكَ إزميلًا ومطرقةً، اتَّجهَ لعمودٍ من رخامٍ أبيضَ، يتوسَّطُ غرفتَهُ المُطلَّة على شرفتِها. راحَ يزاولهُ ذات اليمينِ وذات اليسارِ، حتى علمَ من أين يبدأ.. بطرقاتٍ حريصة أخذَ الرخامُ يتشكَّلُ على هيئةِ ذراعٍ قاعدتها لأسفل، حتى استوى نسخة دقيقة من ذراعِ جارتِه.. تلك الذراعُ التي حلمَ كثيرًا أن يحتضنَها.

صار من عاداته الصباحيَّة أن ينحني ليقبِّلَ ظهر يدها برقَّة، يجلوهَا من الأتربة وعيونِ المتلصِّصين.

ثمَّ بدا له أن يُكسبَها لمسة جمالية؛ فطلاء الأظافر الأحمر الفاقع، لا بدّ أن يبدو أنيقًا بجوارِ الأبيض الرخامي. كما ابتاعَ عطرًا فرنسيًّا، ضمَّخَها به قبلَ أن تُعلنَ الشمسُ انسحابَها من الأزرقِ العريض.

وعلى ضوءِ الشموع، اعتادا سماع الموسيقى الكلاسيكيةِ الهادئة. أحبَّ كثيرًا موسيقى "الدانوب الأزرق"، بينما كانت ذراعها تُفضِّلُ الرقصَ على موسيقى أغنية "أنا قلبي دليلي" للقصبجي.. راقَهُ ذلك ولم يختلفا فيه.

أشعلَ سيجارةً، وضعها بين أصابعها حينما أحسَّ بالألفة بين دخان سيجارته، ومسام الرخام الصلدة. كان الدخانُ يتسلَّقُها حين ينفثه، ينزلقُ لأعلَى ويلفُّ حولها في دوراتٍ حلزونيَّة. وقبلَ أن يَحرقَ التبغُ المشتعلُ أناملها، يطفئُ سيجارتَها ويطلبها للرَّقص.

ساعاتُ الليل الأخيرة يقضيانها في كدرٍ مُطبق، حين يضعُ كفَّها المُتصلِّبَ على كتفه ليراقصَه. تفجعُهُ قسوتُه، يقسمُهُ جفاؤه، يهزمُهُ ثِقَلُه..

تلك الذراع الرخاميّة التي تاهَ فيها تقبيلًا وضمًّا، تزيينًا وتعطيرًا، مداعبةً.. لا يستطيعُ أن يُضمَّها. يُضمرُ جحودًا يخبرُهُ بأنها ليست سوى نصبٍ تذكاريّ، لا يصلحُ إلا للبكاء. ووضع إكليلٍ من الزهورِ أسفل منها، يُكسبُها جلالًا لا يليقُ بعاشق.

في أحد الصباحاتِ المتكرِّرة، بينما كانَ على مرمى ابتسامتِها، يهفو نسيمُ رائحة حنَّاء حينما امتدَّت ذراعُها العاجيّة لتُغلقَ شبَّاكَها، لكنَّها لم تقف لترقبَهُ كما اعتادت...

تذكَّرَ أن الليلةَ السابقةَ تعالت أصواتُ الدفوف، فرقعاتُ ضحكاتٍ حادة، زغاريدُ وأغانٍ بصوتِ نساءٍ نوبيَّاتٍ من شرفتِها، مُشبعة بأضواءٍ ملوَّنة أزعجتهُ كثيرًا، وهو يراقصُ الذراع الرُّخاميَّة. بينما كانَ يجلوها كعادته، لفتهُ وجود حلقةٍ معدنيةٍ لامعة في بنصرِها، لم يضعها فيه.

دمعتانِ باردتانِ انحدرتا من مقلتيه...

بعدَ ساعة استلمَ زهورًا صفراءَ تحلَّقت ببراعة، وضعَها أسفلَ النصبِ التذكاريِّ لذراعٍ لا تُجيد الاحتضان!

حديث على الورق



مريم الشكيلية

كاتبة من عمان

سعيت أن أخفف من الوحدة التي تحاول أن تشدني إلى مستنقع عميق.. شيئًا فشيئًا كصرير قلم على شارع ورق متعرج تجرني إليها...

سعيت أن أفك طلاسم هذا الشعور الموحش الذي يتسلق روحي كجيش مهزوم في ساحة المعركة...

لا أريد أن أقلقك، لكنني سألتك يومًا في رسالتي الشتوية عن المعنى الحقيقي للشعور الذي لا يمكن وصفه، أو إيجاد لغة للتعرف عليه...

كيف يبدو هذا الشعور المزدوج كأنك في قارورة صغيرة معزولة تحاول أن تطلق شهيق الأنفس دون أن يشعر بك أحد، أو يلاحظ ارتعاش رمشك، أو جحوظ عينيك؟!

إنني أتساءل هل هذا فعلًا شعور بالوحدة، أم أن صمتك في حين كنت أنتظر مرورك على رصيف الورق على حافة السطور الخاوية هو ما يجعلني أنزف ضجرًا؟!

من خلال التعمق في هكذا شعور يخلق منك شخصًا مختلفًا حتى عن نفسك يجعلك تطيل التفكير في ما هو حولك، ويجعلك متوحدًا بذاتك.

وأنا أحدثك الآن.. تنحدر مني تلك الكلمات التي كنت أكتبها سابقًا كأنها فقاعات عبثية تتطاير في الهواء، وما تلبث أن تنفجر وتتلاشى، وأقول ما هذا الذي كنت أكتبه؟ ما هذا الضجيج الذي كنت أحدثه في تمام الساعة السابعة صباحًا؟



الحلم المأسور



عادل النعمي

كاتب من السعودية

لم يكن فيه شيءٌ يُذكَر إلا ذاكرةٌ تحب المبالغة، ووجهٌ لو وُضع بين ملامح العامة لما التبس على أحد أنه موظف صغير لا يعرف من العالم إلا صوت المنبّه ورائحة الشاي البائت، كان في منتصف الأربعين، نصفُ عمره قضاه يطارد أحلامًا لا تأتي، والنصف الآخر يندم على أنه طاردها حين جاءت.

ثم بدأت المصيبة: صار يحلم بأشياء تتحقق، نعم، بالضبط كما في أفلام الدرجة الثالثة، يستيقظ من النوم ليجد حلمه واقفًا أمامه بكامل وقاحته، يلوّح له مثل منديل طُليقة في محكمة نفقة، الأحلام تتجسد، تقف، تتنفس، تضحك، تبصق أحيانًا، ثم تتبخر كأن أحدًا نفخ فيها من نرجيلة فارغة.

وحين راجع الأطباء، أهدوه وصفة تشبه ورقة الطلاق بينه وبين الواقع: "هذه مهدئات... وخفف التفكير".

لكنه لم يكن يُفكر... هو فقط كان يحلم، وهل يحاسب النائمُ على أحلامه؟ لكن ما لم يفهمه أحد، أن الحلم عنده لم يكن نزهة في الحقول، بل ساحة تجارب يبدّل فيها النساء كما تُبدّل الجوارب، ويعدّل في قدره كما يُعدّل طالب مشاغب على ورقة امتحانه في آخر اللحظات.

هو يقوم بالتالي: عندما يستيقظ كل صباح، يجد أن حلمه قد توقف أمامه، في كل مرة يستطيع أن يخلق حلمًا جديدًا، ويغير في تفاصيله كما يشاء فهو يخلق قصة جديدة ويرى كيف مراحلها وصولًا في إلى النهاية.

في اليوم الأول:

قرر أن يُطلّق زوجته الأولى، الجميلة التي كانت تحب المرآة أكثر من طفلها، وتعتبر كل كاميرا صديقةً حميمة، حتى أصيب طفلها بطيف التوحّد، قرر أن يهدي نفسه زوجة خمسينية رزينة تشبه غلاية شاي قديمة: دافئة لكن تطلق صفيرًا إذا اشتد الغلي، أعاد الدراسة، وعلّق شهادته في صدر المجلس كما تُعلّق الجدة شهادة تطعيم حفيدها، ثم رُقي في العمل إلى درجة أنه صار يركب المصعد من الطابق الأرضي إلى الطابق الأخير.

لكن بعد سنوات، وجد نفسه يعيش مع زوجة تعامل جسده كأنها تُربّي طفلًا متأخرًا ذهنيًا: تأكله، تكسوه، تمشطه، وتُعنّفه إذا أخطأ في جدول المواعيد، وكلما حاول الزواج عليها، ذكّرته أنها صاحبة الدين، وكل فلس أنفقته عليه مُدوّن على قصاصات البنك، وموثّق في بند "سلفة مشروطة بعدم الخيانة"، تلعثم، وتذكر أنه خرج من بيت أمه إلى حضن خمسينية، لم يكن زواجًا، كان تنقّلًا من حضن لآخر.

في اليوم الثاني:

أعاد تشغيل اللعبة.. طلق الأولى وتزوج ثلاثينية تشبه أكواب القهوة: متواضعة من الخارج، ومُرّة من الداخل، لكنها تُوقظه من خدر الحياة، أنجبت له، وساندته، وأقنعته أن الحياة تبدأ بعد الشهادة، فحصل على الشهادة، ثم اكتشف أن الحياة تبدأ بعد الطلاق.

خلعته في المحكمة مثل قميص داخلي قديم، وقاسَت نفقتها بالقلم الجاف لا الرصاص، وجعلت نصف راتبه لها، والنصف الآخر لحذاء طفلها الجديد، وتزوجت رجلًا يعمل في شركة دولية، بينما هو يعمل في طباعة مذكرات الطلاق، فهو كان يستحقرها دومًا لأنها غير جميلة وكذلك قصيرة، وعندما تمكنت نكثت عهدها.

اليوم الثالث:

قرّر ألا يتزوج، ظنّ أن العزلة دواء، فكانت مرضًا مزمنًا، شيّخته الوحدة أسرع من الزمان، صار يمشي في البيت كأنه خيال مآتة فقد وظيفته في الحقل، طفله المصاب بطيف التوحد تخلت عنه أمه وأصبح معه لم يعد يبكي، بل ظل ساكنًا كتمثال، لا أحد يقرأ روحه، ولا هو يفهم، بقي وحيدًا، لا امرأة تصرخ، ولا طفل يضحك، فقط جدران تشبه مقابر لها أغطية.

اليوم الرابع:

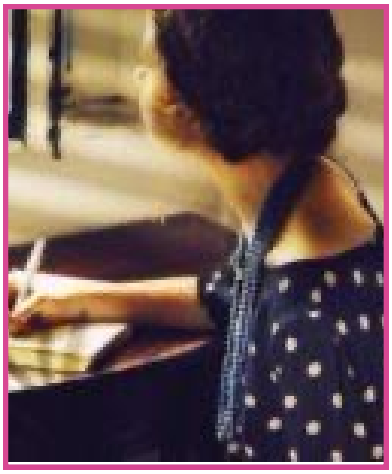
استفاق من النوم وهو يحاول تغيير القواعد، لكنّ "نفسه" ظهرت له في الحلم، ليست بهيئة روح لطيفة، بل كشيطان يرتدي بدلته، ويفرك أنفه بشماتة، أخرجت له لسانها، ثم صفعه بباطن كفّ مغمّس بالسخرية، شعر أنه نملة واقفة أمام مرآة مقعّرة، تهامس المارة في الحلم أن الرجل مغرور، يتعامل مع الحظ كأنه موظف استقبال في شركة فاشلة.

لكنه ترك حلمه وفعلها... فعلها حقًا في الواقع! طلق زوجته وهو يحتسي الشاي، ثم نظر إلى المرآة وقال: "ليكن ما يكن".

كان يعتقد أن هذه الجملة مثل "كن فيكون"... لكنها في الواقع كانت مثل رمية نرد، وأن حياته مجرد إحدى تفاصيل ذلك الحلم.



زائفــــــــون



شمعة جعفري

كاتبة من السعودية

وجدَتْ سوارًا تحت سريرها، ورأوا بأعينهم ألف ريال معلقة بخيط ورديٍّ أمام البيت، تحت مرآتها ذهب منثور، وفي أحضانها تستيقظ كل صباح على قطعة حلوى!

لها من الإخوة أربعة، يتكففون الناس، أو يقطعون السبيل، ويخيفون العابر.. تنظِّف البيت بعد رحيلهم فتجد لؤلؤتين أو ماسَة، تتبرَّع بهما لصاحب النصيب، فتعود وقد امتلأت أدراجها آلاف ريالات.

يعود إخوتها منهكين، ضائعي الحلم، مبتوري الخطوات، يكادون يبكون، يخرجون مسروقاتهم، وما أخذوه بالقوة، فلا يتعدى زاد يوم، أو أقل. على سجائرهم المهرَّبة يضعون حلم يومهم، ويستيقظون اليوم التالي وهم أفقر من رضيع لفظته أمه.

هذا اليوم أزاحت السرير، تحته كانت قلادة صغيرة، أخبرت إخوتها عنها، فَضحكوا منها، قالت لهم إنني أحتاج إليها.. أتسمحون؟! نظر أحدهم فانفتحت عيناه كادتا تبلغان السقف، قال الأصغر: إنها زائفة.. لا يمكن لهذه الشحاذة أن تملك مالًا!

«هل سرقتِ أحدًا».. سألها الأوسط.

«على كلٍّ تنفعنا».

اختطفها منها..

بدموعها قالت: أنفقها في خير إذًا!

ردّ بابتسامته الصفراء: سأسقي هؤلاء العطشى نبيذًا صافيًّا، أي خير أكثر؟!

توجَّهَت إلى قبلتها، وابتسمَت، وهي تنظر نحو سورة ياسِين التي تسترُ شقَّ الحائط وراءها معلَّقًا عليها أجمل قلادة رأتها.

أتمَّت صلاتها، وبابتسامة خجلى أخذتها، وعبرت نهر الطريق، وأودعتها حِجْر امرأة لم تكن ترجو سوى ريالات عشرة تطعم بها جياع الحلم.

بعشرين ألفًا باعتها، رغم جشع التاجر!

عادت تطوِّح يديها في الهواء ترسم بسمة على كل شرفة، وتضع للحلم قناعًا بنفسجيًّا، ورابطة عنق وردية، وأنبتت زهرًا أخضر، وزروعًا بألوان الطيف.

ونامت.. رأت عالَمًا لا فيه مكر ولا عِوَج، واستيقظت، وإخوتها حول مائدة من نار مشتعلة يجتمعون، وكانت لهم قرون من شرٍّ وأنياب من صرخات مساكين، وأعين ممتلئة بسواد الليل.. صرخوا فيها: أعطيتنا جوهرة زائفة، وأضحكتِ علينا كل البشر.

منذ تلك اللحظة، لم يعودوا يعبؤون بما تجنيه من جواهر، وما تهبه من ذهبيات!

كانت مثل حجر كريم رغمًا عن زيف قلوبهم!

ممتلئة في زمن الفارغين



عبير المالكي

كاتبة من السعودية

مرعبة فكرة الفراغ ولا أقصد هنا الفراغ بمعناه الحقيقي بل المعنوي؛ أن يكون الشخص فارغًا دينيًا، اجتماعيًا، ثقافيًا، أخلاقيًا.

والمفزع أكثر أن تكون مجبرًا على التعايش مع مثل هذا الشخص بشكل يومي، إما في عملك أو محيط أسرتك، الأدهى والأمر هو نظرة هذا الشخص لنفسه ومن حوله.

فهو يشعر بالفوقية التي تؤهله للتصرف بحماقة تجاه كل ما يحيط به ومن يحيط به، ظنًا منه بأفضليته.

والمضحك في الأمر أنك تظن أنك تستطيع أن تملأ هذا الفراغ دون أن تتأثر، والحقيقة أنك بمجرد الاقتراب من هكذا أشخاص فأنت دون أن تشعر تصاب بالفراغ، وتظل في دوامة المقاومة للنجاة بأفكارك وقيمك وأخلاقك.

البحر المرجوم

عقرب الساعة يلدغ الواحدة ليلًا، ثمة شابٌّ يرجم بالبحر جسد البحر، ويقذف بالشتائم كل موجةٍ تصل إلى قدميه الحافيتين، يحاول بطرائق شتى إيصال صوته الغاضب إلى مسامع طُغاة المدينة، التي تقبع خلفه تمامًا، توقَّف عن قذف الحجارة قليلًا، ثم رَمَقَ المكان الذي حوله بعينيه الهزيلتين، لقف حجرًا متوسّط الحجم، ثم عاود رجم جسد البحر.

وبعد سُويعات من ليل الصيف القصير، تُطلُّ الشمس برأسها من خلف البحر المرجوم بالحجارة والشتائم من ذلك الفتى، وقبل أن تشارف المدينة، كان هناك جسدٌ مُلقى على سجادة الشاطئ، فتىً في الثلاثينات من عمره، غطّتهُ شراشف النوم والإرهاق عن إكمال العَبَثِ بمشاعر البحر ليلة البارحة!



ماجد سليمان

كاتب من السعودية

ذاكرة تشبه مدينة



أريج سالم

كاتبة من اليمن

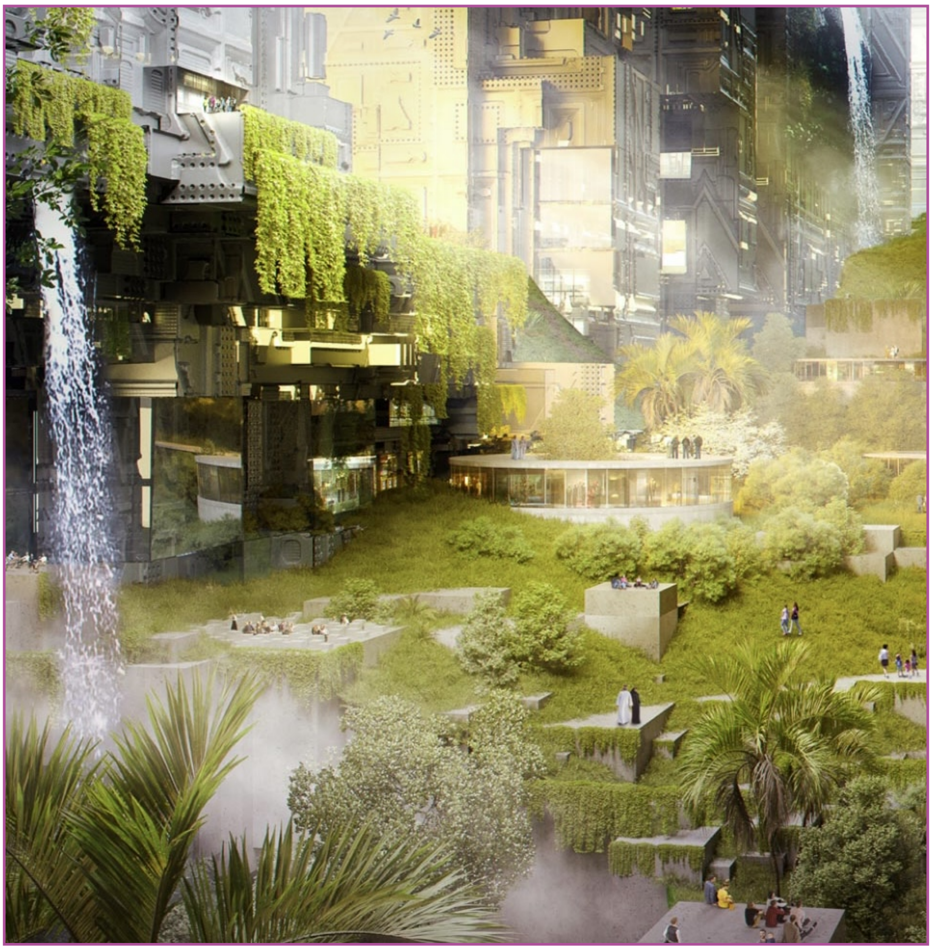
في ذاكرة قلبي مدينة لم أذهب إليها يومًا، لكني مشيت في أزقتها العتيقة، كأني أمشي داخل قصيدة.

لمست ترابها بيد قلبي، وشعرت بتعبها...

تبللت روحي تحت أمطارها فسمعتها تبكي ألمًا، تفيأت بأشجارها، وحين عانقت جذوعها سمعت همسات الجذور الضاربة في العمق تنشد آيات الصمود والثبات...

وفي صباحاتها مررت بدكان يحمل بساطة الماضي وأصالته، شربت شايًا سُكره ضحكات الأطفال المارّةِ بين رحى الحياة، وأكلت من خبزها المعتق ببسمة الفجرِ الحزين.

وفي مسائها تبعت أثرها بعينين مغمضة فقادني إلى البحر وقفتُ أمامه واحتضنتُ أمواجُه موجة موجة.. إلى أن أخذني الحنين للغرق.



اختيـــــــــــار



شذى الجاسر

كاتبة من السعودية

في الساحة الخارجية للمقهى الذي اعتادت على زيارته كأنها تحج إلى مذبح انتصاراتها الصامتة. أخرجت سيجارتها، أشعلتها بنفس ثقيل، نفثت دخانها ببطء واختلط بأنفاسها كأنهما عاشقان قديمان يلتقيان في لحظة وجع.

ارتشفت من فنجان قهوتها، تلك القهوة التي طالما شاركتها الاحتفال بانكساراتها المنتصرة. كانت تعلم أنها ترتكب خطيئة، لكنها خطيئة تمنحها نشوة، تروي بها ظمأ غرورها... ولو للحظة واحدة.

في زحمة الضجيج الصامت، ظهر أمامها فجأة شاب طويل، متوسط الوسامة، لكن جاذبيته تنساب في الهواء كعطر فخم. كان أنيقًا، واثق الخطوة، له رائحة الكبرياء ذاتها التي اعتادت سحقها. رمقته بنظرة خاطفة، ثم أعادت بصرها إلى البحر. النسمات داعبت خصلات شعرها، فبدت كغجرية مشاغبة ترقص وحدها على أنغام منفاها.

أنهت فنجانها، حدقت في قعره قليلًا، ثم قالت كأنها تخاطب نفسها: سألتقيه هنا، بعد أن أسحق قلب ضحية جديدة كما سحقت هذه السيجارة.

في صباح اليوم التالي، استيقظت على رؤيا غريبة: رجل يلاحقها بين أماكن غير مألوفة، حتى وقف أمامها وألبسها خاتمًا. حاولت خلعه، تحطيمه، لكنها عجزت. استيقظت مشوشة، بين رضى وغضب، ثم دفعت الرؤيا بعيدًا وبدأت التخطيط لرحلتها القادمة في تحطيم القلوب.

بعد فترة ليست بسيطة.. وفي وقتها المعتاد عادت إلى ذات المقهى، كما تعود الأرواح إلى أماكن نزفها الأول. هناك كان ينتظرها، جالسًا بثبات، يرمقها بنظرة فاحصة. تجاهلته. أشعلت سيجارتها، أسندت ساقًا على ساق، أغمضت عينيها وتركت النسمات تعبث بشعرها. لكن صوته اخترق وحدتها:

- هل لي بالجلوس؟

فتحت عينيها بتعجب، ثم قالت بتهكم:

- لا.

- لن آخذ من وقتك الكثير.

- تفضل، لكن كن سريعًا.

جلس بثقة، وقال:

- فهمت من النادل أنك دائمة المجيء في الوقت نفسه.. توقيتك دقيق بشكل غريب.

نظرت إليه بعيون مشككة، فأردف:

- معذرة، لكنك أثرت فضولي. لك جاذبية لا تشبه أحدًا. هذا رقمي، إن رقبت، يشرفني أن أسمع صوتك.

ترك الورقة على الطاولة، وقف، لوح لها بابتسامة خفيفة، ومضى. بقيت تتأمل مكانه الخالي... ثم أمسكت بالورقة، وضعتها في حقيبتها، وابتدأ معها صراعها.

مرت ثلاثة أسابيع. قررت أن تجعله ضحيتها الجديدة. اتصلت. لم يجب. عاود الاتصال بعد دقائق.

- ألو!

- مرحبًا، كنت أنتظر اتصالك. اسمي ميشيل.

- أهلًا ... كارلا.

وبدأت رحلة المكالمات بينهما.

في البداية، كانت حادة، صلبة، كسيدة من رخام. لكنه كان صبورًا، عطوفًا، يعرف كيف يسحب الحجارة من حول قلبها دون أن يشعرها بالعري.

مضت عدة أشهر، ثم جاء موعد اللقاء. في ذات المقهى. .على ذات الطاولة.

دخل متأخرًا قليلًا، حاملًا باقة ورد. مدت يدها بابتسامة مرهفة.

- تأخرت.

ابتسم قائلًا وهو يقدم لها الباقة:

- هذه هي السبب.

تناولتها، استنشقت عبيرها، ابتسمت بسخرية خفيفة.. ثم قالت:

- حتى الزهر يجف... مثلي تمامًا.

- لم أفهم.

- نحن نقتلها بدم بارد لكي نقدمها لمن نحب، إما تقربًا منه أو تكون حروفنا في تمني الشفاء.

- لماذا تنظرين لها من هذا الجانب؟!... هي خلقت لتكون لغة صامتة رقيقة وجميلة تخبر ما لم نستطع البوح به.

فكرت بكلامه قليلًا، لكنها لم تقل شيئًا.

بعد لحظة صمت، تحدث هو وشاركته الحديث كما شاركته قهوتها التي تسجل خفية كل المشاعر المتصارعة بداخلها.

تكررت اللقاءات وقصرت المسافات بينهما. أخبرته بحربها وانتصاراتها، واحتفالاتها مع قهوتها. أخبرته كيف جُرِحَ قلبها وسحق، وكيف كانت تنتقم. تعلم أنه لا يجب عليها فعل ذلك، وتعلم أنه إثم كبير، وتعلم أن السبيل للتخطي يكون مع معالج نفسي، لكنها كانت في أعماقها رغبة قوية للانتقام، رغبة تجعلها تجري لتحقيقها بكل الطرق ودون توقف. أخبرته كيف سيطر على كل تلك المشاعر. كيف أعطاها الأمان، الاحتواء، الثقة والوضوح. رغم ذلك كان هناك شيء بداخلها من الخوف لا يزال ينبض.

في كل مرة يلتقيها كان يلاحظ في عينيها حيرة وسؤال يحارب للخروج. قال لها:

- لِمَ لا تتركين عينيك تتكلم؟

- وهل تقولان شيئًا يستحق الإصغاء؟

- هناك الكثير... أود سماعه.

صمتت، ثم سألته:

- لماذا أنت؟

- ماذا تقصدين؟

- لماذا سقط حصني أمامك؟ ألا تخشى أن تكون ضحيتي التالية؟ ألا تخاف من قلبي الذي يسحق القلوب انتقامًا كما تسحق السيجارة؟

أخرجت سيجارة، بيدين ترتجف أشعلتها ونفثت من بين شفتيها المرتعشة دخانها. ثم أردفت قائلة:

- ألم يتسلل الخوف لقلبك مما أخبرت ورويته لك عن قصتي؟

ابتسم، أمسك يدها، وقال بثقة:

- لا أخاف؛ لأنني وجدت الطريق إلى قلبك، وعلاج روحك.

- هل تثق بي؟

- أثق بنفسي التي اختارتك من أول نظرة.

نظرت إلى السماء، نفثت دخانها ببطء، ثم نظرت لعينيه بنظرة حادة، دامعة القوة، تصحبها ابتسامة متأملة ثم قالت له وهي تسحق سيجارتها:

- وأنا أيضًا اخترتك.



فنون بصرية

من الضرورة إلى الحذاقة

شموع الحميد



بدأت قصة المنسوجات كاستجابة بدائية للحاجة فمن البداية لم تكن هناك ملابس بالمعنى الذي نعرفه اليوم، بل كان البشر يستخدمون ما توفر الطبيعة فيستخدمون أوراق ولحاء الأشجار وجلود الحيوانات كملابس وأغطية لتغطية أجسادهم وحمايته من العوامل الخارجية، ومع الوقت تعلموا زراعة النباتات وتربية الحيوانات فاكتشفوا كيفية تحويل الألياف الطبيعية إلى خيوط ومن ثم نسجها بعدة تقنيات فتحولت من وظيفتها الملحة إلى نقل رسائل اجتماعية وفنية.

فالمنسوجات هي نتيجة مزيج من ألياف طبيعية أو اصطناعية لتكوين بنية مسطحة، وقد يكون النسيج تقليديًا (تداخل خيوط السدى التي تمد طولًا واللحمة التي تمد عرضًا)، التي يتم نسجها باستخدام النول، أو الحياكة (تكوين حلقات متشابكة)، أو اللباد (التي يتم معالجة الألياف بالحرارة والضغط لتشكيل قماش وتسمى بعملية التلبيد)، لكن خلف هذا التعبير البسيط يكمن خلفه عالم من التعقيد والعمق الفني.

فالألياف نوعان: إما طبيعية أو اصطناعية فالطبيعية تستخرج من النباتات والحيوانات، فالمنسوجات الحيوانية مصنوعة من الشعر أو الفراء أو الجلد أو الحرير المستخرج من دودة القز أو الصوف، فالصوف يعتبر من أشهر أنواع الألياف الحيوانية، ومن أنواعه المعروفة الكشمير الذي يؤخذ من الماعز الذي يستخدم في الملابس؛ لأنه يتميز بالليونة، والموهير المستخرج من شعر ماعز الأنجورا الذي يستخدم في إنتاج المفروشات والسجاد، وصوف اللاما وشعر الجمل الذي يستخدم في إنتاج السترات والمعاطف والبطانيات والأغطية الدافئة، حيث يتم قص الصوف منهم ويتم فرزه وتنظيفه وتجهيزه للغزل سواء يدويًا أو عن طريق آلة مخصصة.

والأنجورا الذي يعتبر من أجود الأنواع والمحصودة من أرانب الأنجورا الذي يتميز بالنعومة والدفء واللمعان الذي يضفي له مظهرًا فاخرًا، ويساهم في إنتاج السترات والقفازات والأوشحة والملابس الداخلية، أما الألياف النباتية فتستخرج من أجزاء مختلفة من النباتات وما يميزها أنها متجددة؛ بمعنى أن يتم إنتاجها مرات عدة بفترات زمنية معقولة، كما أنها قابلة للتحلل الحيوي، وغالبًا ما تكون خفيفة ومريحة على البشرة فتأتي من مصادر عدة، أشهرها وأكثرها استخدامًا

هو القطن الذي يتميز بنعومته وقدرته العالية على امتصاص الرطوبة ويستخدم في غالبية المنسوجات ويعتبر مصدرها من ألياف البذور، أما التي تستخرج من سيقان النبات عدة منها الكتان الذي يعتبر المتصدر في صناعة الملابس الصيفية لامتصاصه العالي للرطوبة وملمسه البارد، الجوت وهو نسيج خشن قوي ويستخدم في صناعة الحبال والأكياس والسجاد، ويسمى الخيش أيضًا، القنب الذي يتميز لمقاومته للعفن؛ لذلك يستخدم في الملابس المستدامة.

انتقالًا للألياف الاصطناعية التي تصنع عادة من مواد كيميائية مشتقة من البترول والبوليمرات، وهي محاكاة للألياف الحيوانية التي كانت بدايات صناعتها عام ١٨٨٩م، لكن أول عملية ناجحة كانت على يد الكيمائي الإنجليزي تشارلز فريدريك كروس عام ١٨٩٤؛ حيث أحدثت هذه الألياف ثورة في صناعة النسيج بفضل



خصائصها الكثيرة؛ لأنها لا تعتمد على أي محاصيل زراعية أو تربية الحيوانات وتتميز بانخفاض أسعارها مقارنة بالألياف الطبيعية، كما أنه يمكن التحكم في خصائصها مثل القوة والمرونة ومقاومة الماء، مقاومة للتلف، وتحافظ على شكلها ومظهرها لفترة أطول، سهلة الغسيل والجفاف ويمكن كيها بشكل أسرع، مثل البوليستر وهو أكثر شيوعًا والنايلون والأكريليك و الرايون.

فحين ينقل شخص قصص ويجسد رؤًى من خلال الألياف المنسوجة كمادة أساسية في عمله الفني، فهو شخص يمتلك مهارة يدوية استثنائية وفهمًا عميقًا لخصائص المواد النسيجية وإضفاء أبعاد فنية وجمالية على أعماله مستلهمًا من الطبيعة، الثقافة، التاريخ، وحتى أفكاره ومشاعره، فيعتبر الفنان عربي محروس من الفنانين الذين تعتبر أعمالهم تجارب فنية فريدة، حيث تتم عمليته الإبداعية بشكل يدوي دون أي آلات مساعدة معتمدًا على حرفتيه، فتبدأ باختياره للخيوط الطبيعية ذات الجودة العالية مثل: صوف



الأغنام أو الحرير الطبيعي أو القطن، وهذه الخيوط تصبغ بعناية فائقة باستخدام الألوان الطبيعية الثابتة لضمان ديمومية وجمال الألوان، أما أداته الأساسية للعمل فهي نول النسيج اليدوي المصنوع بالطريقة الفرعونية القديمة التي تم استخدامها من المصريين القدامى، فيضفي على القطعة المنتجة روحًا تاريخية لا مثيل لها، وبعد تجهيزه للخيوط تبدأ المرحلة الفنية الدقيقة، هنا يتم اختيار التصميم المراد تحويله إلى لوحة نسيجية يدوية، قد يكون رسمًا فنيًا معقدًا أو لوحة شهيرة أو منظرًا طبيعيًا.

ثم يبدأ العمل الشاق على النول، فيكون التصميم المراد تنفيذه معلقًا أمامه كمرجع، بينما تتواجد الخيوط الملونة جاهزة ومعلقة على النول فينسج خيطًا بخيط مع مراعاته لأدق التفاصيل لإخراج التصميم بشكل مطلوب وبدقة متناهية، فتتحول بضعة الألياف الملونة إلى لوحة فنية من النسيج فتجسد رؤية الفنان وتفانيه في أعماله التي تضفي عليها لمسة إنسانية فريدة لا يمكن للآلات بلوغ دقتها.



صورة صدر المقال من أعمال الفنان عربي محروس.

الشكل في الفن

أحمد فلمبان



إن الشكل في الفن يتألف من صياغة جملة عناصر متعددة، كالألوان والسطوح والخطوط، وتنظيمها بتراكيب معينة، إلا أن الفنان بصفته كائنًا اجتماعيًا، يستخدم كل ملكاته العقلية والحسية لدى صياغته لهذه التراكيب، فالعملية إذًا، لا تتم بمعزل عن المجتمع، بل على العكس بارتباطه به، لأن الفنان عندما يعكس مشاعره وإحساساته وأفكاره في هذه التراكيب، إنما يعكس مشاعر وإحساسات وأفكار تلك الفئة الاجتماعية التي يرتبط وإياها بنوع من المشاركة في هذه الإحساسات والمشاعر، ففي الوقت الذي يصوغ فيه الفنان (شكلًا) معينًا، فإنه يعرض (مضمونًا) معينًا، أي أن هناك ارتباطا بين الشكل والمضمون، يشتق خلاله كل منهما كيانه من الآخر بشكل لا يمكن الفصل بينهما، ومن المهم ألا نخلط بين الموضوع والمضمون، لأن هناك خلطًا في هذا الجانب، حيث إن لكل صورة (موضوعًا) إلا أنها تحوي في الوقت ذاته شكلًا ومضمونًا مشتقين من هذا الموضوع.

ويتضح ذلك تمامًا عند قيام عدد من الفنانين برسم موضوع واحد، فينتجون مضامين مختلفة بل متضادة أحيانًا، إذ إن لكل منهم مفاهيمه وفلسفته وموقفه ووجهة نظره الخاصة، إضافة إلى إمكانياته الثقافية وحرفته ومفهومه التقنية، والعوامل المؤثرة في ذلك بظروفها المختلفة، خاصة مع التغيرات في الحياة والتطور الاقتصادي والاجتماعي والفكري، وسهولة وسائل الاتصال الحديثة، إذ تحرضه على خلق مواضيع جديدة، كما يؤدي إلى انبعاث مفاهيم وفلسفات ومواقف جديدة لدى الناس، ومنهم الفنانون، وبديهي، تنبعث منهم في أوضاع مختلفة لضرورة التغيير في الأشكال الفنية القديمة، التي لم تعد ملائمة أو مقبولة لهذا العصر، وعن التناقضات الجديدة والاستعاضة عنها بأشكال للتعبير أكثر ملائمة، ومن هنا نرى الكثير من الفنانين يتجهون الى التعبيرية والتجريدية والسريالية والتكعيبية، وفي تجارب شكلية متنوعة لأنهم -على حد قولهم- يرغبون في التوصل إلى شي (ما) لأن هذا الشعور في الواقع، ليس إلا وجهًا آخر لحقيقة مادية واقعية جديدة، التي أخذ الفنانون في وضعها لأنفسهم والتي تنعكس على التطورات الاقتصادية والفكرية والاجتماعية، التي أخذت شكلًا آخر للتعبير يناسبها، إلا أن التناقض يكمن في وجود علاقات اجتماعية سائدة تتصادم والأوضاع المادية الجديدة التي أوجدتها هذه التطورات، فهناك تخبط وتشتت في هذا المحيط، يؤديان إلى التذبذب في الطرح، والتأرجح من أسلوب لآخر، وللخروج من هذه الضائقة، اتجهوا إلى الفنون العالمية الجاهزة والمعروفة والمحققة لمطالبهم وتوجهاتهم وإمكاناتهم وطموحهم، أعتقد أن هذا ليس بتقليد للغرب، بل هو نتاج للظروف التي ذكرناها كمصادر غنية لعلاج مشاكلهم الفنية الآنية، وكنتيجة حتمية لذلك، لكن هناك بعض المغامرين الذين يؤمنون بأن الفن شغف وليس دراسة، قد يكون ذلك ممكنًا، لكن لنعلم أن هناك فرقًا بين الإبداع وصناعة

التصوير، ومن هذا المنحى، وللخروج من ضائقة الفروقات المنهجية والتفاصيل في المستويات، يتجهون إلى الأساليب الرائجة والمعروفة والمستهلكة والسهلة من آثار الفن الإسلامي بنقوشها وريازتها -دون علم أو معرفة- أو التصويرات القليلة المتوارثة في المخطوطات، أو الاقتباس من الكتب والكتالوجات، أو اللجوء إلى المفردات الشعبية التقليدية والبيئة والعادات والزخارف المتنوعة والعمارة القديمة والرواشين، والإبل والفرس والخيمة والدلة، هي في الواقع، ليست تعريفا كافيًا لواقعنا، فواقعنا الفني الآن صعب التحديد، في غياب المعالم الفنية وفقدان التجارب البصرية القديمة، وما أصابها من كبوات وعثرات، وتدمير التصاوير والتماثيل، ما جعل من إنتاجنا الفني الحديث ضعيف الشخصية لدرجة مؤثرة، لأن الفنان المعاصر، تفتحت عيناه ولم يجد أي أثر من الفنون القديمة، ولم يره للتأمل والاقتداء، فكما هو معروف في الفن، أن لكل دولة تقوم على خطوط ضخمة متوارثة من الفنون، (مثلًا) الأعمال المصرية، تشعر من الوهلة الأولى دون عنونتها، أنها مصرية، المستقاة من الآثار الفرعونية، أيضًا اليابانية والصينية والهندية والسودانية، والعراقية، تجد فيها الحس المجتمعي ونكهة الأرض وعبق البيئة المرتبطة بها، لكن في أعمال الفنانين، نجد كرنفالا ما هب ودب، ومن كل بحر قطرة، مجرد تقليد واقتباس من أعمال السابقين اللاحقين، ومن المؤسف أن حياتنا التشكيلية، ابتليت بالمغامرين، بما يمكن أن نسميه (الفوضى الممنهجة) اهتزت فيها المعايير ودخلنا في حالة من شعوذة المصطلحات وجهل في المفاهيم، وتقليد من اللوحات الجاهزة، فليس هناك أسلوب شخصي للرسام أو مضامين أو قضية يبحث فيها، مجرد الاستعارة والنسخ والاقتباس واختيار المواضيع والأساليب الجاهزة والاستقراءات من الاتجاهات والأنماط السائدة، لا يتصل بشيء من واقعنا وحياتنا وهمومنا، ولا يستمد من البيئة وتاريخها، أو من الشعور الشخصي والاجتماعي للفنان، فمعظم الأعمال الفنية متشابهة، بما فيها التقنيات والصيغ متقاربة مع بعض التعديلات الساذجة، والتغيير في مواقع المفردات، وتكبير وتصغير الأشكال الهندسية وإقحام الزخارف والنقوش المقلدة من أفريقيا وآسيا، وتسميتها بعناوين محلية، لمنحها البعد العالمي، وهذا الوضع يساهم في تدني التشكيل السعودي، ولا يرتقي أبدًا إلى مستوى التطلعات والطموحات، وتجسيد المشهد المعرفي في مجتمعنا للآخرين ومواكبة العالم في هذا المجال، وكنتيجة حتمية لذلك، انعكس هذا التخبط في الفن، إلى مبدأ "الأخذ".. لكن يظل تقليدنا وتمثيلنا لمختلف التيارات الفكرية والفنية التي اقتبسناها من الغرب، ليس عميقًا وصادقًا، وذلك لاختلاف واقعنا عن واقع الغرب الطبيعي المتقدم، فكل الأساليب والاتجاهات والمدارس الفنية ظهرت في العالم الغربي بما يبررها، لأنها نتاج لأساليب ومدارس فنية سابقة، فمن البديهي، أن هذه الأساليب والاتجاهات، وإن ظهرت، ويمارسها الكثيرون في بلادنا، هي ظاهرة غير طبيعية، لأنها مقلدة وليست من واقعنا الثقافي والاجتماعي، وستستمر هذه الحال مائة عام، وستكتسب مع مرور الوقت بعض الصفات المعينة والشخصية الواضحة في الشكل والمضمون، خاصة أننا والعالم مقبلون على تحولات وتقدم كبير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، ولا بد أن يترك هذا التقدم طابعه التأثيري في إنتاج الفنانين، وتحرض الفنان العمل على نوعية متوافقة من الإنتاج الفني وعلى ذوق الجمهور معًا، فيؤثر أحدهما على الآخر، حتى يأخذ الفن شكلًا، أو أشكالًا أصيلة معبرة عن حاجة ذلك الجمهور ومفاهيمه، للوصول إلى طرق تطبيقية وعملية ونتائج رصينة ورؤى متوافقة، تتعلق بصلته بالجمهور، وغير مألوف وغير عادي وغير معروف وغير نمطي، المهم أن يكون فنًا أصيلًا، وليس مقتبسًا أو مرسومًا من (double) أو الاستعانة بـ"معاوض".

من روائع الفن العالمي.















حلمٌ يتحقق.. معرض إلهام أبو طالب الشخصي الأول

فوزيه القثمي

معرض يثير الإبداع والجمال بتفاصيل وأعمال تشبه السيمفونية، حيث ارتسمت قصائد شعرية وامتزجت بالفرشاة والألوان ليثير شجن المتلقي بأحاسيس الجمال والإبداع.

في يوم ١٥ يونيو بجمعية الثقافة والفنون بجدة كان المعرض الشخصي الأول للفنانة التشكيلية إلهام محمد أبو طالب، ابنة جازان، بحضور نخبة من الفنانين التشكيليين من الجنسين، حيث افتتحت الدكتورة مها عبد الحليم رضوي، ابنة الفنان التشكيلي المعروف رحمه الله، الذي تُوّجت مسيرته الفنية بإطلاق اسمه على صالة الفنون التشكيلية بمقر الجمعية، باستقطاب وتشجيع من مدير الجمعية، التي أصبحت علامة فارقة في نشاطات الرسم والفنون التشكيلية بالجمعية، بما تقيمه من معارض فنية لمبدعين ومبدعات الوطن لهذا الفن الذي



أصبح يستهوي الكثير من عشاق مدارسه التشكيلية.

وتضمن المعرض خمسين لوحة حملت بصمات أناملها وفكرها، وهي تعبّر من خلالها عن مشاعرها



وشعورها بالحياة رغم الظروف الخاصة التي أحاطت بها، باعتبارها من ذوي الهمم نطقًا وسمعًا. وحلمها منذ ٣٨ عامًا بإقامة معرض شخصي يضم أعمالها وأحلامها، وسبحان الله تحقق حلمها الجميل.

وتحرر لسانها بفعل القرآن الكريم ومجالستها لوالدها في طفولتها،



الذي تعلّمت منه السمع عن طريق تحسس ذبذبات الحروف من الحلق وحركة الشفاه، وتحسّن سمعها بالتفاعل مع من حولها، بالذات من ابنتيها اللتين ترافقانها وتشجعانها، كما كان والدها يشجعها في مرحلة الطفولة حتى انطلقت بكامل حواسها لتبدع وتشارك المجتمع بإبداعها الفني، إذ لم يعطّل فكرها وتفكيرها، بل استغلتهما في تفعيل أناملها الذهبية من خلال هذه اللوحات، التي كانت محط إعجاب الفنانين والفنانات الذين حضروا وأشادوا واستمتعوا بما شاهدوا على جدران المعرض، وهي تتنقل بين الواقعية والسريالية والتكعيبية، ولم تنسَ بيئتها التي عبّرت عنها بعقود الفل الجازاني.

هذه الفنانة سبق وأن نُشر عنها قبل ما يقرب من أربعة عقود، الزميل الصديق الإعلامي خالد خضري في جريدة الندوة، عندما التقاها في الطائف تحت عنوان: أحلم بمعرض شخصي.

وعند النظر إلى جمال المعرض وجمال اللوحات الفنية التي زينت جدران المعرض نجد دلالات فنية أخرى، إذ ربطت العارضة كل لوحة بجزء من نصوص شعرية مغنّاة لشعراء وفنانين كبار، وعلى رأسهم الشاعر بدر بن عبد المحسن رحمه الله، والفنان محمد عبده، فكانت هذه اللوحات ودلالاتها الشعرية مثار إعجاب وتفاعل الحضور من ذكريات جميله كما كان لحضور الدكتور صالح الشادي وكلماته



للفنانة، وهو يشيد بما شاهد، إلى جانب كلمات ابنتيها والدكتورة مها رضوي، وفنانات وفنانين تشكيليين، والذي اختتم الفعالية مدير الجمعية محمد آل صبيح بكلمة، ومن ثم قدّم درعًا تذكاريًا بهذه المناسبة للفنانة إلهام أبو طالب، وتقاسم الحضور مشاعر الفرح والإعجاب.



المعرض الرابع.. للفنان عبد العزيز بوبي

فوزية القثمي

معارض شخصية متألقة.. من المعارض المميزة



المعرض الشخصي الرابع للفنان عبد العزيز بوبي، معرض تميز بالتلقائية الشديدة والإبداع في الطرح وفضاءات الألوان ونقائها والبعد الروحي والتعبيري في الأعمال والبساطة في الطرح مع عمق الدلالات والفكر والعمق.

وتنوعت مساحات الأعمال من لوحات جدارية إلى لوحات متعددة الأحجام والمقاسات، وأعجبُ الجميع من زوار





المعرض بالأعمال الفنية المعروضة وبتلك الدلالات والفضاءات والرموز والمساحات الشاسعة في أغلب اللوحات الجدارية؛ ما يتيح للفكر والخيال السفر في عوالم مختلفة بعيدة قد تكون ذكريات طفولة أو مراهقة أو خيال فنا

ن.المعرض كان بأتيلية جدة للفنون

٥ محرم ١٤٤٧ يوافق ٣٠ يونيو ٢٠٢٥



ما القيـــــــــمة؟



د. عصام عبدالله العسيري

أكاديمي وناقد تشكيلي ورئيس بيت الخبراء للفنون البصرية

تعتبر الفنون البصرية أحد أهم روافد الثقافة والفكر الإنساني والبناء الحضاري من أفخر المباني لأبسط تصميم لوقو. وهنا نناقش القيمة التي من خلالها تنبثق أهمية العمل الفني أو عدمه، حيث تعمل في تصوري بمثابة الروح التي تعطي قيمة الحياة في الجسد وهي أهم مكونات العمل التي يقوم على أساسها، انظر إلى روائع الأعمال الخالدة من قدم التاريخ حتى الوقت الحاضر من الطبيعة وحتى قطع الصالات والمتاحف، فاكتسبت أعمال الإنسان البدائي قيمتها في أنها كانت تسجّل وتوثّق حياة الإنسان ومخاوفه ونشاطاته وذكرياته اليومية، وتطوّرت هذه القيم وازدادت شيئًا فشيئًا حتى أصبحت تعبّر عن الإنسان وقضاياه ومفهومه للحياة ورؤيته ورسالته الفنية، كما أصبحت مؤرّخا لتطور الإنسان. انظر أيضًا إلى أعمال عظماء الفنانين إبّان الحربين العالميتين الأولى والثانية كيف كانت محمّلة بالألم والثورة ضد الحرب والقتل والدمار وتناشد الأمن والسلام.

في الحقيقة يشهد التاريخ أنّ الفن عمومًا والتشكيلي خصوصًا؛ مثل فنون الرسم والتصوير والخط والزخرفة والنحت والخزف والخشب والمعادن والنسيج وغيرها من فنون مرئية تحتفظ بها المتاحف وتعرضها صالات الفنون والبيناليهات، كبينالي جدة للفنون الإسلامية، لعبت الفنون التشكيلية دورًا مهمًا وفاعلًا في تطور البشرية من فنون العلوم والصناعات والتقنيات، وساهم بشكل كبير في تغيير الأحداث، فهو كالمرآة التي تعكس حياة الإنسان ووجوده على وجه الأرض، فكان لكل جيل بصمة على صفحات الزمان تحمل أثر القيم التي عبّر ودافع عنها فنانون آمنوا بها وناضلوا من أجلها وأصبحت رسالتهم في الحياة.

وعليه، أصبح أهم سؤال يجب على الفنان طرحه على نفسه قبل أن يبدأ في عمله الفني، ما القيمة التي أسعى وراءها ويجب عليَّ تحقيقها؟ أهي قيمة اجتماعية، فلسفية، سياسية، إنسانية، نفسية أو قيمة جمالية، فنية، إبداعية... إلخ.. من قيم معتبرة جمعيًا. هل هذا المعرض يتضمن مجموعة من القيم المتجانسة أو يركّز على قيمة واحدة ويعالجها بعمق أو بشمولية؟ بذلك تكون القيمة هي الشرارة الأولى التي تشعل طاقة الإبداع عند الفنان وعلى أساسها ينتج أعمالًا تحمل أفكارًا وصياغات وتقنيات تشكيلية تبعًا للقيمة وتخدمها ليحقق الفنان مبدأ



الوحدة مع التنوع التي يعمل من أجلها باحترافية ليؤلف بين المتناقضات في وحدة فنية واحدة. فكم فنانًا أمضى زمنا طويلًا ليحقق قيمه ومبادئه ويخدم قضيته بوسائل وطرق مختلفة، وكم من حركات وجماعات ثقافية وسياسية احتاجت لمجموعات كبيرة ومتنوعة من الفنانين ليعبّروا عن قيمهم وينشروها بأساليب بصرية متعددة ومتغايرة لضمان غرسها في الناشئة وعموم الجماهير، وذلك لوعيهم وإيمانهم بدور الفن وقدرته على التأثير في التواصل الإنساني.

إجمالًا: يبدو أن القيم هي أهم السمات التي تميّز فنًّا



د. عصام العسيري. ثلاثية تجريد هندسي مستوحاة من التراث البصري السعودي.

لوحتين ٨٥/٥٥ سم
لوحة ١/١م

أكريلك على كانفاس
إنتاج ٢٠٢٥



عن آخر سواء الإسلامي، الشرقي، الغربي أو مدرسة فنية عن أخرى أو جماعة تشكيلية عن غيرها من الجماعات الفنية التي أخذت على عاتقها معالجة قيمة ما، وهذه القيم يحتاج يلم بها كل العاملين في المجال الثقافي والإعلامي والاقتصادي؛ سيما والعالم يتقدم باقتصاديات الإبداع وينتشر بجماليات الإنتاج.



عندما يصنع الفن ذكرى وطنية

فاطمة الشريف



في مساء هادئ، برفقة أولادي الذين دومًا يشاركونني فضول الاكتشاف، تارة بشغف البحث عن الجديد، وتارة نزولاً لطلبي، وأخرى رغبة في الصحبة، رتّب القدر الجميل زيارةً إلى مرسم اختزن بين جدرانه حكايات الفن، وأسرار الحفاوة والتكريم، وبين ردهاته قصصًا لأجيالٍ لم تُحكَ بعد، ومعارض فنية لم تستعاد.

كانت الزيارة دون برنامج محدد، لكن سرعان ما مضى الوقت ممتعًا مرتبًا، حتى أصبحت زيارة بثلاث فقرات ممتعة مذهلة. استقبلنا الفنان ببشاشة وترحاب، دلفنا جميعًا إلى مجلسه الرئيس القرمزي المتواضع، الذي زُيّنت جدرانه بأعماله الطباعية، أضاء المكان بخصلات شعره الأبيض، مسترشدًا بعصاته التي أضفت عليه هيبة على هيبة. بدأ الفنان حديثه الدافئ عن نفسه مسترجعًا ذكريات ترشيحه لدراسة الفن في روما، بإشارة مهذبة وابتسامةٍ دافئة معتذرًا:

"اعذريني، فأنا لا أسمعك... فقدت السمع بسبب عملية القلب المفتوح".

جاءت العبارة كافية لتفتح لي أبوابًا من التأمل لرجلٍ ملأت لوحاته تجسيدًا لونيًا لمآسي الفقر والبؤس، وغوصًا ماهرًا في عوالم المهمشين واللا منتمين، وتصويرًا بديعًا للمشاعر والأحاسيس الإنسانية. حديثه وصوته، تركا في ذهني ذكرى لا تُمحى، ومما زاد من دهشة قصته كيف أن القدر اختاره للفن التشكيلي، رغم أنه كان في بداياته مشروعًا موسيقيًا يعزف على الكمان والتشيللو، وكان يرافق رواد الطرب مثل محمد عبده، وطلال مداح، وطارق عبد الحكيم... كانت قصة ابتعاثه إلى روما لدراسة الفن التشكيلي، بقرار مباشر من وزارة المعارف آنذاك، تجسيدًا لإيمانها بموهبته ورؤيته الفنية، ومنحة كريمة لصقل مهاراته في قلب عاصمة الفن الأوروبي.





إنها قصة عطاء وطني نبيل، تلتها قصة وفاء وعرفان خالص منه.

لم تمضِ دقائق حتى انساب الحديث بهدوء عن مشروعه الكبير في توثيق التشكيل السعودي، وعن كتبه السبعة المنشورة التي ألّفها بجهد ذاتي، هي: التشكيليون السعوديون، وفن في نصف قرن، وذاكرة على السطح، وإضاءة للذكرى، وماذا؟ ولماذا؟، وإبداع لا ينضب، وحكاية أجيال، إضافة إلى كتابه الموسوعي الثامن، مع ما كتبه ونشره فيما يقارب من 400 مقالة عن الفن السعودي، ولا يزال قلمه يفيض اجتهادًا ومواكبةً ورصدًا لمسيرة التشكيل السعودي منذ أكثر من نصف قرن، متحررًا في أسلوبه من نمطية السرد التاريخي والنقد الفني، مكتفيًا بما اختزنته ذاكرته، وما جمعه في جعبته من معلومات ومفاهيم عن الفن السعودي. تارةً يوثق مسيرة الفنانين والفنانات عبر الكتب، وتارةً يكتب في الصحف ناقدًا ومحذرًا من زيف الشهرة وبريق التلميع الأخرق. وله زاوية ثابتة في مجلة "فرقد الإبداعية" بعنوان "ولي رأي،" يحذر فيها من سقطات الفن الزائف ومتاهاته.

إنه كاتب تشكيلي وفنان مبدع بدأت مسيرته الفنية في المعرض الدولي لمنظمة اليونسكو في روما Apello 70 في عام 1968؛ لتتوالى مشاركته في أكثر من 813 معرضًا وفعاليات أخرى متعددة، و25 معرضًا شخصيًا محليًا وعالميًا، إضافةً لعدد من الأوسمة والجوائز الدولية مثل: جائزة منيرفا الإيطالية، والجائزة الأولى في بينالي البحر في روما.

عصفت بي ذاكرةُ الأيام في مجلسٍ تتوسطه طاولةٌ عليها عصيرُ الرمان، لتعيدني إلى ضيافة بنجابي رحمه الله تعالى، وعصير التوت الذي قدّمه لي حين دعاني إلى مرسمه في جدة التاريخية، خلال أيام المعرض الأول لمبادرة فكر وفن ونشر، لم يكن لقاءً عابرًا بل لقاء أجيال، إنها لقاءات جمعت بين رؤى تشكيلية احترافية، وشغف عميق، وبحثٍ دؤوب في جماليات اللون، بل كانت تقاطعًا حاذقًا بين رؤيتين: إحداهما غارقة في التوثيق، والتجربة التشكيلية، والإبداع الفني؛ والأخرى تنقّب عن الفن بمعيارٍ نقدي عالمي يتجاوز حدود الإعجاب والانبهار، ويتخطى الزمان والمكان.

وما هي إلا لحظات حتى أدار المضيف دفة الجلسة بحفاوة تنمّ عن ذوقه الرفيع وكرمه السخي، ليحتفي بضيوفه بتقديم مجموعة من مؤلفاته، ولوحتين حديثتين تحملان توقيعه وأسلوبه التشكيلي المتفرّد، واختتم ذلك بإهداء صندوقين نسخًا من كتابه (ذكرى التسعين) إهداء لفناني وفنانات الطائف، في لفتة تجسّد امتزاج الذكرى بالإنجاز، والاحتفاء بالتجربة الثقافية التشكيلية المميزة.

في تلك اللحظة، جاء قرار دخولي إلى مرسمه الصغير مرحبًا به، ذلك المرسم الكبير في معانيه وذاكرته وألوانه، إنه بمثابة عبور إلى عالم موازٍ، حيث تتراكم الألوان على لوحات جديدة لمعرض قادم، باستخدام عدد قليل من أنابيب الألوان الزيتية، ومجموعة من السكاكين، وعلبة من الزيت، مع مصباح إضاءة، لتدرك للوهلة الأولى أنه فنان كلاسيكي من الدرجة الأولى، له تجربة فنية باتت مع السنين تقنية خاصة به، يتقن أبعادها وطرقها، عبثًا أن تسأله أو تحاكي أسلوبه، إنها تقنية العقود وأسلوب الرواد، أما جدران المرسم الصغير الكبير أمست سديمًا دريًا حافلًا بالشهادات، والدروع، والأوسمة، وبعضًا من اللوحات المهداة إليه، مرسم دافئ بوحه، عميق رمزه، تعجز الكلمات عن وصفه.

لم تكن زيارة عابرة، بل كانت احتفاءً منظمًا صنعه ذوقه الرفيع وكرمه السخي، ومجلسًا تربويًا أسعد أولادي، وحفر في ذاكرتهم قصة فنانٍ موسوعيّ، يحمل في ريشته ذاكرة فن للوطن، وفي ملامحه صمتٌ عميق يُجيد الكلام... ويجيد الحكاية بالألوان، ومضيفٌ طائيٌّ سخيّ.

الفقرة الثالثة من البرنامج بدأت عند عودتي إلى المنزل؛ حين جلست بمفردي أتصفح الكتب المُهداة، أقرأ في صفحاتها، مسترجعة صوته وحديثه، لأقف على نتاج فكري لشخصية حرّكها إيمانٌ عميق برسالة الفن ودوره في الذات والمجتمع، مشمرًا عن ساعديه بناء ذاكرة بصرية متفرّدة لتشكيل هذا الوطن.

أما مؤلفه الثامن: "ذكرى التسعين" فهو مشروع توثيق رصين، لا أظن أن له نظيراً في مجاله في هذه الفترة، يؤكد الفنان أحمد فلمبان عنه قائلًا: "قد يظن البعض ممن لم يطالع كتاب "ذكرى التسعين" أنه مجرد تكرار للأسماء الواردة في كتب سابقة، أو تجميع لما جاء في "حكاية أجيال" و"إبداع لا ينضب"، لكنه في حقيقته عمل منهجي دقيق، ورؤية تصحيحية شجاعة في تاريخ الفن التشكيلي السعودي".

مشيرًا إلى أن "هذا الكتاب لا يكتفي بسرد الأسماء، بل يسعى إلى توضيح البيانات والمعلومات التي أسقطتها كثير من المصادر والمقالات والكتب السابقة، تلك التي تجاهلت -عمدًا أو سهوًا- نصف قرن من تاريخ هذا الفن. لقد أغفلت تلك المصادر البدايات الحقيقية، وتغافلت عن الأسماء التي شكّلت النواة الأولى للممارسة التشكيلية في المملكة، رغم أنها تمثّل أقدم الإشارات الموثقة لظهور هذا الفن في السعودية".

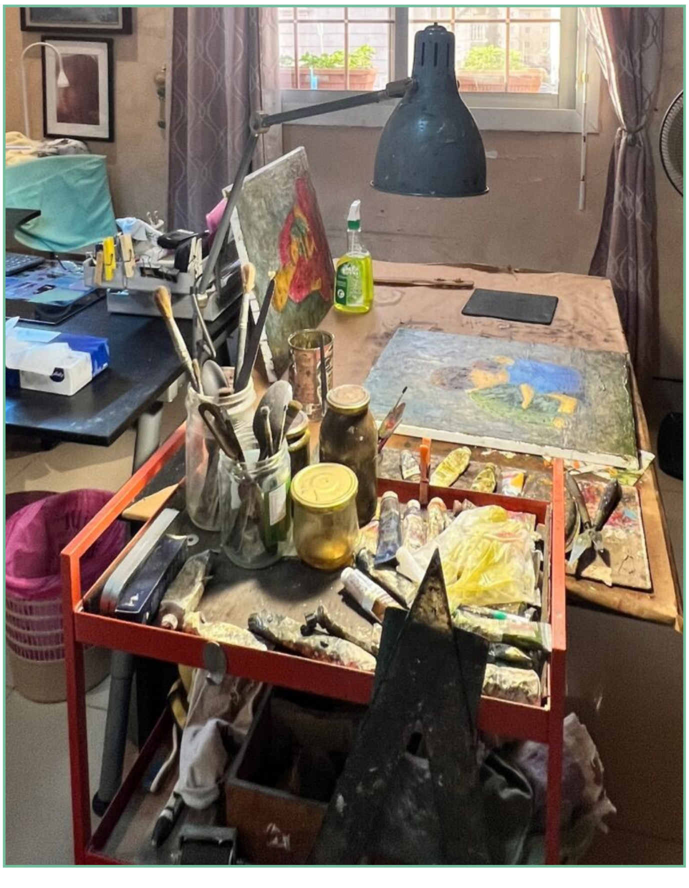
ممتدحًا الكتاب قائلًا "إن كتاب "ذكرى التسعين" جاء ليعيد الاعتبار، ويضيء الظلال التي حجبت جهد الرواد، فكان بمثابة شهادة للتاريخ، وإنصافًا لفرسان التشكيل السعودي، أولئك الذين حملوا الريشة حين لم تكن هناك قاعات عرض، ولا نقد فني، ولا دعم مؤسسي، بل كانوا وحدهم يزرعون البدايات في أرض لم تُمهَّد بعد".

يقع الكتاب في 787 صفحة، ويتضمن مفارقات متعددة لا يسع المجال لسردها هنا، مقارنةً بفكرة موسوعة Marquis Who's Who الأمريكية، التي تعتمد في جمع بياناتها على استبيانات يملؤها الأفراد بأنفسهم. وتُعد هذه الموسوعة مرجعًا معتمدًا للتعريف بالشخصيات المؤثرة في المجتمعين الأمريكي والعالمي، وتُستخدم على نطاق واسع في المكتبات، والجامعات، والمؤسسات الأكاديمية، والشركات.

جاءت الصفحات الأولى من كتاب فلمبان مدخلًا أساسيًا في تاريخ الفن التشكيلي السعودي، مع التركيز على الحراك الفني في المملكة العربية السعودية، من خلال استعراض قنواته المتعددة، وأبرز المعارض، والمراسم، والملتقيات، والمساهمات الفنية، إلى جانب صالات العرض، والأساليب الفنية، ومسارات تطور الفن التشكيلي السعودي. تلا ذلك قسم مخصص لـ "فرسان الفن التشكيلي"، وهم الفنانون والفنانات الذين تعاونوا مع فلمبان في توثيق وتدوين سيرهم الذاتية. وقد اختتم الكتاب بقائمة تضم نحو ثمانية عشر ألف فنان وفنانة من السعودية ممن مارسوا الفن التشكيلي بالمملكة، وذلك احتفاءً بمرور تسعين عامًا على بدء الحركة التشكيلية السعودية.

يُقرأ الكتاب مسحًا سريعًا إذا كنت تبحث عن قاعدة بيانات شاملة مكتوبة ويمكن أن تؤرشف رقمياً، وتستكمل من البقية المتبقية من من لم يحالفه الحظ في التدوين في قائمة فرسان التشكيل السعودي، ويُقرأ كوثيقة رصينة تختصر كتابة تاريخ الفن التشكيلي السعودي منذ بداياته، كما يحتوي على ملخصات للسير الذاتية لفنانين وفنانات المملكة كتبت بأقلامهم، ويُتصفح كألبوم صور للوحات الفن التشكيلي السعودي. إنه كتاب يرضي جميع الأذواق الأدبية والفنية.

وما يجدر الإشارة إليه، أن قاعدة البيانات الواردة في الكتاب تُعد آلية واعدة لتوثيق الفنانين والفنانات، حيث يمكن الاستفادة من الرقم التسلسلي المخصص لكل فنان كمدخل لتوثيق أعمالهم، في حال تم اعتماد هذه الآلية من الجهات الثقافية والفنية المختصة. إذ يُمكن النظر إلى هذا الرقم بوصفه عنصرًا تنظيميًا أساسًا في بناء نظام وطني لتوثيق النتاج التشكيلي في المملكة. كما تمثل قاعدة البيانات هذه فرصة سانحة لتصنيف مؤلفات تشكيلية مستقبلية تُسهم في تأصيل بعض الاتجاهات والأساليب الفنية، وربطها بمنظومات إنتاجها





وسياقاتها الزمنية. الكتاب، في مجمله، يُعد جهدًا توثيقيًا مميزًا ومفيدًا على أكثر من مستوى، سواء من حيث رصده التاريخي، أو توثيقه الواسع للحركة التشكيلية السعودية، أو ما يفتحه من آفاق للبحث والدراسة والتصنيف الأكاديمي.

كتاب حلّق في سماء الإبداع والتأليف متحديًا الذات، والأقران، وروح العصر. تجلّت في أقسامه عناصر الأصالة والدقة، متجاوزًا الكثير من انزلاقات التأليف التاريخي. ليس هذا فحسب، بل عزز أيضًا مفاهيم مجتمعية غائبة، وقيمًا نادرة مثل التعاون، والعرض الموجز الممتع لتجارب فرسان التشكيل السعودي، والتميز في مجال التأليف التاريخي الذي يستند إلى التنافس، والإنتاجية، والرعاية الحميدة.

فلمبان فنان يرى نفسه بكل تواضع رسّامًا، لا ينساق خلف المصطلحات الرائجة التي تُضخّم من شأن الفن وأهله. مع ذلك، وفق أبسط معايير الإبداع، هو فنان مبدع يحمل هويةً واضحة، ورؤيةً صادقة، ورسالةً ذات هدف. إنه فنان يغرق في الفكرة فلسفيًا وواقعيًا ووجدانيًا على متكأ رصين من الأسلوب والتقنية لا يجرؤ أن ينازعه فيهما أحد. ويؤكد على أن يكون هذا الكتاب، إلى جانب كتبه السابقة، قد حقق الفائدة المرجوّة، ولبّى الغرض من تأليفه ونشره. قائلًا:

"لقد بذلت فيه جهدًا خالصًا، تقديرًا لحراك الفن التشكيلي السعودي الذي عاصرته لأكثر من نصف قرن. ولست مؤرخًا، ولا ناقدًا، ولا كاتبًا محترفًا، وإنما مهتمّ شغوف يحمل في جعبته ما يستحق أن يُكتب ويُوثَّق من مواضيع تخص التشكيل السعودي، تصحيحًا لبعض المفاهيم، وتوضيحًا لما التبس، وتثبيتًا لما يستحق البقاء. إن اهتمامي بسرد أسماء "فرسان التشكيل السعودي" نابع من رغبة عميقة في التعريف بهم، وتوثيق مسيرتهم، وحفظ سيرهم من التلاشي تحت وطأة زحام العصر وغياب التوثيق المؤسسي والمعايير الرسمية.

فكثير من الأسماء التي وردت في هذا الكتاب، كما في كتبي السابقة، لا يعرفهم الناس اليوم، وربما لن يعرفهم أحد غدًا، وسيطويهم النسيان إن لم نحفظ ذكراهم الآن، لأن التاريخ لا يُكتب وحده، ولا يحتفظ إلا بما يُدوَّن. وهذه الكتب، على تواضعها، ما هي إلا محاولات واجتهادات شخصية، مموّلة من مالي الخاص، وبدعم كريم ورعاية مشكورة من الصديق العزيز الدكتور عبد الله دحلان، فلعلها تجد مكانها في الذاكرة، وتؤدي رسالتها في الزمن".

سيرة فلمبان وإنجازاته تتجاوز حدود المقال، وحواراته الهادفة تثري الفكر وتتحدى القلم. إنه قامة تشكيلية تستحق التخليد في كتاب من ضياء، ومؤلفاته مساهمة جديرة بالتقدير. بل إنها فرصة لأرباب القلم لتوثيق الحركة التشكيلية السعودية، مسلطين الضوء على حراكها، جديدها، ومميزاتها الفريدة.

عليه، ففي هذا المقال المتواضع، يوجه فنانو وفنانات المملكة الثمانية عشر ألفًا، الذين أحصاهم كتاب (ذكرى التسعين)، أسمى آيات الشكر والامتنان للفنان أحمد فلمبان، والجهة الراعية جامعة جدة للأعمال والتكنولوجيا، بقيادة القائد في توثيق الفن التشكيلي، الدكتور عبدالله بن صادق دحلان.

صور الزيارة بعدستنا...



الفنانة نبيلة البسام.. شاعرية اللون

عبدالعظيم محمد الضامن

قال بيكاسو ما معناه: (أنا لا أبحث عن عن شيء بعينه على أنه مخبوء، بل أجد ما أحتفظ به، بعد أن أتوصل إليه أثناء العمل نفسه).

الفن هو المشي في الاتجاه المعاكس، وهو القراءة بالمقلوب.

نبيلة البسام..

تطرز العمارة بخيوط الفضة..

مساحات البيضاء مطرزة بالأقمشة الملونة والفضيات الدالة على شاعرية بصرية رمزية، اتخذت من الجدران وعوالمها مساحة للتعبير عن هويتها، ففاضت بشاعريتها تجاه اللون والعمارة والملابس الشعبية التي هي جزء مهم من الهوية الوطنية.

كل هذه المكونات المعمارية في وطننا المملكة العربية السعودية المليئة بالجمال وكل تلك الألوان في الأقمشة والسجاد والأبنية، ما هي إلا انعكاسات طبيعية تولدت لدى الفنانة نبيلة البسام منذ طفولتها حينما كانت في الهند حيث ولدت هناك وتلقت تعليمها حتى الثانوية، وهي في هذه الفترة تعيش وسط الألوان المتعددة البراقة التي تخطف العين.

كبرت وباتت تتنقل من مكان إلى آخر وما زالت تلك الأقمشة الملونة تحملها في ذاكرتها، وتنتعش بجمالها وحيويتها، وحينما عادت لأرض الوطن افتتنت بطبيعتها ومبانيها التراثية وحدائقها، فبدأت قصتها مع اللوحة بشغف الألوان، بدأت تطرز المباني بحس تجريدي، وهي التي شاهدت أعمال كبار الفنانين في العالم في طفولتها وشبابها، حينما تنقلت من الهند إلى لبنان وإلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبهذا أصبحت تعي جيدًا أصول الفن وأسراره، حيث إن (أحد الدوافع الأساسية في الفنون جميعًا هو التعبير عن النفس)، والفنانة نبيلة البسام كانت زاهدة في اللون تعبيرًا عن شغفها وحبها للمكان، بتجريدية وابتكار يحسب لها في ذلك الوقت مع بدايات الستينيات الميلادية في توظيفها للأقمشة الملونة والفضيات التي لها قيمة تراثية في مفهوم الرمزية المكانية، وهي ترتبط بتراث المملكة بكل تفاصيله المعمارية، خصوصًا العمارة في جنوب المملكة الملونة والمزخرفة.

لقد (أوجدت الطبيعة أشكال أفضيتها المعمارية في نسيج متآلف من التمثلات والتقاطات، تبعًا لنواميسها وقوانينها المرافقة للزمن، وجد الإنسان نفسه إزاءها تلك الأفضية، تبناها بالعمل عليها، فأنتج فضاءاته تبعًا للحاجة وإملاءات الطبيعة، وتبعًا لما يبني معهما من علاقات تبادلية، فاستنتج أرضية شكلت ملامح إبداعاته، بناءات احترمت تفاصيل الحياة، راعت تقلب الفصول واستوعبت دورات التاريخ، ما زلنا نصغي فيها إلى نبض الأولين.

أفضية أدركت بفطرتها وطيد علاقتها بالأرض والبيئة، عمارة محلية علها الاسم الآخر لهذا التوافق الفطري بين الموجود مواد، والمنشود عمائر، لتكتب عنوان رسوخها على محمل بناءاتها، وتوثق في السجل الحضاري العالمي حضورها تفردًا وفرادة مبنى ومجتمعًا).

د. زينب قندوز غربال.

في مثل هذا المسار الفني يتوجب علينا البحث في هذه التجربة وتلك، عن أسباب التجريب التشكيلي في صيغه المختلفة، وتجربة الفنانة نبيلة ثرية وغنية بما يحرضنا على البحث في أسباب العلاقة بين المادي والفكري والجمالي في صياغة العمل التشكيلي، ولعلي هنا أعول على الفترة الأولى من حياتها في الهند، التي ألقت بظلالك على المفهوم الفلسفي للفن، والتأمل هو جزء من الحياة العامة في الهند، لذا لم يكن الفن لديها ممكنًا دون تجريب في عدد من الخامات، وباستخدام الأقمشة الملونة، وتطريزها بالفضيات كان فضاءً خصبًا للإبداع، فاستطاعت أن توجد لنفسها مساحة للتعبير عن ذاتها وشخصيتها الساكنة الهادئة، التي استطاعت عبر سنين أن تترجم حبها للعمارة من خلال هذا الأسلوب التجريدي التي تنتمي إليه حتى تجعل من معالجة الموضوعات ذات طابع خاص بها دون غيرها.

والحديث عن العمارة واللون هواجس كثيرة ألهمت الفنانين والمعماريين، (إن العمارة بشكل عام تحقق أغراضًا نفعية

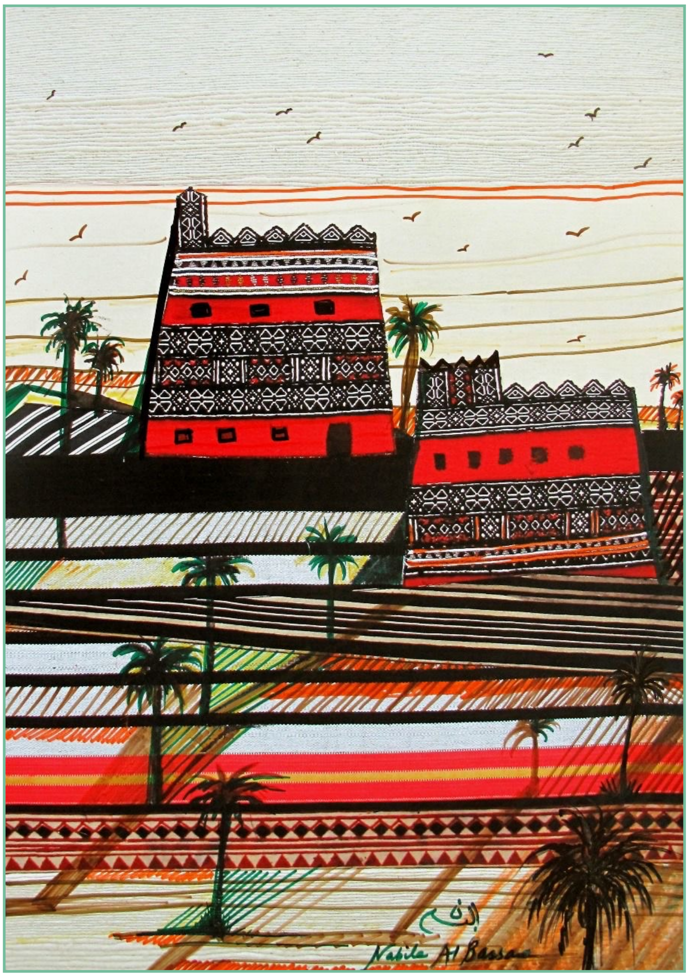
لاحتوائها الفضاء اللازم لمأوانا لأنها توجد أطرًا تحيط بحياتنا الخاصة والعامة.

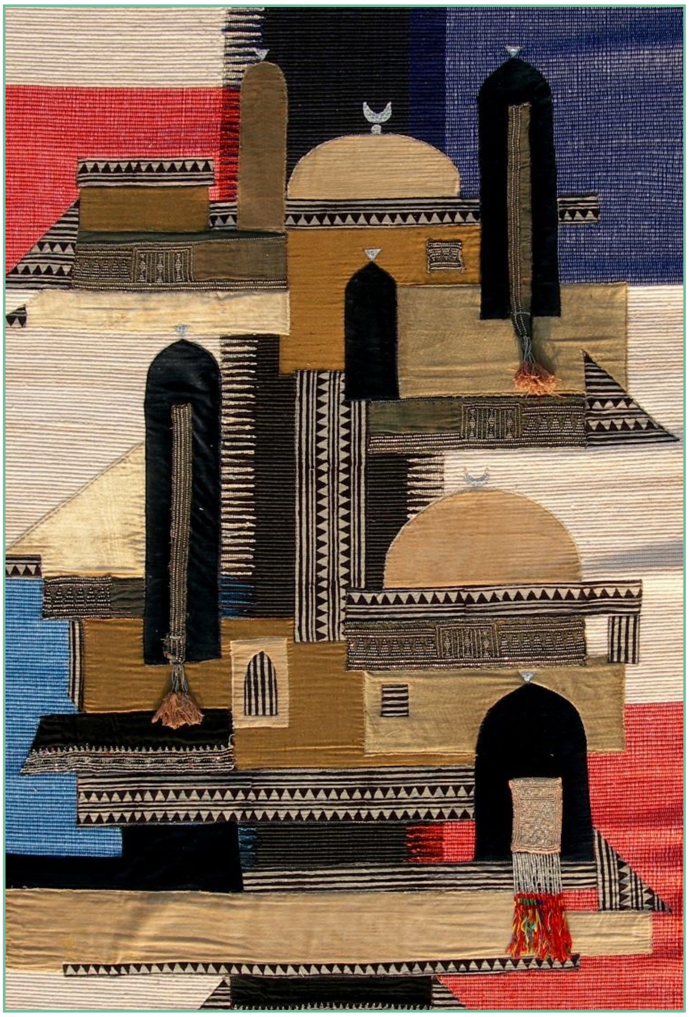
وهذا لا يخرجنا من نطاق الفن وأسس الجمال، فهي تحقق الجانب الجمالي إلى جوار الجانب النفيعي، تمامًا كما في ملابسنا التي نرتديها كي تستر أجسادنا وتحافظ عليها، وفي الوقت نفسه تمتاز بجمال اللون وحسن الإخراج الفني، فالعمارة عمل فني شأنه شأن الشعر والتصوير الموسيقى والنحت، ولقد صنفت العمارة ضمن الفنون التشكيلية منذ أزمنة بعيدة لاهتمامها بالجمال.

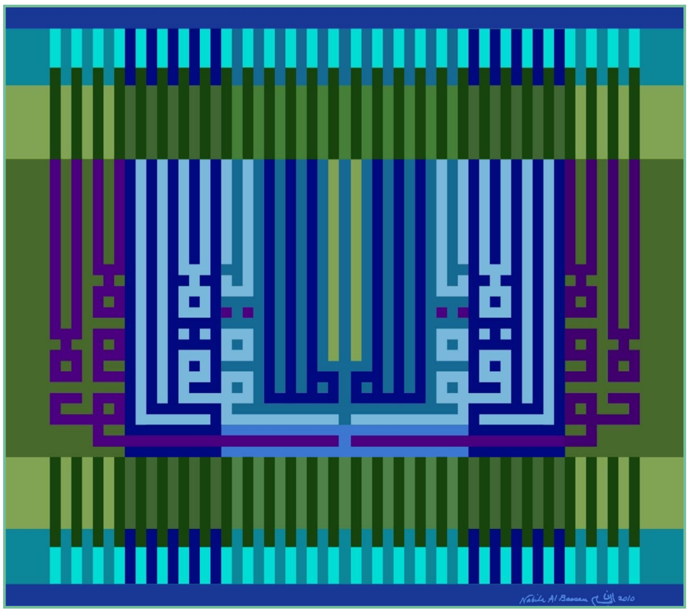
ولكي تتصنف العمارة بالجمال لا بد أن تكون مرآة صادقة تعبر عن الغرض الذي أنشئت من أجله).

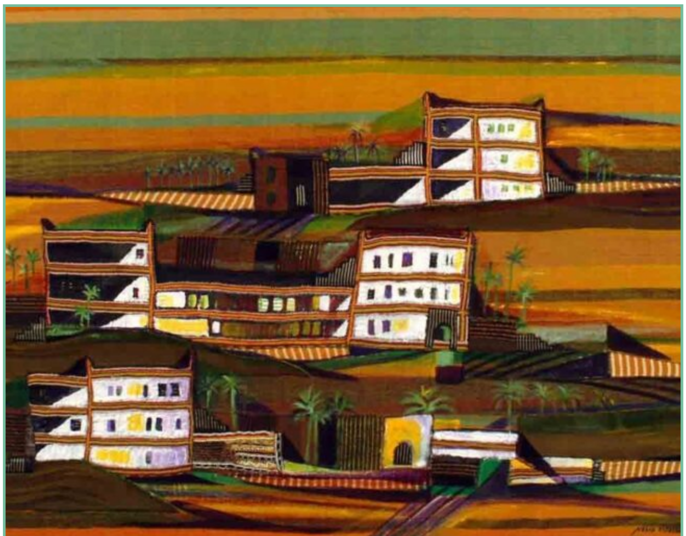
د. علي عبدالله مرزوق

فن زخرفة العمارة التقليدية بعسير.









01 Abha Landscape Size 139.5 X 90 cms Year 1999

بين الضوء والحرف

البَيْضاءُ هذا الصَّباح



الحسَن الكَامح

شاعر من المغرب

هُنَاكَ فِي بُقْعَةِ ضَوْءٍ
تُرَافِقُ فِي هُدُوءٍ ظِلَّيْنِ
تَرْتَدِي السَّوَادَ
وَتَمْضِي
حَيْثُ السَّنَا يُنَادِي عَلَى السَّنَاءْ
وَالظِّلَّانِ جَنْبَهَا
يَشُقَّانِ الْمَدَى كَأَنَّ الْمَسَاءَ يُظَلِّلُهُمَا
وَيَمْضِيَانِ حَيْثُ السَّبِيلُ يُعَانِقُ الْوَفَاءْ
وَهِيَ تَمْضِي
تَتْرُكُ خَلْفَهَا ظُلْمَةً لَا تَنْتَهِي
وَأَدْرَاجًا عَلَى الْيَمِينِ
تَصْعَدُ الرُّوحُ إِلَى السَّمَاءْ
يَا أُمَّ الظِّلَّيْنِ تَرَيَّثِي قَلِيلًا
مِنْ تَعَبِ الْوَقْتِ
فَالذَّاتُ حِينَ تَتْعَبُ
تَبْحَثُ عَنْ فُسْحَةٍ فِي النَّقَاءْ
لَعَلَّهَا تَنْسَى تَعَبَ اللَّيَالِي
وَكَدَّ السَّاعَاتِ الطِّوَالِ
خَلْفَ ضَوْءٍ، سَيُشْرِقُ
بَيْنَ الْفِجَاجِ لِيُنْسِيَهَا ظُلْمَةَ الْجَفَاءْ
يَا أُمَّ الظِّلَّيْنِ تَرَيَّثِي قَلِيلًا
اسْتَنْشِقِي مَا يَحْلُو لَكِ مِنْ هَوَاءٍ
نَقِيٍّ قَلِيلًا
افْتَحِي فُسْحَةً مِنَ الضَّوْءِ
عَسَانَا نَرَاكِ كَمَا أَنْتِ وَاثِقَةَ الْخُطَى
تَمْضِينَ تَجُرِّينَ خَلْفَكِ الدُّنَى فِي حَيَاءْ...



لوحة الفنان الفوتوغرافي حسن الصياد من المغرب

الفنانة نبيلة البسام.. شاعرية اللون

عبدالعظيم محمد الضامن



في قلب التحولات المجتمعية والثقافية والسياسية، برزت الفنون التشكيلية كمرآة ناطقة تعبّر عن الواقع وتعيد تشكيله برؤية جمالية عميقة، لا تقتصر على المتعة البصرية فحسب، بل تمتد إلى طرح الأسئلة، وإثارة الوعي، ومناصرة القضايا الإنسانية. لقد أدرك الفنان التشكيلي المعاصر أن لوحته لم تعد مجرد مساحة لعرض المهارة أو التعبير الذاتي، بل أصبحت منبرًا صامتًا يصرخ باللون والفرشاة بما يعجز عنه الكلام.

فاتجه الفن التشكيلي الحديث إلى مواكبة قضايا المجتمع، فحمل الفنان فرشاته كما يحمل الكاتب قلمه، وغمسها في ألوان الألم والأمل والتمرد والتغيير. فبدلًا من الاكتفاء بجماليات الشكل، غاص الفن في عمق الواقع، وأصبح الفن التشكيلي شاهدًا على العصر، مسجّلًا بالصورة واللون أوجاع الناس وأحلامهم.

استخدم الفنانون التشكيليون اللون كرمز، والفرشاة كوسيلة لكسر الصمت. فاللون الأحمر لم يعد فقط لونًا جماليًا يعبر عن الحب أو الرومانسية، بل صار دلالة على الدم، الثورة، أو الخطر.

أما اللون الأبيض لم يعد مقتصرًا فقط على رمزيته التقليدية المرتبطة بـالسلام، والنقاء، والطهر، بل اتسعت دلالاته لتشمل معاني أكثر عمقًا وتركيبًا، تتغير بحسب السياق، والأسلوب، والموضوع الذي يتناوله الفنان.

ومن أبرز الرموز التي قد يعبّر عنها اللون الأبيض في الفن التشكيلي المعاصر أنه يرمز إلى الفراغ أو الصمت الداخلي.

وقد يستخدم بعض الفنانين اللون الأبيض كوسيلة لإخفاء الماضي أو طمس جزء من الحقيقة، كأن البياض يغطي ما لا يمكن تحمّله أو قوله. ففي بعض اللوحات، يُغطّى الوجه أو نص الوجه، دلالةً على الرقابة أو النسيان المتعمّد.

ويرمز الأبيض أحيانًا إلى البداية الجديدة، أو إمكانية التشكل. كأن الفنان يقول: "كل شيء ممكن"، تمامًا كما الورقة البيضاء التي لم تُمسّ بعد.

ونجده في بعض الأعمال التجريدية أو المفاهيمية للدلالة على الحياد الزمني والمكاني، حيث لا ملامح للوقت، ولا حدود للمكان. هو مساحة حرّة من كل قيد.

من أبرز النماذج العالمية التي وظفت الفن التشكيلي لخدمة القضايا المعاصرة:

– بابلو بيكاسو في لوحته الشهيرة جرنيكا، التي صوّر فيها رعب الحرب والدمار خلال الحرب الأهلية الإسبانية، فصارت رمزًا عالميًا لمناهضة العنف.



ومن النماذج العربية:

في العالم العربي، استخدم الفنانون التشكيليون أدواتهم لطرح هموم أوطانهم:

فنجد حضور المرأة الفلسطينية في المشهد البصري محورًا مركزيًا

يعكس الأبعاد المتشابكة بين الأرض، والانتماء، والمقاومة في لوحات الفنان الفلسطيني سليمان منصور، الذي عبر من خلال أعماله البصرية سردية تشكيلية تجسد المقاومة، تمحورت حول المرأة كأيقونة نضال ورمز ثقافي وامتداد روحي للأرض.

فأصبحت المرأة في أعمال منصور أكثر من مجرّد حضور بصري؛ إنها اختزال سردي لفلسطين ذاتها، حاملةً دلالات الأرض والهوية والتجذر والصمود.

تمام الأكحل وإسماعيل شموط الفلسطينيان، صوّرا معاناة النكبة واللجوء والحنين بأسلوب واقعي مليء بالعاطفة والانتماء.





وفي قلب اللوحة السعودية، ينبض وجدان الوطن، وتنطق الألوان بحكايا الأرض والناس، حيثُ لا تكتفي الريشة بالتزيين، بل تُمارس دورها كمرآة عميقة تعكس نبض الثقافة، وشجن التاريخ، وروح الإنسان.

فالفن التشكيلي السعودي لم يكن يومًا معزولًا عن بيئته، بل كان ابنها البارّ، المتجذّر في ترابها، والمحلّق في سمائها. من التراث الوطني استقى الفنانون ملامح هويتهم، فصوّروا الأزياء التقليدية ببهائها، والحرف اليدوية بنبض أناملها، والرقصات الشعبية بإيقاعها، فجعلوا من التاريخ لحظةً حيّة، ومن المناسبات الوطنية طيفًا دائم الحضور في لوحاتهم، يشهد على الاعتزاز بالانتماء.

أما الحياة اليومية، فقد تسللت بخفّتها إلى أعمالهم، فوثّقوا نبض الأسواق، وصوت الباعة في الحارات القديمة، وأفراح البيوت الطينية في القرى، وحتى صخب المدن الحديثة. بهذا التنوع البصري، عكست الريشة تفاصيل المجتمع السعودي بثرائه وتحولاته.

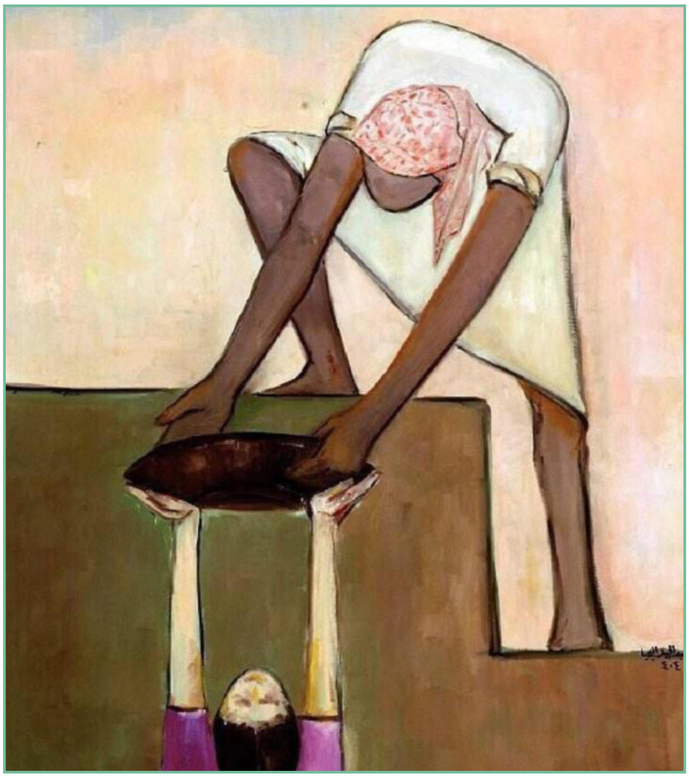
ونجد للطبيعة مكانتها الواضحة، إذ لا يُمكن للفنان أن يغضّ الطرف عن جمال البيئة السعودية، فتراهم يرسمون سكون الصحارى وامتدادها الذهبي، وانحناءات الجبال وهي تطل على الماضي من ثقوب المستقبل، ورسموا الوديان وقد نحتها الزمن، والسواحل التي تحتضن الشمس آخر النهار. كانت الطبيعة موضوعًا وملهمًا، وفيها سكن التأمل والانبهار معًا.

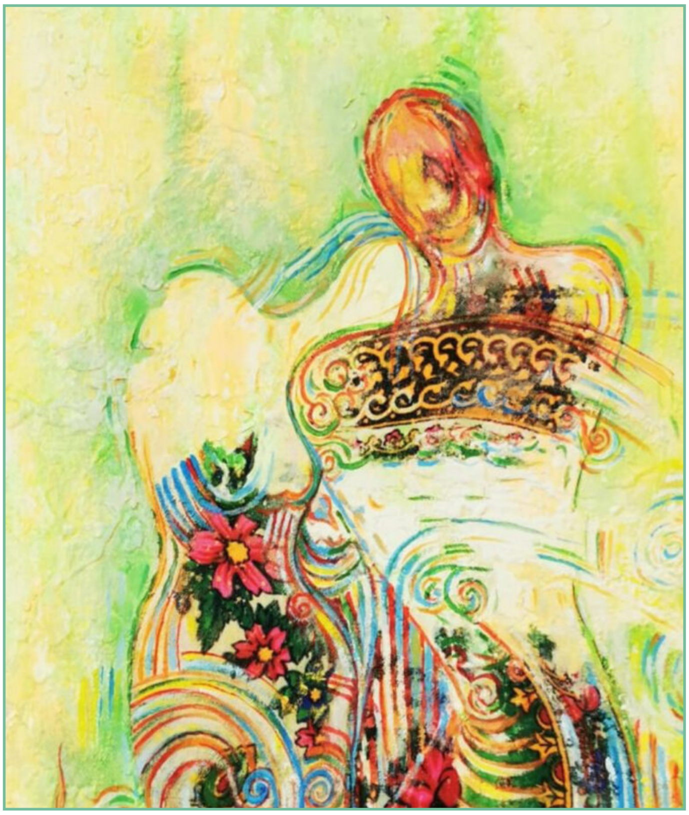
ولأن الإيمان جزء لا ينفصل عن روح الإنسان السعودي، تجلّت الرموز الدينية بوقارها في أعمالهم فقد أبدعوا في رسم الكعبة المشرفة والمسجد النبوي، وبرعوا في كتابة الآيات والخطوط التي تنطق روحانية، متجاوزة الشكل إلى المعنى، حيث تُضاء اللوحات بنور العقيدة وسموّ الروح.

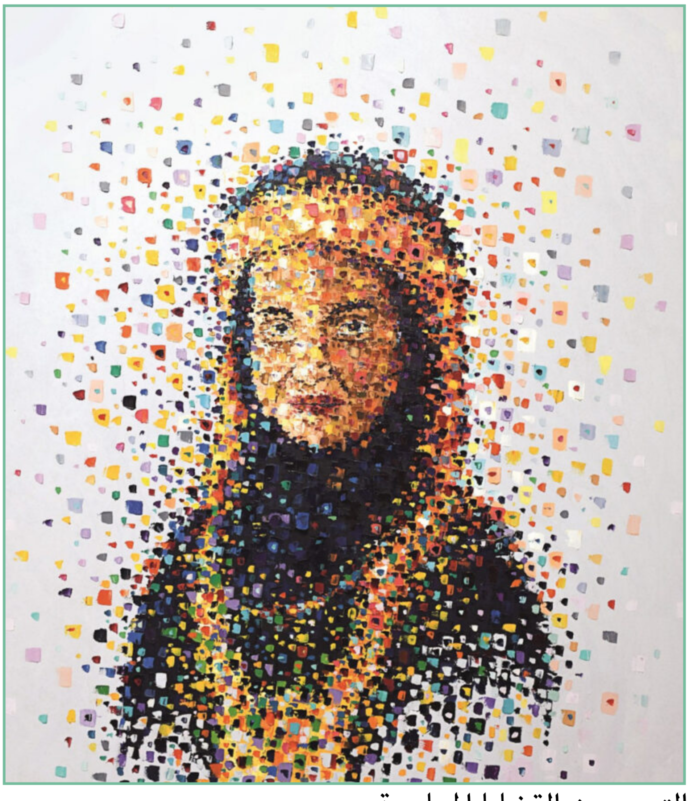
ولم يغفل الفنانون عن تحوّلات الزمن، بل تناولوا عبر أعمالهم قضايا معاصرة: المرأة السعودية بطموحها، الشباب بتطلعاتهم، الرياضة كرمز للحراك، والأحداث الجارية كتعبير عن وعي فني متفاعل مع المتغيرات.

من أبرز الفنانين السعوديين الذين وظفوا الريشة واللون في التعبير عن قضاياهم المجتمعية المعاصرة، عبدالحليم رضوي، صفية بن زقر، عبد الجبار اليحيى، أحمد فلمبان، منى القصبي، أحمد ماطر، إبراهيم الألمعي، محمد شراحيلي، مها الملوح، زهير طوله، سعيد العلاوي، صالح النقيدان، ريم الفيصل، سعد العبيد، فاطمة النمر، منال الرويشد، يوسف جاها، زمان جاسم، فؤاد مغربل، فهد النعيمة، عبدالعظيم الضامن.

والكثير من الفنانين والفنانات الذين كان لهم دور كبير في









التعبير عن القضايا المعاصرة.

إن الفنون التشكيلية ليست ترفًا، بل ضرورة إنسانية وثقافية تعبّر عن نبض الشعوب وتوثّق ذاكرة المجتمعات. وفي زمنٍ تتسارع فيه الأحداث، تبقى الفرشاة واللون وسيلتين نابضتين بالحياة، قادرَتين على صناعة التأثير، وفتح أبواب الأسئلة، وزرع بذور الوعي والتغيير. فالفنان التشكيلي اليوم ليس مجرد صانع جمال، بل حامل لقضية وهموم المجتمع.

أدبُ الطفل

أدب الطفل.. بين فرض التسويق ونبض التشويق



إعداد: حصة بنت عبد العزيز

كاتبة من السعودية

يشكّل أدب الطفل ركيزة أساسية في بناء الإنسان منذ سنواته الأولى، فهو الوسيلة التي يُعبّر من خلالها الطفل عن عالمه الداخلي، ويتلقى منها القيم، والمعرفة، والخيال، والمتعة. غير أن صناعة كتاب الطفل العربي تعيش اليوم حالة من التحدي المستمر بين الحفاظ على القيمة الفنية والمعنى الإنساني للنص، وبين متطلبات النشر والتسويق التي تحكمها اعتبارات السوق وتوجهات التكنولوجيا الحديثة. وفي ظلّ هذا التحوّل السريع في أدوات التلقي وأساليب النشر، بات لزامًا على الكاتب والناشر والمربي أن يعيدوا التفكير في الكيفية التي يُصاغ بها أدب الطفل، لضمان وصوله إلى عقل الطفل وقلبه في آنٍ واحد، دون التفريط بالهوية أو الرسالة.

نسلّط الضوء على رؤى متنوّعة لعدد من الكتّاب والناشرين والخبراء التربويين في العالم العربي، حول محورين رئيسين:

- كيف يمكن تحقيق التوازن بين القيمة الفنية والمعنى الإنساني للنص في أدب الطفل، ومتطلبات النشر بما يضمن وصول الكتاب للطفل بجاذبية وجودة في آنٍ واحد؟

- ما أبرز التحديات التي تواجه الكاتب والناشر في صناعة كتاب للطفل يحقق التشويق والمعنى معًا؟ وكيف يمكن تطوير صناعة كتاب الطفل العربي لتحقيق هذا الهدف برؤية مستقبلية؟

في هذا التقرير، تفتح مجلة "فرقد الإبداعية" نافذة حوار مع كتّاب وناشرين ومختصين في أدب الطفل، لاستكشاف رؤاهم وتجاربهم حول تحدٍّ مستمر: التوازن بين ضرورات التسويق ونبض التشويق في صناعة كتاب الطفل.

وقد سلّطت "فرقد" الضوء على هذا الموضوع الحيوي، مستطلعة آراء عدد من الفاعلين في الحقل الثقافي و الأدبي، إيمانًا منها بأهمية فهم ملامح الواقع واستشراف سبل تطوير أدب الطفل العربي بما يحقق الجاذبية الفنية والمعرفية، ويراعي خصوصية الهوية الثقافية واحتياجات الطفل النفسية.

من أوائل المشاركين في هذا التقرير...

”التراث غُيّب والهوية مهدّدة“



أكد الأستاذ الدكتور خالد بن ربيع الشافعي، أن طفل اليوم يختلف كليًا عن طفل الأمس، وكذلك الأبوين اليوم يختلفان عن أبوي الأمس، فالزمن وحده هو المسؤول عن التغيير بين أجيال البشر. مع تقدم الإنسان في مجالات الحضارة والعلوم والفنون والمعارف، اكتسبت حياتنا طابعًا جديدًا يعكس صبغة العلم والعقل. حتى العواطف والمشاعر، التي كانت بريئة بالفطرة، أصبحت اليوم مشبعة بالصنعة والتقنيات الحديثة، ما زاد من سوء بعض الفلسفات النفعية التي تتبناها المجتمعات وتطبقها.

رغم أن الأسرة تظل الرباط المقدس الذي يقوم عليه المجتمع، فإن أفراد الأسرة، من الكبير إلى الصغير، شهدوا تحولات أخلاقية وسلوكية مواكبة للتحولات العلمية والحضارية والثقافية التي يعيشها العصر الحالي. بدأت ملامح التشابه بين المجتمعات تظهر بشكل أكبر، واختفت خصوصيات بعض الشعوب بفعل التقارب في أساليب العيش والحياة. ومع أن الأطفال يشكلون نحو ربع سكان العالم أو أكثر، فإن حياتهم في مرحلة الطفولة التي تؤثر بشكل كبير على تكوين شخصياتهم، تكاد تسير على نمط واحد من حيث البيئة التعليمية والسلوكية، حتى الألعاب والمشاهدات الإعلامية عبر الفضائيات، الأمر الذي يشير إلى محاكاة نمط الغرب وأدبياته، متجاهلين الماضي الثقافي والقيمي الخاص بكل أمة، حتى لو كان مستندًا إلى نصوص دينية منزلّة.

يركز الدكتور الشافعي على بيئة طفولة الأطفال في منطقة جازان بالمملكة العربية السعودية، حيث شهدت خلال ثلاثة عقود فقط تغيرات جذرية، خاصة في مجال الإعلام، أدت إلى فجوة واضحة بين الأجيال الناشئة وآبائهم. بينما يربط الوالدان جذورهما بماضيهما الثقافي، يفتقر الأطفال إلى مرجعيات ثقافية مشابهة، فاختفت الأواصر الثقافية التي كانت تربط الأجيال ببعضها البعض. فهل يعود السبب إلى الوالدين الذين عاشوا في ظل التعليم النظامي، أم إلى المجتمع الذي اتجه نحو الحضارة متأثرًا بصراعات تيارات دينية أبعدت التراث عن موقعه؟ أم أن المؤسسات التعليمية تجاهلت خصوصيات البيئات المحلية، وفرضت مناهج عامة لم تأخذ بعين الاعتبار الفروق الدقيقة؟

برز التعليم النظامي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وأصبح إلزاميًا بدعم الدولة وتشجيع الطلاب والطالبات، ما أدى إلى إقبال كبير على التعليم. مع مرور الزمن، تخلّى رجال اليوم، الذين كانوا أطفال الأمس، عن تراثهم، وكرّسوا معارفهم للمنهج التعليمي المعياري، مما أدى إلى اندثار الأناشيد والحكايات الشعبية التي كانت تشكل جزءًا أساسيًا من حياة الطفولة، حتى باتت تُروى اليوم فقط على سبيل المزاح أو التعصب الطفيف.

بينما عادت شعوب العالم لتربط حاضرها بماضيها وتعزز من تراثها وتعمل على دراسته وإحيائه، فإن التراث الشعبي في مجتمعاتنا يحمل عبر الحكايات والأناشيد قيمًا وسلوكيات تعبّر عن نفسية وثقافة المجتمع. وهو وسيلة تربط الفرد بالجماعة وتضبط السلوك الاجتماعي. والحنين إلى الماضي هو شعور فطري ينبع من ارتباط الإنسان بأرضه، وهو تعبير عن اشتياق لجمال اللحظات الأولى في الحياة التي لم تتلوث بخيبات الأمل.

اليوم، لا يمتلك الطفل في المجتمعات العربية مرجعيات تراثية عميقة، بل ينسحب إلى ماضٍ سطحي موحد، بسبب إهمال الموروث الشعبي وتفضيل ثقافات أخرى عليه.

تُعد مرحلة الطفولة من أخطر وأهم مراحل حياة الإنسان، إذ تنمو فيها المدارك والحواس، وتُشكل أرضًا خصبة لاستقبال كل ما يُلقى فيها. في هذه المرحلة تتكون الاستعدادات النفسية والفكرية لقبول المرغوب ورفض المكروه. لذا، فإن ثقافة الطفل تشكل جزءًا أساسيًا من احتياجاته المادية والنفسية والروحية، فكما يحتاج الطفل إلى الطعام والحنان، يحتاج أيضًا إلى غذاء فكري وروحي يغني فكره ويثري وجدانه. كانت الأم قديماً تقدّم هذا الغذاء بالفطرة عبر الأناشيد والحكايات الملائمة لطبيعة الطفل.

الثقافة والأدب بالنسبة للطفل مطلب ملح، فهي تروي وتسلّي، وتعرّفه على بيئته، وتنمي قدراته اللغوية والاجتماعية، وتُعزز وعيه الديني والعقدي. في عصرنا تنوّعت مصادر ثقافة الطفل، وكان للموروث الشعبي دور بارز، حيث يحمل معاني وأسلوب حياة لا تتوفرها مصادر أخرى. لكل أمة موروثها الشعبي الذي يتضمن

الأناشيد والأساطير والعادات التي تعبر عن روح الأمة، وتساعدها في مواجهة تأثيرات الثقافة الخارجية.

الموروث الشعبي هو موازين اجتماعية تربط الماضي بالحاضر، وتقدم قيمًا إيجابية وتحفظ أصالة المجتمع. وهو منبع خصب للخيال، ومصدر لنماذج البطولة والشجاعة والدراما، ما يساهم في بناء شخصية الطفل وتشكيل وعيه. ومع ذلك، يعاني الموروث الشعبي من إهمال متزايد، ما يهدد بفقدان ثروة ثقافية هائلة.

من الضروري جمع الموروث الشعبي وتوثيقه ودراسته، وإخراجه للأجيال الجديدة بشكل منافس للقصص والبرامج الأجنبية، بعد غربلته وتنقيحه. ويجب أن تكون هذه من أولويات الجهات المعنية بثقافة الطفل، عبر تشكيل دوائر أو أندية أدبية تعنى بترسيخ شخصية الطفل العربي المسلم واعتزازه بتراثه، مع استثمار إمكانيات العصر وتقنياته الحديثة.

في المحور الثاني من ورشة العمل التي قدمها الدكتور خالد بن ربيع الشافعي، تم التطرق إلى عدد من النقاط المهمة المتعلقة بأدب الطفل، التي تضمنت:

تعريف أدب الطفل وأنواعه: هو الأدب المخصص للأطفال، مصمم وفق خصائصهم النفسية والعمرية والمعرفية، يشمل ما يُكتب أو يُنتج لهم بغرض الترفيه أو التعليم أو التثقيف. أنواعه: القصة بأنواعها (خيالية، واقعية، مصورة، شعبية)، الشعر المبسط والإيقاعي، المسرحيات الحوارية، الحكايات الشعبية والأساطير، الأغاني والأناشيد التعليمية.

خصائص اللغة والمحتوى: اللغة يجب أن تكون بسيطة، واضحة، مباشرة، وإيقاعية، مع صور تخيلية تناسب عالم الطفل. المحتوى يعكس اهتمامات الطفل، ويحتوي على قيم إيجابية بطرائق غير مباشرة، مع التوازن بين المتعة والفائدة، وملاءمة للفئة العمرية.

دور أدب الطفل في تنمية القيم والخيال: غرس قيم مثل الصدق، التعاون، احترام الآخرين، وحب الوطن، عبر شخصيات أدبية نموذجية، وتوسيع مدارك الطفل وتحفيز خياله.

كيفية كتابة نصوص موجهة للأطفال: من خلال تحديد الفئة العمرية، اختيار أفكار مناسبة، بناء شخصيات جذابة، حبكة بسيطة، لغة مشوقة، مع نصائح مثل عدم الإلقاء المباشر، جعل الطفل بطل القصة، استخدام حوار واقعي قصير، وإنهاء النص برسالة ضمنية.

تحليل نماذج أدبية: دراسة قصص مثل "الأرنب والسلحفاة" من حيث الحبكة، الشخصيات، والقيم، إضافة إلى نصوص شعرية والتركيز على الوزن والقافية، مع مقارنة بين النصوص الورقية والرقمية التفاعلية.

التحديات التي تواجه كتاب أدب الطفل في العصر الرقمي: تشمل تغير أنماط التلقي من النصوص الورقية إلى الرقمية، المنافسة مع المحتوى المرئي مثل الفيديو والألعاب، ضعف الاهتمام بالنشر الورقي، صعوبة دمج المحتوى الجاذب مع القيمة، تعدد الثقافات، والحاجة إلى ضمان الأمان الرقمي للأطفال.

يؤكد الدكتور الشافعي على أن هذه المحاور تشكل خارطة طريق أساسية لتطوير أدب الطفل، بما يعيد للطفل العربي مكانته في ثقافته وتراثه، ويوازن بين نبض الرسالة وحتمية السوق، للحفاظ على هويته الثقافية وتعزيزها.

"التوازن يبدأ من فهم الطفل لا توجيهه"



وأفادت الدكتورة وفاء بنت محمد الطجل، المالك والرئيس التنفيذي لـ "التربويون للنشر الورقي والرقمي"، أن تحقيق التوازن بين القيمة الفنية والمعنى الإنساني في أدب الطفل يتطلب رؤية إبداعية تراعي خصائص الطفل كقارئ يتفاعل مع النص بعفوية وفضول.

وترى أن هذا التوازن يمكن الوصول إليه من خلال عدة عناصر أساسية:

-اللغة: تنصح باستخدام لغة سلسة وبسيطة، دون الإخلال بجمالياتها، بما في ذلك الإيقاع الشعري أو السردي الجاذب، إذ ينجذب الأطفال إلى الكلام الذي يحمل سجعًا أو نغمة محببة. كما تؤكد أهمية تناول الأسئلة الوجودية وفهم الذات والمشاعر بلغة تناسب عمر الطفل، دون تبسيط مفرط يفرغ المعنى.

-العمق النفسي: ترى أن العناية بالبعد النفسي والعاطفي ليست ترفًا بل ركيزة مهمة في أدب الطفل الحقيقي. الطفل لا يبحث عن المتعة فقط، بل عن قصة تلامس مشاعره، تعبر عنه أو عن طفل آخر يشبهه. يجب ألا نلجأ للمثالية، بل نعرض المشاعر كما هي: "انزعج"، "ارتبك"، "اشتهى أن

يصرخ"، "أراد أن يختفي"، "فرح قلبه". تؤكد على أهمية التعبير عن الحزن، والخوف، والوحدة، لأن الطفل يفهم هذه المشاعر ويحتاج إلى أن تُعبر عنها بطريقة تطمئن نفسه، لا أن تُخفى عنه.

– القيمة الأدبية والفنية: ترى الدكتورة أن تقديم القيم الإنسانية يجب أن يكون في إطار قصصي جذاب وضمن هوية ثقافية واضحة، بعيدًا عن المواعظ المباشرة. فالقصة يجب أن تحتوي مغامرة، أو شخصية ملهمة، تشبه الطفل، بلغة أدبية مبسطة، وسرد مشوق يحمل إيقاعًا بصريًا أو لغويًا داخليًا.

– الحبكة: تشدد على ضرورة تقديم قصة بحبكة متقنة تحمل عنصر التشويق، دون تعجل في الحل، وتمنح الطفل مساحة للتفكير والتفاعل مع البطل. تنبه إلى خطورة النهايات التقليدية أو الإنقاذ الخارجي من قبل شخصية كبيرة، وتشجع أن يأتي الحل من الطفل نفسه أو من صديق يشبهه. وتعدد أدوات الحبكة الجيدة كالحوار الداخلي، والحركة، والتعبير، والمشاعر.

– الرسام والناشر: تؤمن أن الرسام ليس مجرد مكمل بل "راوٍ موازٍ"، إذ تلعب الرسوم دورًا كبيرًا في إتمام القصة وتشكيل ذائقة الطفل البصرية والفنية. كما تعوّل على دور الناشر في الإخراج الفني والتوزيع الجيد، مؤكدة على أهمية الغلاف والعنوان، وقابلية النشر من حيث التكلفة والطلب في السوق.

– اختبار النصوص: تدعو إلى إشراك الأطفال في قراءة القصة قبل نشرها، من خلال مجموعات تجريبية؛ ذلك لأن للطفل زاوية نظر مختلفة عن الراشدين. الطفل يراها مغامرة، بينما يراها الكبير قيمة تربوية أو اجتماعية. وتشير إلى أهمية هذه التغذية الراجعة للكاتب، لتعديل التفاصيل بما يحقق الهدف الفني والتربوي.

وتختم الدكتورة وفاء هذا المحور بتأكيد عميق:

"عندما نكتب للطفل، علينا أن نعي أننا نكتب لروح تفهم كل شيء، لكن بلغته، وبأسلوب يضحكه أولًا، ويحرّك وجدانه، ويشبع فضوله. نبدأ بالقيمة، نغلفها بفن، ونقدّمها في قالب جاذب يقنع الطفل أولًا، ومن ثم الكبار. الطفل لا يتعلم من القصص فقط... بل يتشاق بها، ويتعرف على نفسه داخلها".

أما عن أبرز التحديات التي تواجه الكاتب والناشر في صناعة كتاب الطفل العربي، فقد عددتها الدكتورة وفاء كالتالي:

– نقص التوزيع الفعّال: محدودية الشبكات التوزيعية تجعل من الصعب وصول الكتب الجيدة إلى جمهورها، خاصة خارج العواصم أو في المناطق الريفية.

– ارتفاع تكاليف النشر: جودة الورق والرسومات والطباعة تتطلب ميزانيات مرتفعة، ما يجعل المنتج النهائي مكلفًا على الأسر أو المدارس.

– منافسة المحتوى الرقمي: ترى أن الطفل المعاصر ينجذب إلى الوسائط الرقمية مثل الألعاب والفيديوهات السريعة، ما يتطلب من صناع كتاب الطفل تقديم محتوى قصصي تفاعلي ومواكب لهذا الزخم.

– قلة الدراسات السوقية: عدم وجود بيانات واضحة حول اهتمامات الأطفال وميولهم يخلق تحديًا أمام الكاتب والناشر، ويجعل عملية النشر أشبه بالمغامرة.

– ضعف الفعاليات الثقافية المتخصصة: تؤكد على غياب مهرجانات مستدامة ومؤثرة لأدب الطفل، مما يحد من التفاعل بين الطفل والمحتوى الأدبي.

– هيمنة المناهج الأجنبية: ترى أن الاعتماد الكبير على الكتب الأجنبية في المدارس الخاصة يضعف علاقة الطفل بلغته وهويته الثقافية.

وقدّمت رؤيتها المستقبلية لتطوير صناعة كتاب الطفل العربي من خلال عدة محاور:

– تعزيز التجربة الرقمية: بدمج الكتب الورقية بتقنيات الواقع المعزز (AR) أو التطبيقات التفاعلية.

– الشراكة مع المؤسسات التعليمية: بإطلاق مبادرات مثل "الكتاب للجميع" لضمان وصول الكتب للأطفال عبر المدارس والمكتبات.

– تنظيم مهرجانات متخصصة: مثل "معرض الطفل القارئ"، وتشمل ورشًا، عروضًا، توقيعات، ومسابقات.

– تدريب المهنيين في صناعة الكتاب: لتطوير مهارات الكتّاب والمصممين بما يناسب الطفل العربي.

– الدعم المالي: عبر جوائز وصناديق تمويل من القطاعين الحكومي والخاص.

– تحسين شبكات التوزيع: ببناء شبكة تربط الناشرين بالمدارس والمكتبات والمنصات الرقمية.

واختتمت الدكتورة وفاء بنت محمد الطجل مشاركتها بالتأكيد على أن مستقبل كتاب الطفل العربي لا يُبنى فقط على جودة النص، بل على منظومة متكاملة تضم الكاتب، والناشر، والرسّام، والمربي، والتقني، والأهم من ذلك الطفل نفسه. التوازن بين الفن والمعنى والتوزيع هو المفتاح الذهبي لصناعة أدب يرتقي بالطفل، ويعكس هويته، ويصنع قارئًا عربيًا واثقًا ومتمكنًا.

"نكتب بقلب الإنسان وعين الطفل"



كما أضاف الكاتب عبد الله النصر، وهو قاص وروائي، أن تحقيق التوازن بين القيمة الفنية والمعنى الإنساني في أدب الطفل يتطلب أن يُكتب النص بعين الطفل وقلب الإنسان في آنٍ واحد، مؤكدًا على ضرورة نسج القيم مثل الصدق والرحمة والعدالة في قصة قصيرة تُروى بلغة بسيطة وإيقاع مشوق، بعيدًا عن المباشرة، مدعومة برسوم جذابة تعمّق المعنى.

وأوضح النصر أن الرسام المحترف شريك أساسي لا مكمّل، إذ يُترجم الروح إلى صورة مرئية، لأن الطفل يرى قبل أن يقرأ. وفي جانب النشر، يتطلب الأمر دراسة دقيقة للفئة العمرية المستهدفة وميولها البصرية، مع طباعة عالية الجودة، واختبار القصة مسبقًا على مجموعة من الأطفال لضمان الأثر.

وبيّن أن أبرز التحديات تتمثل في صعوبة تحقيق التوازن بين التشويق والمعنى العميق بلغة تناسب الطفل، وارتفاع تكلفة الإنتاج وجودة الرسوم، وضعف التدريب والتوزيع، مؤكّدًا على أن تطوير صناعة كتاب الطفل العربي ممكن من خلال دعم المؤلفين والرسامين، وإدماج التكنولوجيا بطرق مدروسة، وإشراك الأطفال في تقييم القصص، مع تبني رؤية مؤسسية تستثمر في أدب الطفل كأداة لبناء الإنسان، لا مجرد منتج تجاري خاضع لمعايير السوق وحدها.

"النص الجيّد يصنع الإنسان الكامل"



وتحدث الكاتب والأديب عبد القادر بن سليمان مكي، موضحًا أن النص في أدب الطفل يشمل كل ما يُكتب للأطفال سواء كان شعرًا أو نثرًا، بهدف التسلية والتعليم والتثقيف، على أن يكون ذا قيمة تُحقق أهداف أدب الطفل التي تبني شخصية الطفل بناءً متكاملًا من خلال القصص والأناشيد والمسرحيات وغيرها، مع مراعاة القيمة الفنية والخصائص التي تساعد في نمو الطفل وقدراته اللغوية والفكرية.

وأكد مكي أثناء حديثه، على أنه لصناعة كتاب للأطفال يجب أولًا تحديد الفكرة والمحتوى، ثم اختيار الشكل والحجم المناسبين للكتاب، بعد ذلك تتم كتابة القصة وتصميم الصفحات مع إضافة الصور والرسوم التوضيحية، وأخيرًا اختيار طريقة الطباعة والنشر المناسبة، مع ضرورة أن يكون كتاب الطفل كبيرًا بالعلم، محلّقًا بالفهم.

"التقنية بوابة الطفل للكتاب"



أما الكاتب إبراهيم مغفوري، فقد أشار إلى أن هذا المجال يحتاج إلى تكاتف بين الكاتب الجيد الذي يراعي حاجة الطفل حسب مراحله العمرية، وبين الناشر الذي يقدم مصلحة الطفل أولًا. وأكد أنه إذا وُجد الكاتب الجيد الحاذق الذي يعرف ماذا يكتب للطفل، والناشر الجيد الذي يذلل الصعاب من أجل وصول الكتاب للطفل كما يحب ويختار، فإن صناعة كتاب الطفل ستزدهر.

وأضاف مغفوري أن الطفل اليوم يحتاج إلى كتاب في أجهزته الذكية التي يحبها، يحمل مادة جيدة مشوقة تجذبه وتجعله يلعب ويقرأ في آن واحد، وبهذه

الطريقة يتعلم ويستفيد.

- كيف يمكن تحقيق التوازن بين القيمة الفنية والمعنى الإنساني للنص في أدب الطفل ومتطلبات النشر، بما يضمن وصول الكتاب للطفل بجاذبية وجودة في آن واحد؟

"جذب الطفل يبدأ بالمحتوى لا الغلاف"



وأكّدت كاتبة قصص الأطفال والحكواتية الأستاذة نسرين النور، من مملكة البحرين، قائلة:

ما يجذب الطفل للكتاب ليس الغلاف فقط، بل أيضًا ما يتضمنه من معلومات تثري ذائقته وتنمّي معلوماته وحصيلته اللغوية. فكما أن شكل الكتاب يجذب الطفل، فإن المحتوى هو الأساس في قبوله له؛ إذ لا يمكن للطفل أن يتقبّل كتابًا لم يقتنع بمضمونه. لا تزال بعض الكتب تصدر بأساليب تقليدية لا تواكب التطور، وبعضها يتسم بمحتوى ركيك أو لا يخدم احتياجات الطفل بشكل يتناسب مع مرحلته العمرية.

ومن هنا، فإن التعاون بين الكتّاب والناشرين والتربويين في الوطن العربي يُعد أمرًا ملحًا، من أجل الاتفاق على مضمون وشكل الكتاب وإخراجه بصورة جميلة وجذابة، وتبادل الخبرات فيما بينهم، بما يثمر عن إنتاج كتب ذات قيمة تضيف للمكتبات العربية وتُثري عقول الأطفال.

وفيما يخص التحديات التي تواجه صناعة كتاب الطفل العربي، ترى الأستاذة نسرين أن:

قلة الإقبال على شراء الكتب العربية، مقابل الإقبال على قراءة الكتب الأجنبية، تُعد من أبرز التحديات، ويُعزى ذلك - برأيها - إلى ضعف اللغة العربية لدى بعض أطفالنا. كما تؤكد على أهمية رفع وعي المجتمع العربي بضرورة تعزيز اللغة العربية لدى الأطفال، والاعتزاز بها، ودعم هذا التوجّه عبر شراء الكتب لهم وتشجيعهم على القراءة، بل واصطحابهم لاختيار كتبهم بأنفسهم.

وتقترح الأستاذة نسرين تنظيم فعاليات دورية ومعارض كتب خاصة بالطفل من قبل الناشرين، بين الحين والآخر، لتشجيع الأطفال على الحضور واقتناء الكتب التي يرغبون فيها. فالمعارض المخصصة للأطفال، إلى جانب الأنشطة المصاحبة لها، تُعد حافزًا مهمًا يدفعهم نحو القراءة، في حين أن موسم معارض الكتب العامة لا يُقام إلا مرة واحدة في السنة، وقد لا يكون توقيته مناسبًا دائمًا للأطفال.

"نكتب بأقلامنا لا بلغتهم"



فيما أوضحت كاتبة مسرح الأطفال الأستاذة حسناء أحمد الموسى: "قبل الحديث عن التوازن بين القيمة الفنية والمعنى في أدب الطفل، نحن بحاجة لطرح سؤال مهم:

هل نتعامل فعلًا مع عقلية وذكاء وذائقة الطفل الفنية والفكرية كما يجب؟

أو على الأقل، هل نتواصل معه بلغته ومفهومه الحقيقي؟".

وتُبدي الموسى أسفها حيال الواقع الحالي، مشيرة إلى أن غالبية النصوص المسرحية أو القصصية المنتشرة اليوم، تُكتب بصوت وعقلية الكاتب، وليس من منظور الطفل. ورغم أن هناك توجهًا تربويًا جميلًا في بعض الأعمال، إلا أنها تتساءل: "هل هذا التوجّه يناسب رؤية هذا الجيل؟".

وتضيف: "الجيل الجديد يفوقنا بمراحل من حيث المعرفة، والاطلاع، والفهم. طفل في السابعة من عمره يشاهد ويُحلّل وينتقد ما يشاهده، وهذا يعني أننا نعمل مع جيل يُفكر بعمق، ما يجعل مهمة الكتابة له عملًا بالغ الصعوبة".

وترى الموسى أن الخطوة الأولى لتحقيق

التوازن المطلوب، تبدأ بـ"الاستماع لهذا الجيل، ومراقبة سلوكياته"، مؤكدة أن هذا الجيل "لا يشبهنا أبدًا"، لذا فإن على من يكتب له أن يسعى ليُشبهه، ويعبّر عنه.

وتُضيف: "من أكبر التحديات التي أواجهها ككاتبة، أن الطفل يمتلك لغة خاصة به، وأسلوبًا مختلفًا كليًا. لذا، قبل أن نكتب له، يجب أن نطرح على أنفسنا سؤالًا واضحًا:

هل قلمي قادر على أن ينقل لغة الطفل بصورة تجذبه؟

أم أن قلمي لا يزال تقليديًا، توجيهيًا، يعتمد على النصح المباشر؟".

وتختم الموسى حديثها بالتأكيد على أن القلم الموجّه للطفل يجب أن يكون مختلفًا، وأن يبتعد عن الإرشادات المباشرة، ويعتمد بدلًا من ذلك على عرض المشكلة بطريقة واقعية تُحل عمليًا داخل القصة، لا وعظيًا.

وتقول: "في اعتقادي، هذه الطريقة هي الأجمل والأكثر جذبًا للطفل".

"أدب الطفل في مواجهة الطوفان التقني"



وكان للأديب الأستاذ محمد الرياني رأيٌ بيّن، إذ قال: "قضية أدب الطفل قضية قديمة جدًا، والدليل على ذلك أن قصص الأطفال كانت وما زالت حاضرة في المكتبات وعلى ألسن الرواة منذ القدم. وعندما كنّا صغارًا، كنا ننام على وقع حكايات الأمهات والجدّات، نستمع ونستمتع حتى يغشانا النوم".

ويُشير الرياني إلى الحضور التاريخي لأدب الطفل في الثقافة العربية، مشيرًا إلى أنه طالما تجلّى "على لسان الحيوانات والطير، وعبر الخيال الجامح الذي حلق في عوالم السحر والشعوذة والأساطير".

ويضيف: "في مقابلة سابقة أُجريت معي حول أدب الطفل، علّق أحد المحاورين بأن هذا الأدب لم يحقق بعد ما يُشبع رغبات الأطفال، وكان ذلك قبل ظهور الإنترنت والهواتف والإيباد والذكاء الاصطناعي".

ويرى الرياني أننا اليوم في "مرحلة خطيرة تحيط بالأطفال"، ما يستوجب تحقيق توازن دقيق في الطرح الأدبي، بما يواكب هذا التحول العلمي المتسارع الذي نعيشه. ويؤكد أن الكاتب الذي يسعى للنجاح في أدب الطفل، "لا بد أن ينافس بقوة، ويجاري تيار المعرفة الحالية بقصص تناسب المرحلة". فقصص الأطفال التي قرأها الكبار في الماضي "لم تعد تناسب أطفال اليوم، ولا الخيال العلمي والمعرفي الذي تشكّل بفعل هذا التقارب الكوني، الذي أصبح ظاهرة تثير الجدل والانتباه".

ويُحمّل الرياني دور النشر مسؤولية ثقافية لا تقتصر على الجانب الربحي فقط، فيقول:

"إذا ما أرادت دور النشر خدمة البشرية، فعليها مسؤولية كبيرة في إثراء المشهد الثقافي. يجب ألا يكون تفكيرها منصبًا فقط على العائد المادي، بل أن تُحقق توازنًا بين المردود المادي والقيمة العلمية، للوصول إلى رضا القارئ، خصوصًا في هذه المرحلة".

واختتم الرياني حديثه بالتأكيد على أن التحول الثقافي في المملكة وفق رؤيتها المستقبلية قد "وضع يده على أجندة التطوير الثقافي، بما يُناسب عالم الطفل، وبدأ بتقديم برامج إبداعية لطلاب وطالبات في فنون الأدب المختلفة".

وفي ضوء ذلك، يُبرز أهمية "دور المتخصصين ودور النشر في تكوين شراكات أدبية حقيقية، تُثري الساحة بإصدارات تليق بالمرحلة، وتُلامس ذائقة أطفال اليوم الذين توسعت خرائط رؤوسهم في عالم يموج بكل جديد".

الكتاب الورقي بين البيت والمدرسة



في سياق التحديات المتسارعة التي يشهدها عصرنا الرقمي، أوضحت الأستاذة بدرية بنت عيسى عمير، معلمة الطفولة المبكرة، أن التكدس المهول والمتجدد للوسائل التقنية والرقمية أتاح فرصًا متعددة لتعزيز المهارات اللغوية وغيرها من المهارات لدى الأطفال، سواء عبر المواقع التعليمية أو الكتب الإلكترونية

التفاعلية أو الألعاب المصممة بعناية.

لكنها نبهت في المقابل إلى أن الاستخدام المفرط وغير المقنن للإنترنت خلق فجوة في العلاقة بين الطفل والقراءة الورقية التقليدية، ما يستدعي – بحسب رأيها – توفير بيئة خصبة تُعيد للكتاب مكانته، وتستعيد قيمة القراءة العميقة.

وترى الأستاذة بدرية أن البداية الحقيقية لاستعادة هذه العلاقة تبدأ من المنزل، حيث يمكن للأهل أن يمارسوا دورًا فاعلًا من خلال تبادل الأدوار القرائية مع الطفل، كأن يطلبوا منه قراءة كتاب أو مطوية بصوته. وتؤكد أن هذه الممارسة البسيطة تُعزز ثقة الطفل بنفسه، وتزيد من دافعيته لإنجاز مهام أكبر.

أما على مستوى المدرسة، فتشير إلى أن هناك دورًا ملموسًا تقوم به بعض المؤسسات التعليمية من خلال اعتماد الكتاب الورقي في المناهج، وتنظيم دورات ومهرجانات ومسابقات ثقافية تدعم الطفل القارئ وتحتفي بإبداعه.

وتختم الأستاذة بدرية رأيها بالتأكيد على أن الكُتّاب والمدوّنين يتحملون مسؤولية كبرى في تطوير إخراج كتاب الطفل بشكل جاذب، مبتكر، ومواكب لتطلعات الجيل الجديد، ليكون الكتاب نافذته المفضلة إلى المعرفة، لا مجرد بديل تقليدي في عالم طغت عليه الشاشات.

خاتمة التقرير:

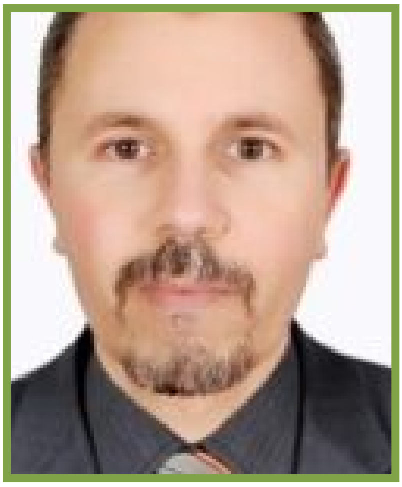
إن ما اجتمعت عليه آراء الكتّاب والناشرين في هذا التقرير، يعكس بوضوح أن أدب الطفل العربي ليس ترفًا ثقافيًا، بل مسؤولية مشتركة تقع على عاتق الكاتب، والرسّام، والناشر، وصانع القرار التربوي، بل والأسرة التي تضع أول بذرة للقراءة في يد طفلها.

لقد اتفقت الأصوات على ضرورة أن يُكتب للطفل بلغة تحاكي وعيه، وبأسلوب يحترم مشاعره، وبقيمة تُشبع روحه، لا أن تُسقط عليه من علٍ. كما أن التوازن بين جمال الفن وصدق الرسالة لا يمكن أن يتحقق دون رؤية إنتاجية ناضجة، ومؤسسات تؤمن أن الاستثمار في الطفل، هو استثمار في المستقبل.

ومع كل تحدٍّ يواجه صناعة كتاب الطفل العربي، يظهر أيضًا أملٌ جديد في كتّاب شباب، وناشرين طموحين، ومبادرات تزداد وعيًا بأهمية هذا اللون الأدبي. وما نرجوه، أن تكون هذه المساحة من الحوار مدخلًا لوعي جماعي يُعيد لأدب الطفل العربي مكانته، لا بوصفه أداة تعليم، بل بوصفه فنًّا حيًّا، يُشكّل الوعي ويرتقي بالخيال.



الذكاء الاصطناعي والإبداع.. بين تعويد الكسل وتعليم الاجتهاد



أحمد بنسعيد

كاتب للأطفال من المغرب

مقدمة:

أصبح الذكاء الاصطناعي جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية، يُستخدم في مجالات متعددة، من الحياة المنزلية إلى التعليم إلى الأعمال، ومن الترفيه إلى الرعاية الصحية. ومع تزايد استخدامه، يبرز سؤال مهم:

هل يسهم الذكاء الاصطناعي في تعويد الناس على الكسل، خاصة أولئك الذين تعتمد عليهم الأوطان في تطويرها وتقدمها... أم هو أداة تعين على الاجتهاد وتطوير المهارات؟

الإجابة ليست سهلة، فهي تتوقف على كيفية استخدامنا لهذه التقنية المتطورة.

الجانب الإيجابي للذكاء الاصطناعي:

يقدم الذكاء الاصطناعي فوائد هائلة في المجال التعليمي. فمن خلال أدوات التعلم الذكية، يمكن للفئة المبدعة من كتاب ومخترعين وأساتذة ودارسين وباحثين وطلاب الحصول على محتوى يُعينهم على التعلم بسرعة وكفاءة. هذا يُسهم في توفير الوقت وتيسير فهم المفاهيم المعقدة. كما أن وجود مساعدات ذكية يتيح للباحثين والمبدعين والفئة المفكرة الاطلاع على أكبر قدر من المعلومات، ويعزز من قدرة التفكير النقدي، إذا ما قورنت بالأجيال السابقة التي كانت تعتمد بشكل أكبر على الحفظ والكتب والمدرسين فقط.

وفي سياق العمل، يساهم الذكاء الاصطناعي في تنفيذ المهام السهلة واليومية، ما يفرغ الإنسان من الأعمال المتكررة، ويتيح له التفرغ للابتكار والإبداع.

الجانب السلبي: خطر الكسل والاتكالية

لكن من ناحية أخرى، يُخشى أن يؤدي الاعتماد المفرط على الذكاء الاصطناعي إلى تعويد المبدعين على الكسل، خاصة مع توفر الإجابات السريعة، والسهولة في الحصول على المعلومات. فقد تعتاد الفئة المفكرة على البحث عن الحلول الجاهزة بدلًا من ممارسة التفكير بذاتهم، ما يضعف مهارات الحلول الإبداعية والتفكير النقدي وإثبات بصمة ذاتية من المبدعين. وكسلهم هذا طبعًا لا يخفى على القراء والناقدين...

كما أن بعض الأفراد قد يتوقفون عن بذل الجهد في تطوير مهاراتهم، ويفقدون القدرة على التحليل والاستنتاج، في ظل وجود أدوات تقضي على الحاجة إلى الاجتهاد.

هذا قد يؤدي إلى جيل يتلقى المعلومات دون أن يفهمها بشكل عميق ولا أن يحللها ويتابعها بالتدقيق والتمحيص والغربلة، بالتالي يفقد القدرة على الابتكار والعمل المستقل.

التوازن المطلوب...

من أجل الاستفادة القصوى من الذكاء الاصطناعي، لا بد من وضع ضوابط واضحة تؤسس لثقافة استخدامه بشكل مسؤول. فمقالنا لا يدعو لمنع التكنولوجيا، بل يوجّه المبدعين لحسن استخدامها كوسيلة لتعزيز القدرات، وليس كوسيلة للهروب من التحديات.

الذكاء الاصطناعي يشجع على الإبداع، ويحفز المبدع لتشغيل عقله من خلال طرح الأسئلة، والمبدع الذكي هو الذي يمارس معه التفكير المستقل، ويستفيد منه لأقصى نقطة. وليس الذي يقوم بعملية (نسخ ولصق).

فنحن إذًا أمام تحدي تربية مبدعينا على قيمة الاجتهاد والتحدي والأصالة، التي ستظل دائمًا أساس النجاح الذاتي، مهما تطور الذكاء الاصطناعي؛ لأن الإنسان بطبعه يطمح إلى التميز والتطور.

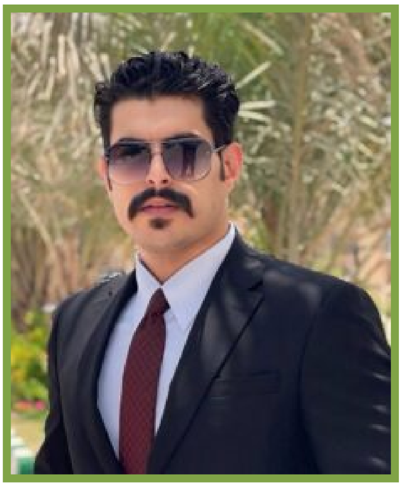
الخاتمة:

الذكاء الاصطناعي سلاح ذو حدين، فإن استُخدم بطريقة مدروسة، يمكن أن يعزز مهاراتنا ويقودنا إلى آفاق جديدة وغير مرتقبة من الإبداع والمعرفة.

لكن، إن استُعمل بشكل كسول غير مسؤول، قد يتحول إلى أداة تكرّس الكسل وتضعف قدراتنا على الاجتهاد فننتقل من انتكاسة إلى انتكاسة أشد، خاصة أننا نتحدث عن الفئة المبدعة التي تشكل زبدة مجتمعنا التي يُعقد عليها الآمال.



تنشئة الطفل.. بين دفء الأسرة وحدود التربية



محمد الموسوي

كاتب للأطفال
من العراق

في قلب الأسرة تبدأ الحكاية، إذ تتشكل أولى ملامح الطفل وتتكون بدايات فهمه للحياة من حوله، فالأسرة ليست فقط مكانًا يؤويه ويحمي جسده، بل هي أول عالم يراه، وأول صوت يسمعه، وأول إحساس بالأمان يعرفه في حضن أمه ونظرات والده، يتعلم الحب، ويميز بين الخطأ والصواب، وتزرع في داخله بذور الشخصية التي سترافقه طيلة عمره، فكل موقف يراه وكل كلمه تقال له داخل البيت تشكل جزءًا من وعيه، ويترك أثره في تكوينه النفسي والسلوكي.

الأسرة ليست مكانًا يأوي إليه الطفل كل مساء، بل هي الحياة كما يراها في بدايتها. فإذا امتلأت بالحب والحنان، شعر بالأمان، وإذا فاضت بالاحترام والنقاش، كبر داخله الإحساس بالحرية والثقة. هي المدرسة الأولى، بل أهم من المدرسة. منها يتعلّم كيف يفكر، وكيف يعبر عن رأيه دون خوف، وكيف يحلم وهو واقف على أرض صلبة.

وحين تمنحه الأسرة مساحة ليتساءل، لتكون له مكتبته الصغيرة، قصصه، ألعابه، رحلاته الأولى... فإنها لا تملأ وقته فقط، بل تبني شخصيته، وتُشعل فيه رغبة الاكتشاف والمعرفة. الطفل الذي يرى في بيت أهله كتابًا مفتوحًا، يرى العالم بعد ذلك أفقًا لا حدود له.

لكن الوجه الآخر لهذه الصورة لا يُمكن تجاهله. فحين تتحول الأسرة إلى ساحة صراعات، أو مساحة من الإهمال، يُصبح البيت سجنًا صامتًا، يُربّي الخوف بدل الطمأنينة، ويكتم الصوت بدل أن يُطلقه. بعض الأسر تظن أن الحماية هي أن تمنع الطفل من كل شيء، وبعضها تُفرط في التدليل حتى يُصبح الطفل عاجزًا عن اتخاذ خطوة دون مساعدة. وبين الحالتين، تضيع ملامح المسؤولية، ويتكوّن طفل لا يعرف من هو، ولا ما يريد.

الخطر لا يأتي فقط من الإهمال، بل من العنف، من الكلمات التي تجرح أكثر من الصفعات، من الأب الغائب حاضرًا، ومن الأم المُتعبة حدّ اللامبالاة. من العقاب المتقلب، ومن المقارنات القاسية بين الإخوة، ومن الرسائل الخفية التي تقول للطفل: "مشاعرك لا تهم". كلها تفاصيل صغيرة، لكنها تترك آثارًا لا تُمحى بسهولة.

الأسرة ليست معصومة من الخطأ، لكنها مطالَبة بالوعي. فالطفل لا يحتاج أمًا مثالية أو أبًا خارقًا، بل يحتاج قلبًا يُنصت له، وصوتًا يُرشده، ويدًا تتركه يمشي وحده أحيانًا... ولو تعثّر.

فالتربية ليست أوامر تُلقى، ولا نصائح تُقال في لحظة غضب، بل هي حضور صادق، وتكرار هادئ، وصبر طويل. وكل كلمة تُقال، وكل رد فعل يُختار، يُشكّل مستقبلًا ما. فالأسرة ليست فقط من تلد الطفل... بل من تربي الإنسان فيه.

الرجل الذي يكره الحيوانات



أحمد علي بادي

كاتب من اليمن

حين كان الحاج عبد الرؤوف خارجًا من منزله؛ أشار إليه غراب بأحد جناحيه مخاطبًا قطًّا أسود إلى جانبه على الرصيف:

– هذا الرجل يكره الحيوانات ويسيء معاملتها كثيرًا!

فانتفض القط كأنه يستعد للهجوم:

– معك حق يا صديقي، يا له من إنسان شرير!

لكن عصفورًا صغيرًا لريشه ألوان الطيف، قال معترضًا وكان قريبًا منهما:

– أنتما مخطئان. إنه يحب الحيوانات، وإنسان طيب.

التفت الغراب إلى العصفور الصغير، وقال باستهزاء:

– كأني سمعت أحدًا يقول شيئًا آخر؟!

قال القط الذي أخذ يضحك بصوت عال:

– ومن يكون هذا الأحمق؟!

غمز بعينه للغراب.

ثار العصفور غاضبًا في وجهيهما وعلت حدة صوته:

– بل أنتما الأحمقان، يا لكما من شريرين!

فاتجه إليه القط مبرزًا مخالبة، وخاطبه قائلًا:

– انتبه إلى كلامك أيها الصغير وإلا...

فتراجع العصفور خائفًا؛ نظر إليه الغراب نظرة تهديد ثم قال:

– وأنا سآتي لأنقر رأسك، هل سمعت؟

على مقربة منهم كان كلب الحي يشاهد ويسمع كل ما يدور، دون أن ينتبهوا له، حتى اقترب أكثر من الثلاثة، وقال بصوت هادئ:

– كأني سمعت شجارًا هنا، ما الأمر؟

فسارع الغراب يرد عليه بصوته الشاحب:

– هذا العصفور الصغير، لا يحترم من هم أكبر منه، ويصفهم بالحمق!

أومأ القط برأسه مؤيدًا قول الغراب، ثم عاد يلعق باطن يده بعد أن أخفى مخالبة.

ابتسم الكلب وقال مخاطبًا العصفور:

– لا يا صغيري... لم أحب سماع هذا عنك!

فقفز العصفور أمام الكلب قائلًا، وصوته لا يزال متوترًا وحادًا:

– هما اللذان كانا يهددانِي، ويقولان عن ذلك الإنسان الطيب أنه يكره الحيوانات؛ الحاج عبد الرؤوف، أنت تعرفه جيدًا أيها الكلب الطيب.

لكن الكلب طلب من العصفور أن يهدئ من انفعاله، ويخفض من

صوته، ثم قال:

- حسنًا سأسمع حجة كل منكم، ثم أحكم بينكم.. هل أنتم موافقون؟

فقبل الثلاثة أن يحكم بينهم.

تقدم الكلب نحو القط أولًا، وقال:

- قل لي أنت أيها القط، لِمَ تقول عن ذلك الإنسان أنه يكره الحيوانات؟

فقال القط، وهو ينظر إلى منزل الحاج عبد الرؤوف بعينين ضيقتين:

- نعم إنه يكره الحيوانات، فكلما دخلت إلى حديقته وأردت أن أتسلى بنبش التراب فيها طاردني بالعصا.

نظر الكلب إلى القط، وقال بهدوء:

- لكن ألا ترى أنك بهذا تفسد عليه حديقته وتتلف مزروعاته، فكيف تريده أن يسمح لك بذلك؟

فصمت القط، ولم يستطع الرد.

ثم انتقل إلى الغراب، وقال:

- وماذا عنك أيها الغراب؟

ارتبك الغراب قليلًا قبل أن يتكلم بصوته الذي صار شاحبًا أكثر:

- إنه يطردني دومًا من مطبخه ويغلق علي النافذة، ولا يدعني آكل ما أشاء من ذلك الطعام الوفير لديه.

قال الكلب بنفس الهدوء الذي خاطب به القط:

- لكنك بهذا تفسد عليه الطعام المخصص له ولعائلته، ثم إن ما تقوم به يعتبر سرقة لأنك تأخذ من طعامه دون إذن منه.

نظر الغراب إلى الأرض، وظل صامتًا.

التفت بعدها الكلب إلى العصفور الذي أخذ ينط فرحًا، فقال له الكلب وهو يبتسم:

- على رسلك أيها العصفور، والآن قل لي أنت ما الذي جعلك تقول عن هذا الإنسان أنه يحب الحيوانات؟

فنظر كل من القط والغراب إلى العصفور الذي أخذ يتحدث بهدوء هذه المرة:

- إنه إنسان يحب الحيوانات، لأني أراه دومًا ينثر لنا الحَبَ في مكان مخصص على أرضية حديقته، وأنا وأصدقائي نأتي دومًا ونأكل حتى نشبع، ونراه دومًا يراقبنا في سرور وهو يبتسم، ولا يسمح لأحد بأن يفزعنا أو يؤذينا.

فقال الكلب والابتسامة لا تزال على فمه:

- أحسنت أيها العصفور، وهو إلى ذلك يخرج دائمًا من طعامه المتبقي لحيوانات الحي لتأكل.

هنا عاد والتفت إلى القط والغراب وخاطبهما:

- ما رأيكما الآن؟

فنكسا رأسيهما وقالا بصوت واحد: يبدو أن معكم حق، وكان الحاج عبد الرؤوف عائدًا إلى بيته؛ فطار العصفور الصغير وأخذ يدور فوق رأسه والحاج عبد الرؤوف ينظر إليه مستغربًا ويبتسم!



أَنَا طَبِيبُ الأَسْنَان



ميادة مهنًا سليمان

كاتبة للأطفال من سورية

أَنا طَبيبُ الأَسْنانْ
أَنا أُنقِذُ الإِنسانْ

مَنْ قالَ لَكَ: إِنِّي
طَبيبٌ جِدُّ مُخِيفْ

تَعالَ اقْتَرِبْ مِنِّي
أَنا صَديقٌ لَطِيفْ

هَيَّا افْتَحْ لي فَمَكْ
كَيْ تَنْسَى ما آلَمَكْ

أَقْضِي عَلَى الجَراثِيمْ
لِيَبْقَ الضِّرْسُ سَليمْ

وَداعًا مَعَ السَّلامَةْ
لا تَنْسَ الابتِسامَةْ

خَبِّرْ رِفاقَكَ عَنِّي
قُلْ: داوَى لي سِنِّي

بِيَدَيْنِ مِنْ رَحْمَةْ
أَرَقُّ مِنْ نِسْمَةْ

أَنا طَبيبُ الأَسْنانْ
أَنا مُداوٍ فَنّانْ



سَلحُــــــــــوف



الخنساء عباس الشهاب

كاتبة قصص الأطفال، من الجزائر

في الصباح الباكر تجهز سَلحُوف بحماس، سيخرج اليوم ولأوَّل مرَّة مع ماما سَلحُوفة للذَهابِ إلى المَخبز.

مرَّ بجانبهما أرنوب سريعًا ثمَّ تراجع للخلف وقال: "أنتما بطيئان لن تصلا إلا عند الظَهيرةِ، فتجدان الخبز نفد والمخبز أغلق أبوابه".

حزن سلحوف وقال لأمه: "هل يمكن أن نزيد سُرعتنَا قليلًا".

ردت أمه: "في التأني السلامة يا صغيري وفي العجلة الندامة".

وفي الغد استيقظ سلحوف قبل طلوع الفجر، وتجهز للخُروجِ، وعندما حان الوقت قال لأمِّه:

"انظري يا أمي لقد ارتديت أحذية السُرعةِ، لن يسبقني أَرنُوب اليوم".

ردت أمه: "في التأني السلامة يا صغيري وفي العجلة الندامة".

خرج سَلحُوف يرتدي أحذية السُرعةِ فسبق الجَميع، أمَّه، السنجاب وحتَّى أَرنُوب ووصل إلى المخبز قبلهم.

اشترى الخبز من المخبز والبيض من الدُكانِ وغادر المكان، لكن في طريق العودة لم يَنتبِه للمنحدر؛ فزادت سرعته ولم يَستطعِ التَوقُف، ووقع على رأسه.

انكسر البيض وتبعثر الخبز على الأرض وظل طريح الفراش لمدَّة أسبوع كامل؛ فقد كُسِرت قدمه ولم يعد بإمكانه مُرافقَة أمِّه للذهاب إلى المخبز.

وعندما تعافى خرج مع ماما سلحوفة، مرَّ أَرنُوب بجانبهما مُسرعًا، وفي كلِّ مرَّة كان يَلتفتُ؛ ليتأكد إن كان بإمكان سلحوف اللَّحاق به أم لا، وفجأة "هووووب" اصطدم أَرنُوب بالعمود.

قال سلحوف لأمه: "في التأني السلامة يا ماما وفي العجلة الندامة".. ثمَّ ذهب ليُساعدَ أرنوب.



الطفل الرقمي.. سمات وتحديات



حصة بنت عبد العزيز

كاتبة من السعودية

كان الطفل قديمًا يطارد فراشة في الحقول، ويصغي إلى حكاية جدته في ليالي الشتاء، فيرتسم الأدب في قلبه كما ترتسم الألوان في لوحات الماء. اليوم، يقف الطفل أمام شاشة مضيئة، تفتح له نافذة على عالم واسع، لكنها تُغلق في أحيان كثيرة نوافذ أخرى كان يفتحها على السماء والخيال والحكايات الهادئة.

لقد صار الطفل طفلًا رقميًا، يعيش في حضن الأجهزة الذكية قبل أن يتعلم ربط حذائه، يلتقط الصور قبل أن يكتب اسمه، ويتصفح العوالم الافتراضية قبل أن يحفظ شوارع حيّه. إنها طفولة لم تعد تنتظر الحكاية، بل تبحث عنها في زرّ صغير يضغطه بإصبعه الصغير، فينهمر عليه سيل من الصور والأصوات.

بين نعمة العصر ومخاطر الغرق:

يحمل هذا العصر للطفل إمكانات مذهلة؛ مكتباتٌ واسعة تتسع في راحة يده، وقصصٌ تُروى له بألوان جذابة وصوت دافئ حتى لو غاب الراوي. تعلّم الطفل الرقمي كيف يصل إلى المعلومة، كيف يكتشف الصور، كيف يفتح أبواب العالم بضغطة واحدة. وهو بذلك يختبر نوعًا جديدًا من الطفولة لم تعرفه الأجيال السابقة.

لكن في ظل هذه السهولة، يواجه الطفل الرقمي تحديات خفية؛ إذ تتسرّب ساعات عمره الصغيرة في بحار الضوء الأزرق، فيضعف بصره قبل أن يكتمل نموّه، وتتشوش انتباهاته بين لعبة عابرة وفيديو سريع، وربما ينحسر خياله في محتوى جاهز لا يترك له مساحة ليرسم عالمه بيديه.

الأدب والطفل الرقمي:

وهنا يأتي سؤالنا: ما هو أدب الطفل في زمن الطفل الرقمي؟

إن الطفل لا يزال يحتاج إلى الحكاية، إلى القصة التي تمنحه حكمة غير مباشرة، إلى اللغة التي تبني وجدانه وتغرس فيه بذور الخيال، إلى ذلك الأدب الذي يضيء داخله نوافذ التأمل والدهشة.

لكن الأدب اليوم يحتاج إلى أن يطرق باب الطفل الرقمي بلغته دون أن يفقد جوهره، أن يحاوره في عالمه الرقمي دون أن يفرّط بجمال الورق والكلمة المنطوقة. يحتاج الطفل إلى قصة تُقرأ له قبل النوم، وإلى قصة تُعرض عليه بمشهد

جميل على الشاشة، يحتاج إلى أن يسمع صوته الداخلي في نصوص الأدب، لا أن يضيع في صخب الإعلانات والأصوات العالية.

نحو توازن يليق بالطفولة:

في زمن الطفل الرقمي، لسنا بحاجة إلى أن نعزل الطفل عن أدوات عصره، لكننا بحاجة إلى أن نرسم له طريقًا يوازن بين الرقمي والإنساني، بين الضوء الأزرق وضوء الحكايات. نحتاج إلى أن نصغي إليه، ونشاركه اختياراته الرقمية، ونوجّهه لاختيار المحتوى الذي ينمّي خياله، ويحمي قلبه الصغير من العزلة.

إن الطفل الرقمي اليوم هو مشروع إنسان الغد، وإن لم نمنحه الأدب الذي يُغذّي روحه، سيبقى هشًّا رغم كثافة معرفته. الأدب يعلّمه كيف يرى الجمال في التفاصيل، كيف يفهم العواطف، كيف يكوّن ضميره الصغير، وكيف يعيش إنسانيّته في عالم تتسارع فيه الصور وتغيب فيه المعاني.

فلنحاول أن نرغّب الطفل في التفاعل مع الكتاب الورقي، أو الإصغاء لحكاية تُروى له بصوت حيّ، أو مشاهدة قصة تُقدَّم له بطريقة شائقة تجمع بين المتعة والمعنى.

فبهذا نُعيد للأدب دوره في تشكيل وجدان الطفل، ونمنحه فرصة ليبني علاقته بالكلمة والخيال وسط عالم رقمي متسارع.

لسنا ندعو إلىً الانفصال عن العصر، بل إلى إبقاء جذوة الطفولة مشتعلة بالأدب، ليكبر الطفل ومعه وعيٌ إنسانيّ عميق، يُنير له وللمجتمع دروب المستقبل.



القصة الصامتة في أدب اليافعين



حسين عبروس

كاتب وشاعر للأطفال من الجزائر

هي نوع من الفنّ القصصي الموجّه لفئة اليافعين، وهو نص يدرج دون أيّ كلام يعتمد على شكل فنّي يسمى بالقصة المصوّرة، حيث يعتمد الفنان باختيار مواضيع تلك الرسومات والصور بأساليب معيّنة في الطباعة، وقد ظهر هذا للّون الأدبي في بداية العشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي في ألمانيا كنوع من الفن القصصي للتعبيرية عن حالات اليأس والإحباط النفسي، والظلم في الحياة الاجتماعية، وتعتبر قصة "خمس وعشرون صورة للرجل العاشق" للكاتب البلجيكي "فرانس ما سيريل" 1889 – 1972، وكانت أولى بدايات هذا اللون الأدبي، ونشرت عام 1918، وقد سار على نهجه الفنان الألماني "أوتونوكيل" وهو أحد أعضاء المدرسة التعبيرية في الفن، وتبعه الفنان الأمريكي "ليند وارد" في قصته "رجل الآلهة" في عام 1929، كما عالج الرّسام "ميلت جروس (1895 – 1953) وهو رسام كاريكاتير ومُحرك أمريكي.. اشتهر عمله بأسلوبه المبالغ فيه في الرسوم الكاريكاتورية.

إنّ القصة الصامتة أو الكتاب الصامت هو نوع من العمل الأدبي الموجّه لفئة اليافعين، وتتمّ قراءته بصريًا دون حاجة إلى وجود نص مكتوب مرافق لتلك الرّسومات، وهي تجارب يمارسها الرّسامون للتعبير عن أفكار معينة بالصورة، تتناول قضايا مختلفة تتعلّق بحياة المراهقين منها العاطفية والسياسية والاجتماعية، وقد صدرت عدة أعمال منها في القرن الواحد والعشرين منها إصدارات "أنا والنحلة" في بريطانيا 2020 تأليف ورسومات: أليسون جاي، وقصة "فتى الطائرة الورقية" وقصة "العم فيغو والمئة قطرة" من كوريا، وتظل القصة الصامتة تحاول إثبات وجودها من خلال تجارب الرّسامين الذين يحاولون منافسة النص المكتوب في عدد من بلدان العالم، لكن النّص يبقى سيّد الموقف والتجربة التي تصنع في نفسية القارئ الصغير تلك العوالم المتنوعة في فنياتها وجماليات اللغة التي تشكل قاموس القارئ عبر مراحل الحياة، ولعلّ غياب القصة الصامتة عندنا في الوطن العربي يطرح عدّة أسئلة في غياب النقد الفنيّ المتخصص باستثناء تلك القصص المرسومة المترجمة إلى اللغة العربية من لغات أجنبية أخرى، ولعل ما سيكشف عنه الذكاء الاصطناعي سيكون مبهرًا بعالم الأفكار في القريب القادم.



القراءة.. هدية العمر لطفلك



نوف ضحيان الرويسان*

كاتبة من السعودية

في زمن الشاشات المتوهجة والألعاب لرقمية، قد يتبادر إلى أذهاننا سؤال: لماذا نشجع أطفالنا على القراءة؟ والإجابة بسيطة وعميقة في آن واحد: القراءة ليست مجرد مهارة، بل هي نافذة تفتح على عوالم لا حدود لها، وكنز يزخر بالفوائد التي تثري عقولهم وقلوبهم.

القراءة تنمي الخيال والإبداع لدى الأطفال، حيث تأخذهم في رحلات سحرية إلى أماكن لم يروها، وتعرفهم على شخصيات لم يلتقوا بها. هذه التجارب الخيالية توسع آفاقهم وتجعلهم يفكرون بطرق جديدة ومبتكرة. إضافة إلى ذلك، تساعد القراءة في تحسين مهاراتهم اللغوية والتعبيرية، حيث يتعلمون مفردات جديدة وتراكيب لغوية مختلفة، ما يمكنهم من التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بوضوح وثقة.

ولا تقتصر فوائد القراءة على الجانب العقلي واللغوي، بل تمتد لتشمل الجانب الاجتماعي والعاطفي. فالقراءة تعلم الأطفال التعاطف والتفهم، حيث يتعرفون على مشاعر الآخرين وتجاربهم من خلال القصص والشخصيات. كما أنها تعزز الروابط الأسرية، حيث يمكن للوالدين مشاركة أطفالهم متعة القراءة وقضاء وقت ممتع ومفيد معًا. لذا، دعونا نجعل القراءة جزءًا لا يتجزأ من حياة أطفالنا، لنمنحهم هدية تدوم مدى الحياة.



طائر الفينيق.. ومدينة الغيوم



اقتباس وإعداد: نوار الشاطر

كاتبة للأطفال من سورية

في قديم الزمان، وراء الغيوم العالية التي لا يصل إليها أحد، كانت هناك مدينة غريبة لا يسكنها البشر، بل كائنات عجيبة ترفرف بحرية بين السماء والخيال.

تنانين صغيرة تضحك عند اللعب، وفراشات عملاقة بألوان تشبه قوس قزح، وأسماك فضية تسبح في الهواء كما لو كانت تسبح في الماء!

في قلب هذه المدينة، عاش طائر واحد مختلف عن الجميع... اسمه نوران.

نوران لم يكن طائرًا عاديًا... كان طائر الفينيق، الذي ينبض بالحياة حتى حين تظن أنه انتهى.

ريشه يشبه شمس المغيب، وعيناه تلمعان كالنجوم في الليالي الحالمة. وكان يحمل سرًّا لا يعرفه سوى من عاش طويلًا في الأحلام:

إذا خارت قواه أو اقتربت نهايته، يشتعل بنار ذهبية، يتحوّل إلى رماد... ثم يعود للحياة من جديد، أقوى وأشد توهجًا!

ذات صباح، حدث شيء لم يحدث من قبل... بدأت الغيوم التي تحمل المدينة بالتبخر، وراحت المدينة تهبط ببطء نحو الأرض!

ركضت المخلوقات نحو الساحة، تصيح وتلوّح بأجنحتها:

"مدينتنا تنهار! سنسقط! ماذا نفعل؟!"

وبين كل تلك الفوضى، وقف نوران شامخًا، وقال بثبات:

"سأطير إلى قلب الريح... هناك، في أعماق العاصفة، سأطلب منها أن تُعيد لنا الغيوم".

ولم يكن ذلك وعدًا سهلًا، فقد كان الطريق صعبًا ومخيفًا، واجه نوران المخاطر وحده فوقف بثبات في وجه الرياح التي تعصف بقوة، وقاوم بكل شجاعة الدوامات الهوائية التي حاولت عبثًا سحبه للأسفل.

نوران هزم المخاطر كلها لأن جناحيه كانا أقوى من الخوف، وقلبه أكبر من العاصفة، وداخله ينبض بحب عظيم لمدينته المسالمة.

وبعد ساعات من الطيران، وصل إلى مكان غريب... مظلم وهادئ، حيث كانت العاصفة نائمة، تدور ببطء كأنها تحلم.

اقترب منها نوران، وهمس برقة في أذنها:

"أيتها العاصفة... مدينتنا تختفي، أرجوكِ أعيدي لنا الغيوم".

فتحت العاصفة عينيها المضيئتين كالبرق، ورددت بصوت يهزّ الرياح:

"سأعيد الغيوم... لكن بشرط: أعطني أغلى ما لديك!".

تردّد نوران قليلًا، ثم قال بصوت مليء بالحب:

"سأعطيكِ حياتي".

فجأة... اشتعل بجناحيه اللامعين، تحوّل إلى نارٍ ذهبية، ثم إلى رماد ساكن وسط السحاب.

وما إن رأت العاصفة تضحيته، حتى بدأت بالبكاء.

بكاؤها لم يكن حزنًا، بل مطرًا ناعمًا أعاد تشكيل الغيوم!

ارتفعت المدينة من جديد، وطار الفرح بين سكانها.

وفي صباح اليوم التالي، خرج من ذلك الرماد طائر صغير... بريش ذهبي، وعينين لامعتين كالشمس.

كان نوران... لكنه مختلف.

أقوى، أجمل، وأكثر شجاعة.

هتف الجميع:

"شكرًا لك يا نوران! يا ملك الغيوم وحاميها الشجاع!".

ومنذ ذلك اليوم، تحول نوران إلى أسطورة تتناقلها الأجيال ومثال للقوة و لشجاعة والتضحية، وأصبح رمزًا للأمل واستمرارية البقاء بين الأطفال والكائنات السماوية في مدينة لا يعرفها إلا من يحلم.

- **قصة من تراث الشرق الأوسط.**

- **اقتباس القصة من التراث الفينيقي.**

طائرة من ورق



عبدالسلام الفريج

شاعر وروائي ومهتم
بأدب الطفل من سوريا

طيّارتي طيّارتي
أشدو بها في حارتي
تحملُها نسائمٌ
وخيطُها في راحتي

فيها شريطٌ أصفرُ
وأحمرُ كشارتي
والذيلُ منها أزرقٌ
كاللونِ في مِقلمتي

أحملُها دومًا معي
إن رُحتُ أو في غدوتي
للريحِ إن أطلقتُها
تغزو السما برحلتي

والكلُّ يشدو صائحًا
طيّارتي طيّارتي



قصص من الأدب العالمي

ترجمة: مضاوي القويضي

الثعلب والعنب

رأى ثعلب عناقيد عنب ناضجة. حاول أن يقفز ليصل إليها لكنه لم يستطع. فقال: "من يأكل العنب؟ العنب حامض".

العبرة:

عندما لا نستطيع الحصول على شيء نريده، نتظاهر بأننا لا نحبه.

The Fox and the Grapes

A fox saw ripe grapes. He tried to jump to reach them but could not. Then he said, " Who eats grapes? Grapes are sour."

Moral: When we cannot get something, we want, we pretend we don't like it.

** الكلب الأحمق**

ذات يوم، سرق كلب قطعة لحم من السوق وهرب. وصل إلى جدول ماء قريب. عندما كان يعبر الجسر، نظر إلى الأسفل. رأى ظله، لكنه اعتقد أن هناك كلبًا آخر لديه قطعة لحم أخرى. فكر أنه إذا تمكن من الحصول على تلك القطعة، فسيصبح لديه قطعتان. لذلك، نبح على ظله. وعندما فتح فمه لينبح، سقطت قطعة اللحم في الماء، وخسرها.

العبرة: كن راضيًا بما تملك.

The foolish dog

One day a dog stole a piece of meat from a market and ran away. He reached a stream nearby. When he was crossing the bridge, he looked down. He found his shadow. But he thought, there's another dog, and he had another piece of meat. If he could get that piece, he would get two pieces. So, he shouted at his own shadow. But when he opened his mouth to shout, the piece of meat fell into the stream. And he lost the piece of meat.

Moral: Be pleased with what you already have

المصدر:

butterfly Feilds



لوحات أنيقة فرنسية وإنجليزية

ترجمة: أيمن خلف و منى إسماعيل

اللحن الحلو

جنبًا إلى جنب، تحدق العينان في البيانو، حلمت الأختان معًا ”في دويتو“ لهذه الموسيقى الملائكية، عزفتا وغنتا بطريقة رائعة. ويعكس لون فساتينهما الواضح والأنيق براعة هذه الأغنية عن الفجر.

بيير أوغست رينوار

La douce mélodie

Côte á côte ,les yeux rivés sur le piano, les deux soeurs rêvaient en duo á cette musique angélique jouée et chantée d’une façon magnifique .la couleur Claire et élégante de leurs robes refléte la finesse de cette chanson de l’aube

Pierre Auguste Renoir



في ركن هادئ من الريف جلس الحب على عتبة كوخ دافئ. أمسك بحبل بين يديه وهي أمسكت قلبها في عينيها. تحرك الدجاج حولهم باطمئنان، وصعد الورد على الجدار بخجل ريفي. وفي الخلفية، تحرسهم الجبال في عباءتهم الثلجية. وكأن الحياة هنا تهمس: البساطة وطن، والحب في الريف هو الأوفى.

In a quiet corner of the countryside, love sat on the threshold of a warm cottage. He held a rope in his hands, and she held her heart in her eyes. Around them, chickens moved reassuringly, and roses climbed the wall with rustic shyness. In the background, the mountains guarded them in their snowy cloak. It was as if life here was whispering: Simplicity is a homeland, and love in the countryside is the sincerest

“لا تحاول تغيير أحد، ابحث عن الروح التي تشبهك منذ البداية“.

“Don’t try to change anyone, look for the soul that is similar to you from the beginning”

المصادر:

Classic Music &paintings

لوحات فنية رائعة

لست أبالي.. هذا الحب ثقيل

د.بهاء الدين مزيد

لست أبالي

بل أصبرُ، بل أتجلّد!

إميلي ديكنسون

لا قيمةَ عندي للذهبِ ولا للفضّة، بل لا لكنوزٍ شتّى،
أمّا الحبّ فأسخرُ منه.. أعفُّ واستنكف؛
والشّهوة والشهرة ليست إلّا حلمًا، يتلاشى حتّى –
حتّى يخبو مع أوّل نور للصّبح، فلا أحزنُ أو أتأسّفْ
حِينَ أصلّي، فَصَلَاتِي وَدُعَائِي، جَهرِي أو سَرّي،
إذْ يَنطَلِقُ لسَانِي، أو تَتَحَرّكُ شفَتَاي فِي غَدها وَعَشيّة،
أهتفُ "يَا رَبّاه اترُكْ لِي هَذا القَلبَ أنَا أَحملُهُ فِي صَدري
وَامنَحنِي الحُرِّيّة؛ حَرّرَنِي، وامنَحنيها هَذه الحُرّيّة".
هَا هي تَمضِي أيّامِي مُسرعةً عَجلَى، لَا تَتَوَقّفْ؛
فِي مَحيايا ومَمَاتِي مَا أطلبُه، بَل حَقًّا مَا أتوسّل،
أنْ تَنطلقَ الرُّوح بغيرِ قُيود – لا تُنتَهَكُ، ولا تُستَنزفْ –
أَنْ أَصبرَ، أَنْ أتجلّدَ، أَنْ أتحمّلْ!

The Old Stoic

Emily Brontë

Riches I hold in light esteem
And Love I laugh to scorn
And lust of fame was but a dream
That vanished with the morn
And if I pray, the only prayer
That moves my lips for me
Is, "Leave the heart that now I bear
And give me liberty
Yes, as my swift days near their goal
'Tis all that I implore
In life and death, a chainless soul
With courage to endure

(2)

هذا الحُبّ ثقيلٌ...
هذا الحُبُّ ثَقِيلٌ كَالجَبل،
خَفِيفٌ كَفَرَاشَاتٍ ساحرة زاهية؛
تارات يُشرِقُ، بلَ يتألّقُ، أو تتخلّله العتمة
وتسربله تارات أخرى؛
فيه الحَرّ القائظ ثُمّ تراه يصير صقيعًا؛
يمرض ثُمّ تَراه سليمًا يتعافى؛
يستيقظ أو يغفو ثُمّ ينام –
هو ما كان جميعًا إلّا مَا صَار عَليه!
(شكسبير: مسرحية روميو وجولييت، 1:1)

Love is heavy

Love is heavy and light, bright and dark, hot and cold, sick and healthy, asleep and awake – it's everything except what it is! (Act 1, scene 1)

William Shakespeare: Romeo and Julie



تخلص من مشاكلك

ترجمة: عزيزة برناوي

البيض الذهبي

يقع الحمار المفضل لرجل في هاوية عميقة، لا يمكنه سحبه بغض النظر عن مدى صعوبة محاولاته. لذلك يقرر دفنه حيًّا.

صُبت التربة على الحمار من الأعلى. شعر الحمار بالحمل، ويهزه، ويخطو عليه. بينما يتم سكب المزيد من التربة.

يهزها الحمار ويصعد. كلما زاد التراب، ارتفع. بحلول الظهيرة، كان الحمار يرعى في المراعي الخضراء.

بعد الكثير من الهز (من المشاكل) والارتقاء (التعلم منها)، سوف يرعى المرء في المراعي الخضراء.

Shake off Your Problems

A man's favorite donkey falls into a deep precipice. He can't pull it out no matter how hard he tries. He therefore decides to bury it alive

Soil is poured onto the donkey from above. The donkey feels the load, shakes it off, and steps on it. More soil is poured

It shakes it off and steps up. The more the load was poured, the higher it rose. By noon, the donkey was grazing in green pastures

After much shaking off (of problems) And stepping up (learning from them), One will graze in GREEN PASTURES

المصدر:

15 Motivational and Inspiring Short Stories



مركز المصالحة فى وزارة العدل

وفاء عبدالله



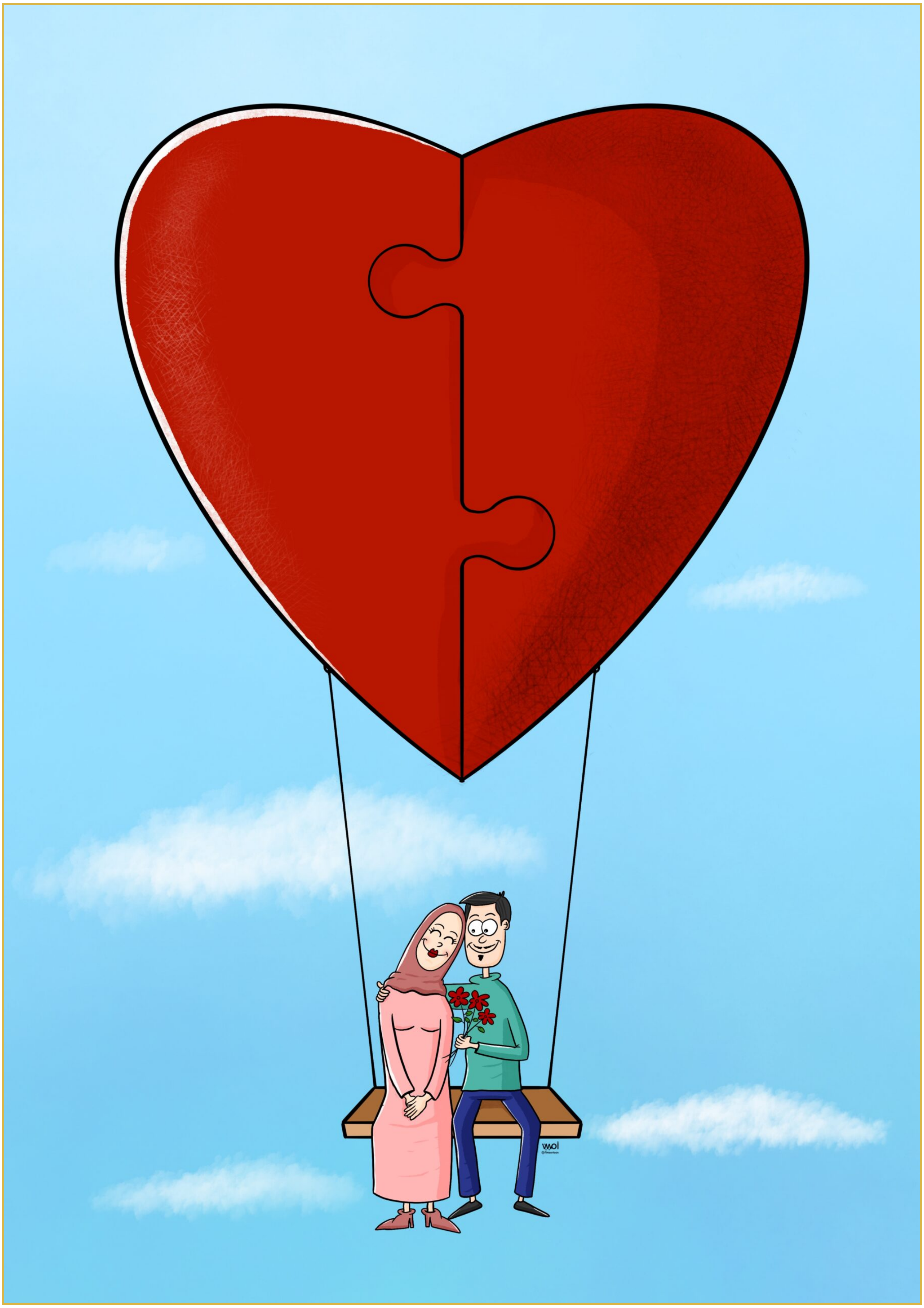
علبـــــــــة الدواء

محمد العمري



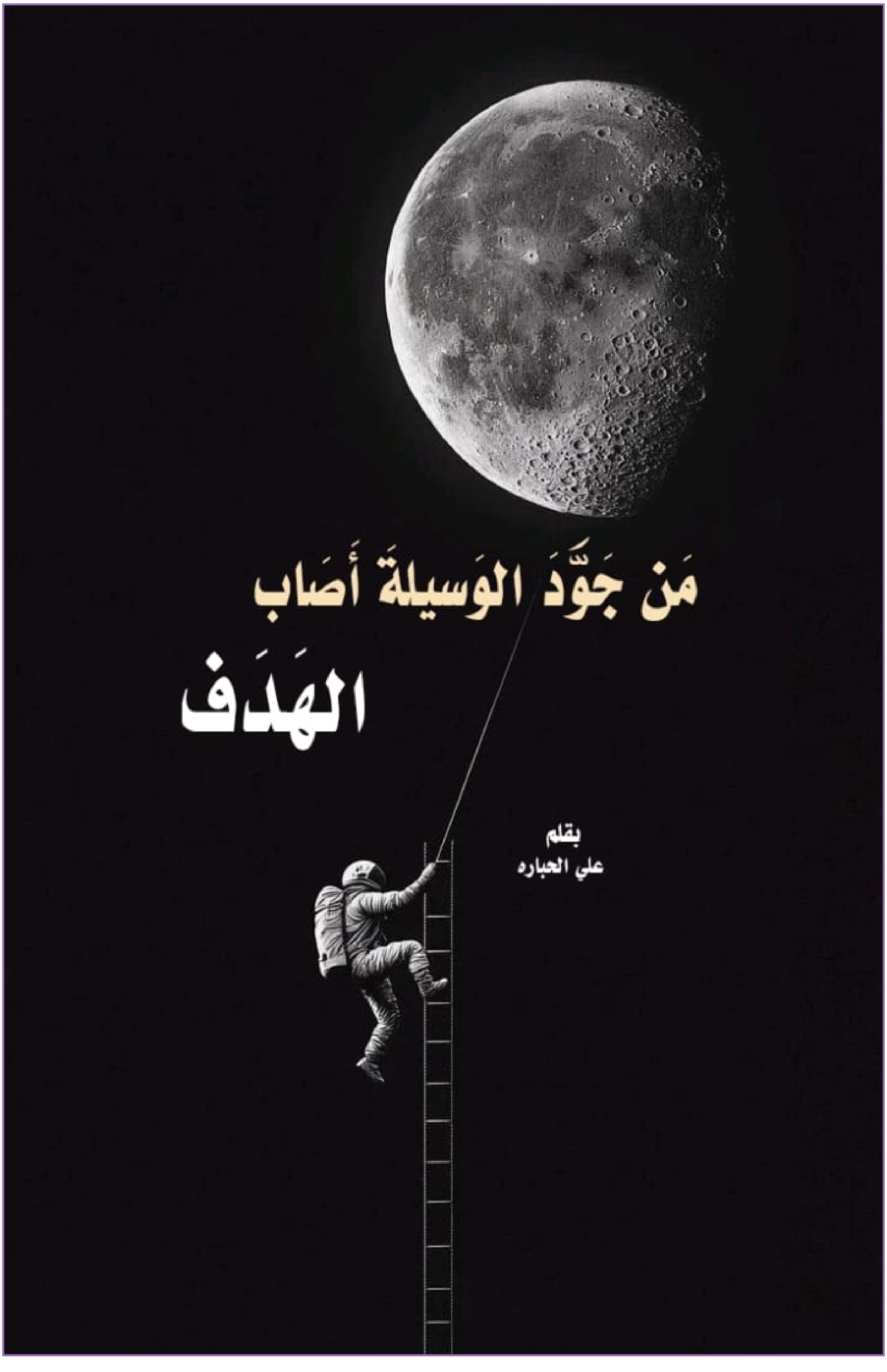
كاريكاتير العدد

أمين الحباره



ترنيمة العدد

علي الحباره



جماعة فرقد الإبداعية

مجلة فرقد الإبداعية

النادي الأدبي الثقافي







للإبـــداع عنـــوان













مجلة فرقـد الإبداعيَّة






مجلة ثقافية إلكترونية (شهرية) تصدرها جماعة فرقد الإبداعية بنادي الطائف الأدبي